

تعتمد كلية الدراسات العليا  
هذه النسخة من الرسالة  
التوقيع: ..... التاريخ: ١٥/٠٥/٢٠١١

الجامعة الأردنية

نموذج تفويض

أنا الدّامة عريب محمد علي عيسى أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من  
أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع: 

التاريخ: ١٥/١١/٢٠١١

## الخطاب النبوي في ضوء اللسانيات الاجتماعية

إعداد  
عريب محمد علي عيد

المشرف  
الأستاذ الدكتور جاسر خليل أبو صفية

قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في  
اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا  
الجامعة الأردنية

آب / ٢٠١١ م

تعتد كلية الدراسات العليا  
هذه النسخة من الرسالة  
التوقيع... التاريخ... ١٥/٨/٢٠١١

ب

نوقشت هذه الأطروحة ( الخطاب النبوي في ضوء اللسانيات الاجتماعية )، وأجيزت

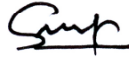
بتاريخ 2011/7/24م.

التوقيع



أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. جاسر خليل أبو صفية  
أدب صدر الإسلام والأدب الأموي  
مشرفاً



أ.د. عبدالله نايف العنبر  
النحو العربي  
عضواً



د. جعفر نايف عيابه  
اللغويات  
عضواً



أ.د. سمير شريف استيائية  
اللسانيات (جامعة اليرموك)  
عضواً

تعتد كلية الدراسات العليا  
هذه النسخة من الرسالة  
التوقيع..... التاريخ ١٥/٧/٢٠١١

## الإهداء

والديّ...

لأنكما اللّٰهنا في اللّٰهنت

وسبق الوجود قدر محتوي وفلم مخطوط

دوّج فيه  
”هي منه فهو منها“

أما الحسم والسفر فالأسرتم المال  
لعين سهرت

وروح ناهت  
ويدر كتبت  
وبقية نفسي طوفت

لحبا جسدا قرّ مطمئنا في نالونه المقصود

فإليكما ... قالنا بعد تنبيه وبدء ...

عريب

## شكر وتقدير

إلى معلمي وأستاذي ومرشدي...

إذا قلتُ جاسر خليل أبو صفية؛ فلا أحسُّ إلا أنَّ القلمَ يحسُر- بعد وهنِ لحروف  
اسمِكَ: منطوقاً ومكتوباً؛ ليزجي تحايا تقديرٍ لخليل علمٍ جمعتني به سنو فخرٍ واعتزاز؛ فيصفو  
القلبُ لطيب قلب أبي صفية وصفاء سريره؛ محيياً فيه إنساناً مؤنساً، وعالمًا جاداً، وبحاثة  
دقيقاً، ومسلماً ملتزماً، وأباً حاتياً، تسعد النفس للقاءه، وتطرب الأذن لسماعه؛ يستقي  
الباحثُ من منهل علمه، ويفيدُ من مجلسه، فلا يفتأ الحصيْفُ يقدره، واللسان يدعو له:  
"أطالَ اللهُ عمرك، وحفظك من كلِّ سوء، ونفع بك، ورفع الله منزلتك في الدنيا والآخرة".

ولا أنسى أن أشكر أساتذتي الكرام الذين تجشّموا عناء القراءة؛ للإفادة من  
ملاحظاتهم وتوجيهاتهم التي ستغني الدراسة، الأستاذ المعطاء الدكتور عبد الله العنبر،  
والأستاذ الدّمث الدكتور سمير استيائية، والدكتور القدير رئيس قسم اللغة العربية جعفر  
عبابنة.

## فهرس المحتويات

ب	قرار لجنة المناقشة .....
ج	الإهداء .....
د	شكر وتقدير .....
هـ	فهرس المحتويات .....
ط	الملخص باللغة العربية .....
ك	كلمة الباحثة .....
١	المقدمة .....
١٠	إطلالة نظرية .....
١٠	- اللسانيات .....
١٥	- اللسانيات الاجتماعية .....
١٧	<u>الباب الأول: الخطاب النبوي</u> .....
١٧	الفصل الأول: - بين يدي المصطلح .....
١٧	- الخطاب .....
٢٤	- الخطاب النبوي .....
٢٦	الفصل الثاني: - الخطاب النبوي .....
٢٦	المبحث الأول: - دوافع الخطاب النبوي .....
٢٦	- الدوافع العامة: دوافع إنسانية (دوافع خطاب "محمد الإنسان") .....
٣٠	- الدوافع الخاصة: دوافع نبوية (دوافع خطاب النبي المكلف) .....
٣٦	المبحث الثاني: - أصالة الخطاب النبوي .....
٤٣	المبحث الثالث: - سلطة الخطاب النبوي .....
٥٢	المبحث الرابع: - سمات الخطاب النبوي .....
٦٩	المبحث الخامس: - قيمة الخطاب النبوي وفاعليته .....
٧٥	المبحث السادس: - طرق الخطاب النبوي .....
٩٤	<u>الباب الثاني: عناصر الخطاب النبوي</u> .....
٩٤	الفصل الأول: - عناصر الخطاب النبوي: الرئيسية والفرعية .....
٩٦	المبحث الأول: - <u>العنصر الأول</u> : منشئ الخطاب النبوي (الرسول عليه السلام) .....

- المبحث الثاني: - العنصر الثاني: المتلقي ..... ١٠٥
- الخطاب النبوي بين المقام والمقال ..... ١١١
- مستويات الخطاب النبوي ..... ١١٤
- تنوع الخطاب النبوي حسب المتلقي من وجهة لسانية اجتماعية ونفسية ..... ١١٤
- الخطاب النبوي ومحور العلاقات في المجتمع الإسلامي ..... ١١٧
- خصائص الدين (المسلم/ غير المسلم) ..... ١١٧
- من خطابه عليه السلام مع فئات الناس ..... ١١٨
- خصائص الجنس (المرأة/ الرجل) ..... ١١٩
- خصائص السن (الصبي) ..... ١٢٠
- علاقات ودية (أهل بيت الرسول - عليه السلام- والصحابة) ..... ١٢٢
- فئات المستضعفين (العامل/ الفقير/ الأرملة/ المولى) ..... ١٢٥
- خصائص آخر (الأعرابي/ اليهودي) ..... ١٢٧
- الوضع السياسي (الأسير/ الوفود/ العدو) ..... ١٢٩
- خصائص ثقافية (العالم/ الجاهل) ..... ١٣٠
- المبحث الثالث: - العنصر الثالث: نص الخطاب النبوي ..... ١٣٣
- تأثير لغة الخطاب النبوي بشقيها: اللساني وغير اللساني في المتلقي ..... ١٣٧
- المؤثرات اللغوية غير اللسانية ..... ١٣٧
- بين حاستي السمع والبصر ..... ١٣٨
- الإشارات التلقينية غير اللسانية ..... ١٣٨
- المسافة المادية بين الأفراد ..... ١٣٩
- احترام إنسانية الإنسان ..... ١٣٩
- المدخل الحسي دافعاً للتأثير النفسي ..... ١٤٠



- ١٤١ ..... - بلاغة الفعل غير اللساني (الحركي)
- ١٤٢ ..... - الاستهلال الجيد والتلقي
- ١٤٣ ..... - تجليات الحوادث النفسية في السلوك غير اللساني
- ١٤٣ ..... - التأثير الحركي للكلمة
- ١٤٥ ..... - الود والعطف بين الأزواج
- ١٤٦ ..... - قارئ النفس البشرية
- ١٤٦ ..... - اعتذار لبق
- ١٤٧ ..... - حنو على الصغير
- ١٤٨ ..... - بشروا ولا تنفروا
- ١٤٨ ..... - الشعور الجمعي
- ١٤٩ ..... - المحتوى الاجتماعي للألفاظ
- ..... - تأثير الرسول - عليه السلام - في لغة الخطاب النبوي من الوجهتين الاجتماعية والنفسية
- ١٥٠ ..... -
- ١٥٢ ..... - الفصل الثاني: - العوامل الخارجية المؤثرة في الخطاب النبوي (السياق الخارجي)
- ١٥٥ ..... - تقسيم اللهجات إلى مستويات يمثل عليها في الخطاب النبوي
- ..... - تأثير الأعراف والتقاليد الاجتماعية في لغة الخطاب النبوي؛ ولغة المخاطب وأسلوبه وسلوكه، يشي بها فعل التواصل..... ١٦٢
- ١٦٧ ..... - بعض ما يدل على مظاهر النشاط الاقتصادي في لغة الخطاب النبوي
- ١٧٠ ..... - الباب الثالث: البيان في الخطاب النبوي
- ١٧٠ ..... - الفصل الأول: - الخطاب النبوي بين العقل والوجدان
- ١٨١ ..... - الفصل الثاني: - الصورة البيانية في الخطاب النبوي وتأثيرها النفسي
- ١٨٩ ..... - الفصل الثالث: - الاستعارة النبوية
- ١٩١ ..... - المجاز النبوي

١٩٤	- المثل النبوي .....
٢٠١	- القصة النبوية .....
٢٢٠	الخاتمة .....
٢٣٠	ثبت المصادر والمراجع .....
٢٣٨	الملخص باللغة الإنجليزية .....

ط

## الخطاب النبويّ في ضوء اللسانيّات الاجتماعيّة

إعداد

عريب محمّد علي عيد

المشرف

الأستاذ الدكتور جاسر خليل أبو صفية

المُلخّص

تتحقّق وظيفة الخطاب النبويّ بالنظر إليه في إطار عوامل رئيسيّة ثلاثة ينتظمها الموقف اللغويّ، وهي: المنشئ والمخاطب وعناصر الموقف بين كلام و أوضاع حسيّة، وتعدّ هذه العوامل الرئيسيّة موضوع الخطاب النبويّ، والرّموز اللغويّة في سياقها اللغويّ تتواءم مع هذه العوامل الثلاثة؛ ويُقصد بالتواءم أنّه إذا اختلف المنشئ، أو المخاطب أو عناصر الموقف وأحواله اختلف الرّمز اللغويّ وفقاً لذلك.

والرّسول - عليه السّلام - في خطابه المنشأ؛ يُدرّس في علاقته بنصّ الخطاب والمتلقّي معاً، ولا يُدرّس منفصلاً عن أيّ من هذين الرّكنين في فعل التّواصل، وإذا كانت دورة الخطاب النبويّ ترتكز على الذات المرسلّة، فالرّسول - عليه السّلام - هو المحور في هذا العمل؛ فمعرفة حقيقة الخطاب النبويّ وأهمّيّته وأبعاده ومقاصده لا تتأتّى إلا من معرفة شخص الرّسول - عليه السّلام - منشئ الخطاب، والعوامل المؤثّرة فيه، فهو الذي يعطي الخطاب النبويّ روحه وحياته؛ بما يزخر به من أفكار وصور وأحداث ووقائع متنوّعة تبتّ قوتها في المتلقّين، وتحدّث فعلها فيهم. وقد اعتنت الدّراسة بدور الرّسول - عليه السّلام - منشئ الخطاب النبويّ، لا متلقّي خطاب الصّحابة أو أيّ من النّاس لأمرين: لأنّ الرّسول - عليه السّلام - منشئ لفظ الحديث النبويّ فيما روي عنه في الصّحاحين، ولأنّه المرسل الأهمّ في متن الحديث النبويّ في فعل التّواصل مع الصّحابة المخاطبين وغيرهم.

فالرّسول - عليه السّلام - غني في خطابه النبوي بالمتلقّي، فغرضه عليه السّلام تحقيق التأثير الذي يعطي خطابه فاعليّته، مستنداً في ذلك إلى تنوّع إجراءات التّعبير بين اللّسانيّ وغير اللّسانيّ، ومستعيناً بالعاملين الاجتماعيّ والنفسيّ اللّذين يعدّان عاملين حاسمين في إحداث التّفاعل بين أطراف الخطاب، وحتى يُؤتي فعل التّواصل النبويّ أكله كان الرّسول - عليه السّلام - يراعي خصائص مخاطبه الاجتماعيّة والنفسيّة؛ لإحداث التّفاعل بين طرفي الخطاب، بمفهوم

الاستجابة الناتجة عن الاتجاهات والمعتقدات والمعايير الاجتماعية والنفسية والدينية التي تعدّ بمنزلة منبّهات لعدد كبير من مواقف الحياة الإسلامية في بيئة المخاطبين.

فنصّ الحديث النبويّ موجّه لمخاطبين اثنين: المخاطب العينيّ الخاصّ: المقصود به مشاهد الرّسول - عليه السّلام - أو السّامع له في فعل التّواصل النبويّ في الدّائرة المحدودة والضّيقة، والمخاطب الذهنيّ العامّ: المقصود به المسلم الحاضر في ذهن الرّسول - عليه السّلام - في الدّائرة الأبعد والأشمل والأعمّ لفعل التّواصل النبويّ.

ولا يُتناول الخطاب النبويّ - أو أيّ خطاب - بعزل السّياق اللّغويّ الثّبويّ: اللّسانيّ أو غير اللّسانيّ عن السّياقين غير اللّغويين: سياق المقام والسّياق الخارجيّ الأوسع، فجميعها تتعاضد في تشكيل لغة الخطاب النبويّ التي تعدّ أصدق سجل يبيّن واقع المجتمع الإسلاميّ في عهد النّبوة بنظّمها وتقاليدها وعقائدها واتّجاهاتها العقليّة وشؤونها الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، وبيئتها الجغرافيّة... إلخ.

فاتّصّاله عليه السّلام اللّغويّ هو اتّصال اجتماعيّ ونفسيّ، متحقّق في شفاهية خطابه عامّة، وصوره الحركيّة خاصّة المنبثقة من ثقافة حياتيّة، وطريقة في التّفكير ملهّمة، وتصور للأشياء مدروس، وكلّ ذلك له صلة وثيقة بالحياة الإنسانيّة التي يمكنها استيعاب الواقع الموضوعيّ للمجتمع المسلم ضمن العلاقات الإنسانيّة المألوفة.

وإنّ عُدّ الخطاب النبويّ نصّاً دينيّاً له قدسيّته، ومكانته ودوافعه وخصوصيّته وسلطته وطرقه؛ فهو ليس كأيّ خطاب أدبيّ أو لغويّ يمكن إخضاعه لمقاييس علوم لغويّة حديثة ومعاصرة بكامل مبادئها، واستعمالاتها، وإن انطبق عليه بعضها.

ومع ذلك فقد حقّق خطاب الرّسول - عليه السّلام - بوصفه رمزاً لرسالته اللّغويّة وتنبيّها للسّامع وظائف ثلاثاً، فهو **خطاب**: معبرٌ ومُوصِلٌ ومؤثّر، فخطابه النّمودج لم يقف عند حدّ الإبلاغ؛ بل تجاوزّه إلى تحقيق دور البلاغة وجمال الأسلوب في أقصى حدوده؛ وهذا لا يمكن تحقيقه إلا من الاهتمام الجليّ بمختلف عناصر فعل التّواصل اللّغويّ الثّبويّ في سياقه الاجتماعيّ والنّفسيّ.

## الخطاب النبويّ في ضوء اللسانيّات الاجتماعيّة

يكمن تأثيرُ الخطابِ النبويّ الفعّال في أنّ الرّسول -عليه السّلام- جعل اللّغة ملكاً لمنشئها، وتحت تصرفه، وإنّ كانت مشاعاً بين النّاس؛ فأبدع بها نصّاً عظيماً، ليس فيه صورة لنفسيّة فرد؛ إنّما هو مرآة تكشف نفس كلّ فرد.

فلقد قاد النّاس بالكلمة، فانقادت له طواعية وسُخّرت لخدمته، فحملت أفكاره ومواقفه ومبادئه السّامية؛ فتحدّدت بذلك ملامحها التّبويّة واستوعبت مع معناها المعجميّ قيم الدّلالة النّفسيّة والاجتماعيّة والدينيّة في خطاب النّبوة، فصارت للكلمة به حياة؛ وسيبقى لها سبب الوجود.

الباحثة

## المقدمة:

في خضم أشكال قراءة النص الأدبي تتعدّد الرؤى التي من شأنها أن ترسي الأساس لإطار المنهج المتبع الذي يمدّ بأدوات تستخدم في فعل التفسير الذي تتميز به الافتراضات التأويلية لمجموع الخصائص العامة التي ينتمي إليها كل نص.

ومن هنا فإنّ قراءة التراث منهج لا يعوزه التأسيس اللساني في حدّ ذاته، فكلّ قراءة في اللسانيات العامة هي تفكيك لرسالة قائمة بذاتها، وما الخطاب الإسلامي - بوصفه تراثاً - إلا موجود لغويّ قائم، بوصفه مجموعة من الدوال المترافقة، كما أنّ إعادة قراءته هي تجديد لتفكيك رسالته على امتداد الزمن، وهي بذلك إثبات لديمومة وجوده.

والخطاب الإسلاميّ يتمثل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو متعدّد ومتباين؛ لأنّه يبيّن تفسيرات متعدّدة ومتباينة لهذه النصوص، تعبيراً عن تباين مواقف فئات اجتماعية ومطامحهم التي تتخذ من تأويلها للقرآن والسنة متكاً لمشروعيتها، وحاملاً لقيمتها وسنّها لممارستها.

والخطاب النبويّ من هذا التراث الإسلاميّ، وهو رسالة لسانية وشهادة عن رسالة عقديّة، وفضاء يتسع بوصفه نصّاً ثقافياً، ينتمي في إنتاجه بالضرورة إلى مجتمع تحكمه أعراف ومعتقدات وتوجيهات وقيم خاصّة، ويسعى إلى أن يضيف إليها أو يُبصر بها أو يعدّل عليها أو يبني معتقدات وأعرافاً يراها الأجدد بروح العصر.

إنّ إعادة قراءة التراث بما يُسمى المنهج "السلفي" - كما يصطلح عليه زكي نجيب محمود - بمنزلة البحث في خبايا التراث اللغويّ؛ ففيه إدراك أسرار العلم اللسانيّ الحديث من جهة، وتقديم التفكير التاريخي في الظاهرة اللغوية بمنظور حديث من جهة أخرى<sup>(١)</sup>.

لذا فإنّ قراءة الخطاب النبويّ لا تقف عند قراءة لسانية محضة، تُقدّم ممارسات هذا الخطاب من زاوية نصيّة خالصة، وتقف عند حدود الوضع الشكليّ، وتبعده عن كلّ تفسير إرجاعيّ، أو تركّز على صيغته اللغوية وتعبيره البيانيّ وعلاقات الدوال القائمة فيه ببعضها، أو تتعامل معه في نطاق التأمل الذاتي لفصاحة قائمة على معطيات بلاغية حسّية؛ بل تُبرز هذه القراءة ما فيه من

(١) انظر المسديّ، عبد السلام (١٩٨٦)، التفكير اللساني في الحضارة العربيّة، ط ٢، تونس: الدار العربيّة

للكتاب، ص ١٤.

وجوه البيان من وجهة داخلية، تربطه بالواقع الاجتماعي الخارجي وحركته الزمانية التي حققت مضامينه الفكرية والإنسانية بما يندرج تحت علم "اللسانيات الاجتماعية".

لقد كثرت المناهج النقدية التي تناولت النص من داخله، ولا سيما الجانب البيوي، ومنها ما يسعى إلى دراسته من الخارج، كاتجاهات ما بعد البنيوية كنظريات التفكيك والتأويل والسيمولوجيا، ولعل "نظرية التلقي" التي راجت في السبعينيات من الطرق الحديثة لقراءة النص، إذ تعتني بأبعاد ثلاثة (المؤلف والقارئ والنص)، فقد ظهر دور المتلقي في بناء المعنى، وإنتاجه وتغذية التفسير اللساني بمرجعيات ذاتية قائمة على الفهم؛ وأعطت هذه النظرية للمتلقي دوراً بارزاً في فعل التواصل اللغوي.

ولأن المفردات اللغوية النبوية ذات مفاهيم خاصة، ينبغي قراءتها قراءة جديدة، وإبراز مضامينها التي تصلح للبحث العلمي اليوم ولـ "علم اللسان الحديث" بشكل خاص، مع مراعاة عوامل البقاء أو التغير في معانيها، فيتم بذلك الجمع بين معرفة ما قاله النحاة اللغويون العرب القدامى، والإلمام بعلم اللسان الحديثة النظرية منها والتطبيقية، مع ضرورة الجزم أن المدخل الصحيح لسبر غور أي نص أدبي لغته؛ فهي العامل الأساسي الذي يفضي إلى عوالم مختلفة، وإن كانت ثمة عوامل أخر فهي عوامل مساعدة، وليست رئيسية، وقد يشكل هذا صعوبة لدى الباحث اللغوي؛ فهو يجد شروحات على كتاب الله وكتب التراث العربي نثرًا وشعرًا أوفر مما ألف في البيان النبوي وأغزر؛ فهي لا تُعنى باستبطان اللغة والغوص وراء البيان النبوي قدر عنايتها باستخلاص حكم شرعي أو أخلاقي أو عقدي.

كما أن فكّ علامات الخطاب النبوي معتمدة النحو العربي وعلم المفردات والبلاغة وعلم المعاني حسب من الأدوات اللغوية غير كاف؛ ولكن المناهج الحديثة في إطار الفكر العربي مثل تاريخ الأديان، والأديان المقارنة، و"علم الاجتماع" و"علم الإنسان الديني" و"علم النفس الاجتماعي" و"التحليل النفسي" و"اللسانيات" قد تساعد في جلاء جوانب غفلت عنها الأدوات التقليدية المطروحة لدى كثير من الباحثين العرب، كما في كتب التفسير الإسلامي القديم وكتب أصول الفقه؛ ولعل هذا الطرح قد يثير فزع الخطاب الإسلامي؛ خشية التضحية بكلام له قدسيته من القرآن والسنة، ويدفع إلى الاتهام بعدم براءة البحث، أو عدم الاتصاف بالحياد في توظيف المناهج الحديثة في قراءة النص النبوي الشريف، ولا حل لهذا التعارض إلا البحث عن موقف جديد يتقبل مناهج الدرس المعاصر؛ ومحاولة إثبات أن الحديث النبوي يمتلك حتى اليوم طاقة إثارة رمزية، بعيداً عن قراءته قراءة تاريخية تقليدية، فهذه محاولة لقراءة جديدة بالربط بين اللغة

بوصفها ظاهرة اجتماعية والواقع كما هو متغيّر ومتنوّع، بالدخول إلى النصّ النبويّ، والغوص فيه والانتقال من ظاهره النصّيّ إلى باطنه المعنويّ، بالاستعانة بالنظريّات العلميّة الحديثة، وأدوات المعرفة المنهجية الجديدة المتاحة اليوم، دون إغفال المراجعات الإجمالية للقراءات المختلفة للنصّ النبويّ منذ ظهوره؛ أي دراسة تاريخ كتابة النصّ النبويّ مع محاولة فهم كلّ الملابس السياسيّة والاجتماعيّة والنفسية والثقافيّة والتاريخيّة التي واكبت هذا النصّ وأثرت في تشكيله.

فالزمن النبويّ المحدود يعيدُ غرسه في الزمن الحاضر والمستقبل اللامحدود؛ فالتعامل مع الخطاب النبويّ بوصفه وحدة دلالية كليّة لها مركز وأطراف هو تعامل نابع من نموّ الظاهرة الإسلاميّة في التاريخ؛ فهو يحوّل الآنيّ والتاريخيّ إلى مجال الدائم والأبديّ في سيمياء لغة الحديث النبويّ الخاصّة على مستوى بنيتها الكليّة من جهة (المنشئ - المتلقّي - الرسالة)، أو على مستوى مخاطبتها للوعي الكليّ عن طريق القلب أو العقل من جهة أخرى، فاللغة النبويّة وطيدة الصلّة بأفكار النّاس وأحاسيسهم وأعمالهم، وهي أساسيّة وعميقة الأثر في السلوك الإنسانيّ في حياة المسلم فرداً، وفي حياته الاجتماعيّة مع الآخرين.

لذا فدراسة النصّ النبويّ تفرض استخدام مصطلحات السياق والفكر والخطاب، ولا بدّ من اختلاف طرق التفسير والتصنيف والأدوات لاستخلاص رسالة النصّ، والالتفات إلى سياقاته المختلفة: سياق القول والسياق الاجتماعيّ والسياق المرجعيّ وتوظيف الخطاب وربطه بأيّ خطاب آخر، دون تحييد لعلاقة النصّ النبويّ بالواقع والثقافة الإنسانيّة والإسلاميّة المحيطة.

فلا يمكن اعتماد مستوى واحدٍ من مستويات اللغة النبويّة في التفسير اللغويّ أو الإشارة إلى جملة بمعزل عن السياق؛ فيجبُ دراسة النصّ النبويّ الكامل داخل السياقات المختلفة التي تؤدي إلى تفاعلٍ بين طرفي الخطاب، وتكشف عن رؤية الرّسول - عليه السّلام - واعتقاده، وتبيّن الطرق المستخدمة في التركيب لمخاطبة المتلقّي المسلم، فاللغة تتفاعل مع السياق الخارجيّ في عالم الخطاب، وللکلام وظيفته الاجتماعيّة، فهو وسيلة اتّصال ف (لكلّ مقام مقال)، بالنظر إلى الفروق الاجتماعيّة بين الأفراد، فالرّسول - عليه السّلام - منشئ الخطاب النبويّ - والمتلقّي المسلم يتجاوزان اللغة النصيّة في الحديث النبويّ بمحموله الفكريّ والعقديّ وعلاقته بالواقع، فيتفاعل كلّ منهما مع النصّ؛ الذي ينتج بدوره تفاعلاً بين الرّسول - عليه السّلام - والمتلقّي المسلم في سياق المجتمع الإسلاميّ.



وأضف إلى ذلك أنّ الخطاب النبويّ فيه استجلاء أسرار النفس، وذكر صفاتها وحالاتها؛ ممّا يساعد في تكوين معرفة في مكونات النفس الإنسانية في صحتها ومرضاها واستوائها وانحرافها، على اختلاف مستوياتها الفكرية والدينية، وتباعد أماكنها وأزمنتها؛ لمعالجة هذه النفس على أساس سليم، وتربيتها وتقويمها، فلإسلام نظرة خاصّة فيها، تنبني عليها كلّ توجيهاته وتشريعاته، وهذه النظرة متمثلة في آي القرآن والأحاديث النبوية، فقد كان الحديث النبويّ التفسير الواقعيّ للقرآن؛ ومع ذلك فالحديث النبويّ ليس كتاب نظرياتٍ نفسيةٍ أو علميةٍ أو فكريةٍ؛ ولكنّه يحوي التوجهات الكاملة والكامنة لإنشاء هذه النظريات، فهو خطابٌ تربيةٍ وتوجيه، وفيه ما يكشف عن بعض أسرار نفس الإنسان وأسرار الكون حوله، فهو خطاب ينشئ النفوس على النهج المستقيم؛ فليس "علم النفس" من يتحدّث عن النفس حسب كما يذهب إلى ذلك محمد قطب، فالنفس والأدب والاجتماع والتاريخ وغيرها من العلوم والحياة الواقعية بأكملها هي الحديث الصادق عن النفس؛ لأنها تتحدّث عنها في بيئتها الطبيعية، بيئة الحياة<sup>(١)</sup>.

ومن هنا فالحديث النبويّ يعدّ واحدًا من ضروب الأدب، وهو الميراث الروحيّ الذي تركه الرسول - عليه السلام - للمسلمين في معترك الحضارة المادية المعاصرة التي أهملت الجانب الروحيّ على حساب المادي<sup>(٢)</sup>.

ومن جملة أغراض الدراسة الكشف عن الآثار النفسية في متلقي الخطاب النبويّ البليغ بدوّاله المتماسكة بلسان الرسول - عليه السلام - المبين، سواء أكانت بلاغة الخطاب: بلاغة قول أم بلاغة فعلٍ إشاريٍّ، في محاولة الاقتراب من فضاء النصّ النبويّ بفعل تبني منهج التفسير النفسيّ الذي يقوم عليه فهم معيّن للقراءة التي ترتبط بالدور الذي يقوم به منشئ الخطاب النبويّ، الرسول - عليه السلام - بما يملكه من حقائق في الذات الإنسانية المستمدة من نفس ملهمة ومستوى خبرة إنسانية ممتدة؛ فالخطاب النبويّ يختزن في مظانّه شعور "الأنا" الجمعيّ والوجدان النبيل والوعي العقلانيّ والتاريخ الإنسانيّ بخيره وشره، الموجّه لمتلقّي النصّ النبويّ من مختلف شرائح المجتمع الإسلاميّ، ولعله يتجاوزه للعالميّ شفهيّاً أو مسموعاً أو مكتوباً، مبيّناً ما يولّد فيه من روح التفاعل مع الخطاب ضمن الأطر النفسية والاجتماعية التي تحيط بالموقف النبويّ، مع

(١) انظر قطب، محمد (د.ت)، دراسات في النفس الإنسانية. د.ط، القاهرة: دار القلم، ص ١١.

(٢) انظر قطب، المرجع نفسه، ص ٦٢-٦٣، يتحدّث المؤلف في النظم التي حاولت الفصل بين القيم الروحية والقيم المادية، فمنها ما أهمل الروح، ومنها ما أهمل الجسد؛ فكانت الفجوة؛ فجاء الإسلام منصفاً الإنسان بعالميه: الجسديّ والروحيّ.

محاولة الربط بين الخطاب والأسلوب النفسي لتوضيح معالم الاستدلال والإحساس في المتلقي باستقراء الخطاب النبوي، بوصفه نصاً يوضح الضمير الجمعي الإنساني عمومًا والإسلامي خصوصًا؛ لتكوين حياة المسلم الواعية في تناغمها مع حياة الرسول - عليه السلام - امتدادًا للعصور الإسلامية اللاحقة، في نصّ يستدعي أسرار الحياة الخفية واستشراف المستقبل الذي يقرن بالدعوة الإلهية والتعبير النبوي الداعي إلى الخير وهداية الناس وتقصي الحقيقة.

وإن حقيقة الأسلوب النفسي المقترن بالاجتماعي المتبع في الدراسة يتجاوز القراءة التأويلية، واستنطاق النص لمقومات الخطاب النبوي في علاقات السياق المشروطة التي يحددها النص النبوي، دون إسراف في تطبيق النظريات النقدية الحديثة حرفيًا على الخطاب النبوي أو تقول وتأويل مربكين.

فما قام به الرسول - عليه السلام - من مواقف، وما قاله من توجيهات هو في صميم المفاهيم التربوية والأسس الاجتماعية والنفسية لنمو الإنسان المسلم في حياته بمختلف مجالاتها، وتسعى الدراسة إلى تحديد مضمون المعنى في الخطاب النبوي والمحتوى في المواقف والعناصر لذلك التعبير بالاستعانة بالمفاهيم الحديثة في الخطاب، فلا يُحمل النص النبوي ما لا يتبينه لغته، ولا يُحمل الموقف النبوي ما لا يقتضيه من مبادئ نبوية ثابتة، وأهداف إسلامية مقررّة، دون تكلف عملية الصّب في قوالب نظرية مُعدّة، وإثما بكلّ علمية هي محاولة لوضع الإرشاد النبوي والسلوك اللغوي الصادر عن الرسول - عليه السلام - في معالجة بالمعايير النفسية والاجتماعية، وإن قيل إنّ في هذه الدراسة نوعًا من التكلف في فهم مواقف نبوية كانت قبل أكثر من أربعة عشر قرناً في ضوء مفاهيم علم النفس الحديثة والمناهج النقدية اللغوية المعاصرة، فيقال إنّ هذه الدراسات الحديثة خضعت في مجالاتها إلى التجربة والتقنين والاختبار والتأمل، ولاقت شيئاً من النجاح والرواج؛ وما ذهب إليه عز الدين إسماعيل منطقي؛ في أننا لسنا نجد سنداً قوياً للمعارضين محاولة تفهم الأدب القديم في ضوء التفسير النفسي؛ بل على العكس من ذلك، ففي ذلك ضرورة ملحة للاستضاءة بالماضي في إدراك قيمة الحقيقة الحاضرة من جهة، ولفهم الماضي في ضوء هذه الحقيقة من جهة أخرى<sup>(١)</sup>، وذلك دون ادّعاء أنّ الأدب أو الفن يمكن تفسيره من جميع جوانبه في ضوء "علم النفس"، فهذا العلم قادر على تفسير بعض الجوانب التي ظلت غامضة في الماضي؛ فوظيفة اللغة من الناحية النفسية ليست في التفسير والتركيب، بقدر ما هي في إحداث استجابات لدى الأفراد، فهي تعدّ مظهرًا من مظاهر السلوك الإنساني الذي يكشف عادات الفرد

(١) انظر إسماعيل، عز الدين (١٩٦٣)، التفسير النفسي للأدب، دط، دار المعارف، ص ٢٢.

اللفظية وأسلوبه في التعبير وشخصيته؛ وإذا كانت وظيفة اللغة الأساسية التعبير عن الأحاسيس، ثم تبليغ الأفكار بين المتخاطبين، فهي وسيلة للتفاهم والتواصل من الوجهتين الاجتماعية والنفسية كذلك.

ونتائج الدراسة لا تعدّ تقييداً لقارئ الخطاب النبويّ على اختلاف مستوياتهم واتجاهاتهم، وما الوقوف على نظريتي "تحليل الخطاب" و"التلقي" في دراسة الخطاب النبويّ في ضوء اللسانيات الاجتماعية والنفسية إلا اجتهد بمقدار ما فتح الله عليّ من طاقة، فهي محاولة استكشاف الأنساق والأنظمة التي تحكم هيكل الخطاب النبويّ، وتبني نصّه؛ وصولاً إلى بيان دلالاته، وربطها بسياقها الاجتماعيّ الإسلاميّ، فإنّ دراسة اللغة دون الإشارة إلى المجتمع دراسة غير دقيقة؛ لأنّ اللغة سمة اجتماعية، وهذا الارتباط بين دراسة اللغة واستعمالها في السياق ما تؤكده الدراسات البلاغية العربية القديمة<sup>(١)</sup>.

وقد تمثل الاتجاه التواصليّ في مناهج كثيرة، منها: الدراسات التداولية<sup>(٢)</sup> و"النحو الوظيفي" و"اللسانيات الاجتماعية"، و"تحليل الخطاب" في المرحلة المتأخّرة، وذلك بربطه بسياق إنتاجه؛ إذ انفتح في تفسيره على كثير من العلوم مثل "علم الاجتماع" و"علم النفس" وغيرهما، وإن اختلفت الزاوية التي يتناولها العلم في التواصل، فعالم النفس ينظر إلى الذات المتحدّثة، وعالم الاجتماع إلى الجماعة الناطقة، واللسانيّ إلى اللغة، والمنطقيّ إلى المرجع ... إلخ.

وإذا كانت حركة دراسة الأبنية اللغوية للتّصوص قد نشطت في الرّبع الأخير من القرن العشرين في إطار المنهج اللّغويّ التّحويليّ التّوليديّ، فإنّ "علم اللغة النفسيّ" مدين لهذه النظريّة<sup>(٣)</sup>؛ إذ يُعنى بابتكار نماذج للسلوك اللّغويّ مبنيّة على النظريّة في الكفاية والأداء؛ فمنها يكتسب أفراد الجماعة الإنسانيّة كفاية الاتّصال اللّغويّ الاجتماعيّ بوعي أو بغير وعي، فاللغة تعدّ أوضح سمات الانتماء الاجتماعيّ للفرد، وثمة من يطلق على اتّصال اللغة الواضح بالعلوم

(١) انظر قول بشر بن المعتمر في "المقام والمقال"، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، د. ط، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الفكر، ١٩٤٨، ١/١٣٦. وانظر

التوضيح من الدراسة، الباب الثاني، الفصل الأوّل "الخطاب النبويّ بين المقام والمقال"، ص ١١١.

(٢) التداولية في مفهومها العام: "دراسة الاتّصال اللّغويّ في السياق"، وتهتم بالخطاب من جوانب ثلاثة: الأفعال الكلاميّة والقصد أو المعنى التّداوليّ والإشارات، انظر الشهريّ، عبد الهادي بن ظافر (٢٠٠٤)، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغويّة تداوليّة، ط ١، ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدّة، ص ٢٢.

(٣) انظر عبده، داود (١٩٨٤)، دراسات في علم اللغة النفسيّ، ط ١، مطبوعات جامعة الكويت، المقدّمة، ص ٩.

الاجتماعية "علم اللغة الاجتماعي"، من قِبَل أنه يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع، أمّا دراسة المجتمع في علاقته باللغة فيطلق عليه "علم الاجتماع اللغوي"، فالاختلاف بين العلمين ليس اختلافاً بالغا، إنّما في محور الاهتمام لدى الدّارس في دراسته اللغة أو المجتمع<sup>(١)</sup>، ويعدّ "علما اللغة الاجتماعي" و"اللغة النفسي" فرعين من فروع "علم اللغة التطبيقي" - المنبثق عن الدّراسات اللسانية في العصر الحديث في القرن العشرين - الذي يدرس القوانين اللغوية والعوامل المؤثرة فيها: وظيفية أو نفسية أو حيوية أو اجتماعية، ويقف على العلاقات الدّاخلية التي تربط اللغة بعضها ببعض، والخارجية التي تربطها بغيرها من الظواهر غير اللغوية.

والحديث النبوي الشريف ليس علامات لغوية بما تحويه من دلالات وخبرات يومية حسب، بل هو أعمق من ذلك وأرحب، فهو خبرات مشتركة، ومعان جامعة للنفس البشرية تنهياً في سياق النصّ النبوي وتآلف معه، ولا تخرج عن النبض الحي للحياة العربية الإسلامية، فخطابه عليه السّلام ينساب إلى المشاعر، ويلامس الأحاسيس ويثيرها طمعا أو خوفاً، فرحاً أو حزناً... إلخ، بما يحمله هذا الخطاب بألفاظه وتراكيبه وأساليبه من قدرات إيحائية وشحنات تأثيرية تثير النفس، ولا عجب؛ فالرسول - عليه السّلام - قد خبر أخلاق النّاس، وامتنحن نفوسهم المتغيرة وطبائعهم وأمزجتهم وأخلاقهم؛ فسّهلت له هذه الخبرة مراعاتهم ومعرفة مفاتيح خطابهم، وعوامل الرضا والغضب والهدوء والثورة فيهم.

وللغة وظيفة اجتماعية؛ لأنّها وسيلة التواصل والتفاهم بين أفراد الجماعة اللغوية المتجانسة، ولها وظيفة مادية - تجوّزا - لأنّها وعاء الفكر وبغيتها البيان، ولها وظيفة التعبير الوجداني كذلك؛ فالمشاعر الإنسانية جزء لا يتجزأ من حياة الفرد؛ فهو يفرح ويغضب ويحب ويكره؛ ولذا وُجد في أساليب العربية التّعجب والمدح والدّم والاستغاثة والتدبة... إلخ، ولكل منها تأثيره النفسي سلبيّاً أو إيجابياً في المتلقّي، ضمن شروط معينة منها: القصد والصياغة وسياق الحال واستعداد المتلقّي وشخص الباث (المنشئ)، ولما كان هذا الباث هو الرسول الأعظم، فكان لازماً أن يكون له الأثر الكبير والجلي في تقبّل المسلمين أفعاله وأقواله، فقد كان موضع تأثير فيهم، فهو محور حياتهم الدّينية والدنيوية، يعيش بينهم ومعهم، ويخالطهم في جميع صروف الحياة واختلاف

(١) انظر هـدسون (١٩٨٧)، علم اللغة الاجتماعي، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، تعريب: محمود عياد، راجعه: عبد الأمير الأعسم وقدم له، ص١٩/ يشير سمير استيتية إلى أنّ الاختلاف بين العلمين في مستوى معالجة اللغة، فعلم اللغة الاجتماعي يمس اللغة بعمق، وأمّا الآخر فيمسه برفق، ملاحظة بيّنها في مناقشته الدّراسة في مجمع اللغة الأردني، الأحد، ٢٤/٧/٢٠١١.

أحوالها، وهو أحرص الناس على جبر القلوب وتطبيب الخواطر، يتفقد أصحابه كباراً وصغاراً، ويتحدث إلى ذوي الأقدار وعامة الناس، مراعيًا نفسيّة مخاطبه في القول والفعل.

وكلام النبيّ - عليه السّلام - المحفوظ بين أيدينا من أقوال أو أفعال<sup>(١)</sup> إمّا معاهدات ورسائل كتبت في حينها، وإمّا خطب وأدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة كتبت بعد حينها، وروعت الدقة في روايتها قدر المستطاع، ليست محط اهتمام الدراسة، أمّا الأحاديث النبويّة التي جمعت في الصحيحين، فهي محطها، تلك التي تعهّدها الرواة بعد حفظها في الصدور بالجمع، ثمّ التدوين في شروط منضبطة، تضمن صحّة السّماع والتّقل إلى حدّ ما يسمح اعتماد ما وصل إلينا في مدوّناتهم والأخذ به أو عنه، مصدرًا ثانيًا للتّشريع الإسلاميّ بعد القرآن الكريم، لا فرق بينه وبين النّص القرآنيّ إلا في اختلاف أسلوب كلّ منهما ووحيه.

والدراسة لا تسعى إلى الوقوف على صحّة ما وصل إلينا عن النبيّ - عليه السّلام - من أخبار وأحاديث وروايات، فهذه الغاية روادها وطالبوها، فكتب مصطلح الحديث وعلم الرجال وغيرها تكفّلت بهذه المهمّة، وكتب الأحاديث وشروحها اعتمدت منهج الجرح والتّعديل، فأغنت عن هذا المطلب.

كما لا يعني الدراسة الوقوف على قضايا أشبعت بحثًا في الحديث النبويّ الشّريف مثل: الاحتجاج بلغته عند النّحاة العرب القدماء، أو تعدّد الروايات للحديث الواحد، أو أن تكون الرواية بالمعنى للحديث بلغة الراوي، وليست بلغة الرّسول - عليه السّلام - أو قضيّة تدوين الحديث وغير ذلك، إمّا تحاول الدراسة أن تقدّم قراءةً جديدة لنصّ الخطاب النبويّ بعده علامة لغويّة لها خصوصيتها؛ فهي شهادة لرسالة إلهيّة، تترتب عليها أحكام شرعيّة.

وإن تناولت الدراسات الحديث النبويّ من نواح مختلفة منها: اللّغويّة والنّحويّة والأسلوبية والدلاليّة والبلاغيّة والدينيّة والإعلاميّة إلى غير ذلك، فأزعم أنني لم أجد فيما وقعت عليه من القراءات دراسة لغويّة موضوعيّة متخصصة تناولت لغة الحديث النبويّ من قبل أثرها الاجتماعيّ والنّفسيّ في المتلقّي، أو مدى سلطة الخطاب النبويّ في سلوك المسلم وخطابه وأصالته إلا عرضًا، ولا شكّ أنّ دراسة المسائل اللّغويّة من وجهة نظر علميّ الاجتماع والنفس الفرديّ من أكثر الدراسات عناءً؛ لمحاولتها الولوج إلى النفس الإنسانيّة بعقدها المختلفة وتداخلاتها المتفاوتة ونتائجها المضطربة.

(١) انظر المتقي الهندي، علاء الدّين عليّ بن حسام الدّين (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال،

ط١، (تحقيق محمود عمر الدّميّاطي)، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٩٩٨.

ولعلّ هذه القراءة الاجتماعية والنفسية لأغنى نصّ لغويّ، وأجلّ خطاب بعد القرآن الكريم تبين العلاقة بين دواله ومدلولاته، وتربط الحدث اللسانيّ النبويّ بمقتضيات الحيويّ (البيولوجي) والاجتماعيّ والنفسيّ الفرديّ في الوقت نفسه، وهي في ذلك إثباتٌ لديمومة هذا النصّ النبويّ وتجددّه، والحاجة إليه مع تقادم الزّمن، وصلاحيّته لكلّ زمان ومكان. وتعتمد الدّراسة الطّريقة الوصفية والدّلائية منهجاً في البحث، والغرض منها الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ❏ ما دوافع الخطاب النبويّ وسماته الاجتماعية وأصالته؟
- ❏ ما سلطة الخطاب النبويّ وقيّمته وفاعليّته الاجتماعيّة؟
- ❏ كيف تعدّدت طرق الخطاب النبويّ حسب المتلقّي؟ وما الأثر النفسيّ فيه؟
- ❏ ما عناصر الخطاب النبويّ؟
- ❏ ما العوامل المؤثّرة في الخطاب النبويّ؟
- ❏ ما أثر شخص الرّسول — عليه السّلام — في تقبّل المتلقّي السّامع والقارئ خطابه؟
- ❏ ما أثر لغته عليه السّلام في حديثه بشقيه: اللّسانيّ وغير اللّسانيّ في النّفس الإنسانيّة؟
- ❏ ما العوامل الاجتماعيّة والنفسية والدينيّة والسياسيّة والاقتصاديّة التي تدفع المسلم إلى تأثر لغة الرّسول — عليه السّلام — ثمّ اتّباعه؟
- ❏ ما المعاني النفسية في الحديث النبويّ في بعض الأساليب اللّغويّة، مثل: الصّورة البيانيّة والقصة وضرب الأمثال؟

## إطلالة نظرية:

### اللسانيّات

"اللسانيّات" (Linguistics)، وفي الفرنسية (Linguistique) : هي مصطلح غربيّ ظهر في القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup>، وهو علم حديث نسبياً، ومن أحدث العلوم الإنسانيّة عهداً، وقد تبوّأ مركزاً متقدّماً في دائرة العلوم الإنسانيّة، جعله في موقع الصّدارة. وقد عُرفت مطلع القرن العشرين ثورة على المناهج التي ألحّت على دراسة الأثر الأدبيّ من الدّاخل، وركّزت على النّص أوّلاً.

وأصبح هذا المصطلح الأوروبيّ عالمياً سائداً منذ السّتينيّات<sup>(٢)</sup>، و"اللّسانيّات" درّس الظّاهرة اللّغويّة درساً علمياً<sup>(٣)</sup>، وما زال بعض الدّارسين المحدثين يتداولون ألفاظاً آخر في الدّلالة على هذا العلم: "الألسنيّة"، و"علم اللّسان العامّ" و"علم اللّسان البشريّ" و"علم اللّغة" و"اللّغويّات"<sup>(٤)</sup>، وقديماً استعمل القدماء "علم اللّغة" للدّلالة على هذا العلم، وبعضهم اختار "فقه اللّغة" (philology)<sup>(٥)</sup>، ويندرج تحت هذا العلم من الدّرس اللّسانيّ العربيّ مفردات اللّغة ودلالاتها ونموّها وجمعها في معاجم.

و"اللّسانيّات" تتداخل مع مجموعة من العلوم، ويجمعها غرضٌ واحد، هو دراسة السّمات اللّغويّة لدى الإنسان، فهي تكشف عن القوانين اللّغويّة التي تسير وفقها اللّغة من قبّل أدائها لوظائفها وعلاقاتها بغيرها وتفهمها، وتقف على العلاقات الدّاخلية التي تربط اللّغة ببعضها ببعض،

(١) **Lingua** : لسان، لغة / **Linguistic**: The study of human speech including the units,

nature, structure, and modification of language. **Webster Dictionary**

(٢) انظر علم اللّسانيّات في القرن العشرين، سامي، حنا والرّاجحيّ، شرف الدّين (١٩٩١)، مبادئ علم اللّسانيّات الحديث، د.ط، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، ص ٤٣-٦٧.

(٣) انظر الموسى، نهاد (٢٠٠٨)، **حصاد القرن (المنجزات العلميّة والإنسانيّة في القرن العشرين)**، ط١، عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان، ص ٢٩.

(٤) انظر الموسى، المرجع نفسه، ص ٢٩.

(٥) **Philologia**( in Greek): from **/Philology**: The study of literature and relevant fields.

phil + logos” word, speech”: Love of learning and literature. **Webster Dictionary**

والخارجية التي تربطها بغيرها من العلاقات الاجتماعية والنفسية... إلخ؛ مما يضيف فروعاً جديدة إلى "علم اللسان" - فاللغة المحور الذي تدور فيه الدراسات الإنسانية - مثل بعض الدراسات الطبيعية والتطبيقية في العصر الحديث نحو: "علم اللغة العام"، و"علم اللغة المقارن"، و"علم اللغة التقابلي"، و"علم اللغة التطبيقي" الذي يندرج تحته: "علم اللغة النفسي" و"علم اللغة الاجتماعي"<sup>(١)</sup>، و"علم اللغة الآلي"، وصناعة المعاجم، وتعليم اللغات، كما تستعين "اللسانيات" بالعلوم الأخرى كالمنطق والرياضيات وعلم النفس وعلم الاجتماع والأدب وعلم الحركة؛ لذلك فـ "اللسانيات" تقع في القلب (المركز) لسائر هذه العلوم؛ لأنها الدراسة العلمية للأداة التي يجب أن تستعملها هذه المعارف والعلوم، وهي اللغة؛ مما جعل اللسانية ألسنيّات، فهناك "اللسانيات النفسية" و"اللسانيات الاجتماعية"، و"اللسانيات الحيوية"، و"اللسانيات الجغرافية"، و"اللسانيات العصبية" و"اللسانيات التربوية"... إلخ.

و"علم اللسان" يبحث في اللغة والكلام، فاللغة منظومة تتألف من عناصر ووحدات ترتبط فيما بينها بعلاقات معينة، وتؤدي اللغة وظيفتها في المجتمع الإنساني حين تستخدم وسيلة للتواصل والتفاهم والخطاب. ويذكر ابن خلدون في مقدمته أركان "علم اللسان" الأربعة: اللغة والنحو والبيان والأدب<sup>(٢)</sup>.

وقد أقام "دي سوسير" ثنائية تقوم على التقابل بين "الكلام" من قِبَل هو إنجاز "فردِي"، واللغة من قِبَل هي مؤسسة اجتماعية كلية مجردة، تمثل كيئناً كاملاً ومرجعاً عاماً لدى الأفراد في تجليات أدائهم الكلامي؛ فمن الوجهة اللغوية أثبت "دي سوسير" و"تشومسكي" وغيرهما أن اللغة نظامٌ تجريدي، يشارك فيه أبناء المجتمع الواحد، أما الكلام الفعلي فهو واحد، ومن مظاهره القدرة اللغوية الكاملة والفكر<sup>(٣)</sup>، يقول ابن خلدون في مقدمته<sup>(٤)</sup>: "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل؛ وهو اللسان".

(١) انظر برهومة، عيسى (٢٠٠٥)، مقدمة في اللسانيات، ط١، عمان، ص ١١١.

(٢) انظر ابن خلدون، ولي الدين، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ)، المقدمة، ط١، (تحقيق عبد السلام الشّدّادي)، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ٢٣٦/٣.

(٣) انظر خرما، نايف (١٩٧٩)، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ط٢، الكويت: سلسلة كتب (عالم المعرفة)، ص ٢١٦.

(٤) تحقيق عبد السلام الشّدّادي، ٢٣٧/٣.



ومن هنا فاللغة هي البنية التي ينبثق عنها "الكلام"، والكلام هو الاستعمال الحقيقي للغة إنسانية ما، وتتطلب دراسة الكلام بوصفه جزءاً من التعامل الاجتماعي الاستعانة بكثير من العلوم الأخرى مثل "علم النفس الاجتماعي" و"علم الاجتماع" و"علم اللغة الاجتماعي"<sup>(١)</sup>، واللسان هو البنية التي تنتظم في إطارها كل اللغات الإنسانية، وهو النمط الاجتماعي الذي استقرت عليه اللغة أو هو السلوك السوي للأغلبية العظمى من أبناء الأمة الواحدة<sup>(٢)</sup>، وقد زاد من اتساع مجال "اللسانيات" انتقالها من مجال "اللسان" إلى مجال "الكلام" ومن الجملة إلى الخطاب.

وإن كان "دي سوسير" أكد أن فعل الكلام فردي، إلا أن علماء "اللسانيات الاجتماعية" يعدّونه نشاطاً اجتماعياً، فالكلام يُخرج اللغة من كونها وجوداً بالقوة إلى وجود بالفعل ومن المتفق عليه بين علماء النفس أن جانباً كبيراً من شخص الفرد تظهر ملامحه عن طريق الكلام الذي يصدر عن الفرد في أقواله وسلوكه اللغوي بوجه عام<sup>(٣)</sup>؛ فاللغة حيوية ونفسية من جهة، واجتماعية من جهة أخرى، ذات بعدين: داخلي وخارجي.

ويعرّف هرسون "علم اللغة" أنه منهج داخلي في دراسة بنية اللغة، دون الاهتمام بالسياقات الاجتماعية التي تُكتسب فيها اللغة وتُستخدم<sup>(٤)</sup>؛ لكن الدراسات اللغوية الحديثة – لا سيما "اللسانيات" – أكدت أن السمات الاجتماعية عامة والنفسية الفردية خاصة من أهم العوامل التي تؤثر في السمات اللغوية، وإن تأثرت الأخيرة بسمات حيوية وجغرافية وجسدية؛ لكن تأثيرها بها بدرجة أقل، فاللغة تعدّ من مظاهر التنشئة الاجتماعية والتوافق النفسي، وهي الوسيلة الأساسية للاتصال الاجتماعي والثقافي والعقلي؛ فهي تعبّر عن أفكار الفرد المُتكلم ومشاعره وانفعالاته تجاه المخاطب<sup>(٥)</sup>، فيأخذ الكلام بعين العناية عوامل لغوية ونحوية وصرفية من جهة، وعوامل لها علاقة بأساليب الخطاب والمقام الذي يُقال فيه الكلام من جهة ثانية، فبذلك يتوسّع البحث اللغوي ليشمل نواحي اجتماعية ونفسية، فيتداخل مع علمي النفس والاجتماع بشكل جلي، ومن الطريف

(١) انظر هرسون، علم اللغة الاجتماعي، ص ١٨٦.

(٢) انظر منصور، عبد المجيد (١٩٨٢)، علم اللغة النفسي، ط ١، الرياض: عمادة شؤون المكتبات (جامعة الملك سعود)، ص ٣٠.

(٣) انظر منصور، المرجع نفسه، ص ١٦.

(٤) انظر هرسون، علم اللغة الاجتماعي، ص ١٩.

(٥) واللغة في أحيان كثيرة تستعمل نوعاً من التفتيس عمّا في داخل الإنسان، انظر خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٢١٤.

ذكر أنّ إسحاق بن حنين في كتاب النفس، يعدّ "علم النفس" أعلى من سائر العلوم، وأكرم وأحسن قائلاً<sup>(١)</sup>: "والعلم بالنفس أكرم من سائر العلوم وأحسن، أمّا كرمه؛ فلاّته يعود بالإنسان إلى علم ذاته، فإنّه إذا علم ذاته علم سائر الأشياء التي تعلوه، والتي هي أدنى منه، وأمّا حسّنه فلاستصفائه وصحته، فعلم النفس أعلى من سائر العلوم الحسنّة، ومنه يرقى إلى علم الجوهر الشّريف الخفي، والدليل على أنّ مَنْ علِمَ ذاته، علم سائر الأشياء، أنّ الأشياء لا تخلو من أن يكون العلم بها واقعاً تحت القوى، والقوى كلّها للنفس، والذي يعرف النفس يعرف قواها، والذي يعرف قواها، يعرف الأشياء الواقعة تحت قواها، فمن عرّف النفس عرّف الأشياء كلّها".

و"علم النفس" يدرس السلوك اللفظي ونواحي آخر متعلقة به كالدوافع والانفعالات، وقد أصبحت اللغة موضوعاً مهماً لعلم النفس، وتمثّل فرعاً جديداً من فروع يسمّى "علم نفس اللغة"<sup>(٢)</sup>، وإن كان يصنّف أحياناً فرعاً من فروع "علم النفس الاجتماعي"<sup>(٣)</sup>، ولتداخل "اللسانيات" مع "علم النفس" نشأت "اللسانيات النفسيّة"<sup>(٤)</sup> أو "علم اللغة النفسي" الذي يركّز على اللغة بوصفها من أهمّ مظاهر السلوك الإنساني<sup>(٥)</sup>، ويجعل البعض هذا مرادفاً لـ "علم النفس اللغوي" أو "علم نفس اللغة"<sup>(٦)</sup>؛ فجّل اهتمام "علم اللغة النفسي" منصّباً على موضوعات مثل ترابط المفردات وتأثيرها الداعم في بعض جوانب السلوك اللغوي؛ ولكّنه منذ أوائل الستينيات أخذ

(١) ابن رشد، القاضي أبو الوليد محمّد بن أحمد (ت ٥٩٥هـ)، تلخيص كتاب النفس لأبي الوليد بن رشد وأربع رسائل: رسالة الاتصال، لابن الصّانع، كتاب النفس، لإسحاق بن حنين، رسالة الاتصال لابن رشد، رسالة العقل، ليعقوب الكندي، ط١، (تحقيق أحمد فؤاد الأهواني وتقديمه ونشره)، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٥٠، مع ملحق كتاب النفس المنسوب لإسحاق بن حنين، ص ١٣٣.

(٢) انظر وافي، علي عبد الواحد (١٩٦٢)، علم اللغة، ط٥، الفجالة: مكتبة نهضة مصر، ص ١٢.

(٣) انظر غنيم، سيّد (١٩٧١)، اللغة والفكر عند الطفل، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢، عدد (١)، ص ٩٤/ علم النفس الاجتماعيّ هو العلم الذي يدرس سلوك الفرد كما يتشكّل في المواقف الاجتماعيّة المختلفة، وبعبارة أخرى هو الدّراسة العلميّة للسلوك الصّادر عن الفرد تحت تأثير المنبّهات الاجتماعيّة المختلفة، وما بينها من علاقات، انظر سويف، مصطفى (١٩٨٧)، مقدّمة لعلم النفس الاجتماعيّ، ط٥، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصريّة، ص ١/ انظر عاقل، فاخر (١٩٦٥)، علم النفس دراسة التّكيّف البشريّ، دبط، بيروت: دار العلم للملايين، ص ٢٤.

(٤) اللسانيات النفسيّة فرع من فروع اللسانيات التطبيقية.

(٥) انظر منصور، علم اللغة النفسيّ، ص ١٦.

(٦) انظر عبده، دراسات في علم اللغة النفسيّ، ص ٩.

يماشي التحوّل الذي أحدثته النظرية التوليدية في اتجاهات "علم اللغة"، فمال نحو التأثير بالمدرسة المعرفية في "علم النفس"، فبرز الاهتمام بالمعنى فهماً وتعبيراً، وازداد الاهتمام باكتساب اللغة عند الطفل؛ فـ"علم اللغة النفسي" يدرس كيف يفهم السامع ما يقوله المتكلم؛ إذ يحلّل الأصوات التي تتلقاها أذناه، ويدرس كيف يخطّط المتكلم لنطق الجمل للتعبير عن أفكاره، وكيف يختار المفردات اللازمة<sup>(١)</sup>، وفي الربع الأخير من القرن العشرين نشطت حركة تفسير الأبنية اللغوية للنصوص والأساليب الأدبية في إطار المنهج التحويلي التوليدي، ممّا يمكن القول إنّ "علم النفس اللغوي" مدين لنظرية تشومسكي اللغوية؛ إذ عني بابتكار نماذج للسلوك اللغوي مبنية على نظريته في الكفاية اللغوية، والأداء اللغوي<sup>(٢)</sup>.

ولقد أسهم "علم النفس" في تنمية البحوث اللغوية والبلاغية بشكل بيّن، فقد أخذ يُحلّل طرق التلقّي والتذكر وتكوين الأخيّة بالمعطيات الحسية وطرق اكتساب اللغة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر عبده، دراسات في علم اللغة النفسي، ص ٩ / للاستزادة انظر برهومة، مقدّمة في اللسانيّات، ص ١١٣ - ١١٤.

(٢) الأداء اللغوي: هو استعمال اللغة في مواقف ملموسة، وهو فعل كلاميّ متحقّق، والأداء اللغويّ طريقة الاستعمال للكفاية اللغوية، الكفاية اللغوية: هي معرفة ضمنية باللغة كما بيّنها تشومسكي، يكتسبها أفراد الجماعة الأصليّون ببطء وفي غير وعي. وللإستزادة في مفهوم الكفاية اللغوية والأداء الكلاميّ انظر تشومسكي، نوام (١٩٨٢)، مفهوم الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، مجلّة الفكر العربيّ المعاصر، العددان (١٩/١٨) شباط/ آذار، تعريب: ميشال زكريا، ص ٢٥ - ٣٠.

(٣) انظر فضل، صلاح (١٩٩٦)، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط ١، الجيزة: العالمية للنشر - لونغمان، ص ٢٩.



## اللسانيات الاجتماعية

إن علماء اللغة يسعون إلى بيان العلاقة التبادلية في التأثير والتأثير بين اللغة والمجتمع، وتناولوا قضايا عديدة مثل: وظيفة اللغة في المجتمع، وتنوع اللغة إلى لهجات أو أنماط من الكلام حسب البيئة أو الثقافة أو الحرفة، فوُلد من رحم علمي اللغة والاجتماع "اللسانيات الاجتماعية" في حوار ثقافي معرفي متوازن، أثر كل منهما في الآخر وتأثر به، وهو فرع حديث الظهور نسبياً، برز في الساحة العلمية أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات<sup>(١)</sup>.

وقد كان "دي سوسير" رائد اللسانيات الحديثة تأثر آراء "إميل دور كايم" في "علم الاجتماع"، متجاوزاً المدى الذي بلغه "علم اللسان الحديث" الذي يعتمد في تفسير المتغيرات سمات لغوية محضة، أو يقوم على قواعد لغوية ذاتية موضوعية في منهج داخلي؛ لتأتي "اللسانيات الاجتماعية" لتستدرك عليه<sup>(٢)</sup> إغفاله السياق الذي تستعمل فيه اللغة، ويحاول أن يبين كيف تتفاعل اللغة ومحيطها بالنظر إلى العوامل الخارجية المؤثرة في استعمال اللغة، وأبرزها التشكيل الاجتماعي والمتغيرات الاجتماعية كطبقة المتكلم ومركزه وطبيعة الموقف الذي يتكلم فيه<sup>(٣)</sup>، والعلاقات الاجتماعية بين المتحدث والمتلقي، وبيئة التفاعل الاجتماعي والمعرفة المشتركة بين الطرفين.

فـ"اللسانيات الاجتماعية" أعادت النظر في عملية التواصل بالوقوف على مكوناتها اللسانية وغير اللسانية؛ أي: إن عملية التلّفظ ليست كلاماً منجزاً حسب؛ إنما هي إلى جانب الكلام مكونات أخرى خارجة عنه، كالإطار الاجتماعي الذي نشأ فيه المتكلم وعلاقاته الاجتماعية، ووضعية الخطاب حينما يقال أو أين يُقال<sup>(٤)</sup>؛ مجيباً بذلك عن السؤال الذي طرحته "اللسانيات الاجتماعية" بقوة في علاقة البنية اللسانية بالبنية الاجتماعية، فهو علمٌ يدرس اللغة من قبل علاقتها بالمجتمع،

(١) انظر برهومة، مقدمة في اللسانيات، ص ١١٤.

(٢) أي تستدرك على "علم اللسانيات الحديث".

(٣) انظر الموسى، نهاد (١٩٨٥)، الأعراف أو "نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية". المجلة العربية

للدراسات اللغوية (معهد الخرطوم الدولي للغة العربية)، المجلد ٤، العدد (١)، ص ١٤٦.

(٤) انظر كتاب أعمال ندوة: قضايا المتكلم في اللغة والخطاب، (٢٠٠٦)، د.ط. تونس: دار المعرفة، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية، القيروان، بحث (خطاب الفرد - خطاب الطبقة) خليفة الميساوي/ ص ٥٨.

محاو لا الكشف عن القوانين والمعايير الاجتماعية التي توضح السلوك اللغوي وتنظمه، وتهتم بسلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع، وقد أفاد بعض الباحثين في العلوم الاجتماعية من نتائج البحث اللغوي بوصف اللغة من أهم مظاهر السلوك الاجتماعي، وأطلقوا عدة تسميات لها اتّصال واضح بالعلوم الاجتماعية منها "علم الاجتماع اللغوي" و"علم اللغة الاجتماعي"<sup>(١)</sup>.

فـ"اللسانيات الاجتماعية" تمثل محاولة جادة لدراسة اللغة في إطارها الاجتماعي<sup>(٢)</sup>؛ وهي من الدراسات اللغوية التي اهتمت بإثراء بلاغة الخطاب، وينضاف إليها "الدلالية"<sup>(٣)</sup>، والأخيرة أحدث فروع العلوم اللغوية في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين التي تُعنى بتفسير فعلي الكلام والكتابة ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها وإجراءات التواصل<sup>(٤)</sup>، ويأتي مفهومها قريباً من مفهوم "مقتضى الحال" في البلاغة القديمة، أو ما يسمى "الكلّ مقام مقال"، وقد كانت "الدلالية" في بداية الأمر إحدى الفروع الثلاثة المكوّنة لـ"لسيمولوجيا"، وهي: العلامات أو الرموز، ودلالاتها، وعمليات توصيلها، فكانت "الدلالية" تعنى بالقسم الأخير، فاهتمت بوصف العلاقة بين العلامات ومن يستخدمونها<sup>(٥)</sup>؛ فبذلك صارت دراسة اللغة في الموقف التواصلّي أفقاً يجاوز بنية النظام إلى قيمته ووظائفه الدلالية، وصارت القوانين التي تحكم كلام الأفراد الاجتماعيين من ذوي الكفاية أعظم ممّا قيّد به مذهب "تشومسكي" عن كفاية المتكلمين المثالية في معرفة قوانين النحو وتطبيقاتها، فاستعمال كلمة (ولد) لها دلالتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية حسب سياقات متعدّدة ومحدّدة، كما في القول: يا ولد، قد يقصد بذلك النداء أو الزجر أو الإعجاب أو المشاكسة حسب المواقف المختلفة.

(١) انظر وافي، علم اللغة، ص ١١ / منصّور، علم اللغة النفسي، ص ١٥ / هـسون، علم اللغة الاجتماعي، ص ١٩.

(٢) من المدارس اللسانية التي اهتمت بتفسير الخطاب، المدرسة السلوكية ورائدها "بلومفيلد"، والمدرسة التوزيعية ورائدها "هاريس"، والمدرسة التحويلية والتوليدية ورائدها "تشومسكي"، انظر شرشار، عبد القادر (٢٠٠٦)، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص ٣١.

(٣) انظر فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢١.

(٤) انظر فضل، المرجع نفسه، ص ٥.

(٥) انظر فضل، المرجع نفسه، ص ٢٥.

## الباب الأول الخطاب النبوي

### الفصل الأول: بين يدي المصطلح

**الخطاب لغة:** (مادة خطب): والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان<sup>(١)</sup>، وعند الزمخشري "خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام"<sup>(٢)</sup>، وعن الثعالب قوله<sup>(٣)</sup>: "والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع على مدلولها القائم بالنفس والخطاب، إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجّه به نحو الغير للإفهام، والمتبادر من عبارة الأحكام الكلام اللفظي، والمراد بالخطاب في تفسير الحكم هو الكلام النفسي"، وإلى ذلك ذهب الكفوي في "الكليات" يقول<sup>(٤)</sup>: (**الخطاب:** اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه، احتراز باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة، و"بالمواضع عليه" عن الألفاظ المهملة و"بالمقصود به الإفهام" عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع؛ فإنه لا يسمى

(١) انظر (مادة خطب)، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٢، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣ / الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، العين، د. ط، (تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي)، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ٢٢٢/٤ / الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، تاريخ اللغة وصحاح العربية، ط ١، (تحقيق إميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل طريفي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ١٨٤/١ / ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ط ١، (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ١٩٨/٢.

(٢) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، ط ٣، (مركز تحقيق التراث)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ٢٣٩/١.

(٣) الخطاب بالكسر، وتخفيف الطاء المهملة (وهو على ما في المنتخب)، الثعالب، محمد علي بن علي بن محمد الحنفي (ت ١١٥٨هـ)، كشف اصطلاحات الفنون، ط ١، (وضع حواشيه أحمد حسن سبيح)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ٥/٢ - ٦.

(٤) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ)، الكليات، ط ١، (نشره عدنان درويش ومحمد المصري)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢، ص ٤١٩.

خطاباً، وبقوله: "لمن هو متهيء لفهمه" عن الكلام لمن لا يفهم كالتأني، والكلام يطلق على العبارة الذالة بالوضع وعلى مدلولها القائم بالنفس؛ فالخطاب إمّا الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجّه نحو الغير للإفهام).

وفسر الكفويّ الكلام النفسيّ إنّه التعبير عمّا في النفس من معنّى بلفظ أو كتابة أو إشارة<sup>(١)</sup>، والخطاب سواء أكان مسموعاً أم حديثاً للنفس، هو دائماً قولٌ بصدد شيء معيّن، موضوعه يمكن أن يكون واقعاً مادياً أو واقعاً مجتمعاً أو كياناً نفسياً.

ومن الآيات التي جاء فيها مصطلحُ الخطاب قوله تعالى: ﴿وَأَيُّنَهُ الْحِكْمَةُ وَفَصِّلْ

لِلْخِطَابِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾<sup>(٤)</sup>، و"فصل الخطاب": الفقه في القضاء عند الأزهري<sup>(٥)</sup>، وقال الفخر

الرازيّ في تفسير "فصل الخطاب"<sup>(٦)</sup>: "لمّا بيّن الله تعالى كمال حال جوهر النفس النطقية التي

لداود بقوله: ﴿وَأَيُّنَهُ الْحِكْمَةُ﴾<sup>(٧)</sup> أردف ببيان كمال حاله في النطق واللفظ والعبارة، فقال:

"وفصل الخطاب؛ لأنّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير عن كلّ ما يخطر بالبال؛

ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كلّ مقام عن مقام، وهذا معنّى

عامّ يتناول جميع الأقسام والله أعلم"، ويقول في تفسير ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾<sup>(٨)</sup><sup>(٩)</sup>: "والمعنى جاءني

(١) انظر الكفويّ، الكليات، ص ٤١٩.

(٢) ص: ٢٠.

(٣) ص: ٢٣.

(٤) النبأ: ٣٧.

(٥) انظر الأزهريّ، أبو منصور محمّد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، د. ط، (تحقيق عبد السلام هارون، ومراجعة محمّد عليّ التّجار)، الدّار المصريّة، ١٩٦٤، ٢٤٨/٧.

(٦) الرازيّ، فخر الدّين محمّد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)، التّفسير الكبير، ط٣، دار إحياء الثّراث، ١٨٨/٢٦.

(٧) ص: ٢٠.

(٨) ص: ٢٣.

(٩) الرازيّ، التّفسير الكبير، ١٩٦/٢٦.



جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أورده به"، وقد فصل الفخر الرازي الخطاب القرآني في كتابه المحصول في علم أصول الفقه<sup>(١)</sup>.

أمّا المصطلح الغربي المترجم لـ "لخطاب"، فقد تبناه ملتقى ابن رشيق المنعقد في الجزائر سنة ١٩٨٠م، مترجماً عن اللغة الفرنسية (Discours)، وعن الإنجليز (Discourse) بزيادة حرف "e" في آخر الكلمة<sup>(٢)</sup>، ومن تعريفات الخطاب من قبل الغربيين تعريف "هاريس" (١٩٥٢) من منظور لساني أنه<sup>(٣)</sup>: "ملفوظ طويل أو عبارة متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نطل في مجال لساني محض"، وعند "إميل بنفينست"<sup>(٤)</sup>: "كلّ تلفظ يفترض متكلماً أو مستمعاً، وهدف الأول التأثير على الثاني بطريقة ما"، وإن رأى "بنفينست" أنّ هدف الخطاب سعي المنشئ التأثير على المتلقي، فتمّة من يرى أنّ الخطاب نظام القول المؤثر والمقنع لكل الأطراف، أو هو نظام القول المفهم لكل الخصوم؛ فهو بتعبير آخر نظام القول أو الفعل العقلي القائم على الحجة والدليل، أو نظام القول القائم على مقدمة ونتيجة<sup>(٥)</sup>.

والخطاب عند "جيوفري ليتش" و"مايكل شورت"<sup>(٦)</sup> هو اتصال لغوي يتم بين متحدث ومستمع، أو نشاط خاص بالعلاقات بين الأشخاص والذي يحدّد شكله وتكوينه هدفه الاجتماعي. وأمّا "ميخائيل باختين" فيرى الخطاب طريقة لاستخدام متأثر بمعنى الكلمة الروسية للخطاب (سلوفو)<sup>(٧)</sup>، ويقترّب هذا التعريف من تعريف "ميثيل فوكو" في أنّ الخطاب هو الذي يعلن رغبة

(١) انظر الرازي، فخر الدّين محمّد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)، المحصول في علم أصول الفقه، ط ٢، (تحقيق طه جابر العلواني)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢، ٤٠٩/١ - ٤١٧.

(٢) انظر أبا صفية، جاسر (٢٠٠٨)، أمية الرسول والعرب وقضايا نقدية في اللغة والأدب، ط ١، عمان: دار فضاءات للنشر، ص ١٥.

(٣) يقطين، سعيد (١٩٨٩)، تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التنبؤ)، ط ٤، الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي، (٢٠٠٥)، ص ١٧.

(٤) يقطين، المرجع نفسه، ص ١٩.

(٥) انظر الحميري، عبد الواسع (٢٠٠٨)، الخطاب والنص "المفهوم والعلاقة والسلطة"، ط ١، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص ١٢.

(٦) انظر ميلز، سارا (د.ت)، مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية اللغوية المعاصرة، مصر: دار فرحة للنشر والتوزيع، تعريب: عصام خلف كامل، مراجعة زينب محمد أمين، ص ١٠.

(٧) انظر ميلز، المرجع نفسه، ص ١٦.

أو يخفيها، وهو الأداة التي بها يقع الصّراع ومن أجلها، وأتت السّلطة التي يتمّ السّعي للاستحواذ عليها<sup>(١)</sup>.

وعند "دي سوسير" الكلام مرادف للخطاب، وهو المعنى الجاري في "اللّسانيّات البنيويّة"<sup>(٢)</sup>، ويعرّف الكلام أنّه الاستعمال الحقيقيّ للغة إنسانيّة ما، واللّغة هي البنية التي ينبثق عنها الكلام، واللّسان هو البنية التي تنتظم في إطارها كلّ اللّغات الإنسانيّة<sup>(٣)</sup>، واللّسان أداة التّبلغ، فالمقول هو الأصل والمكتوب هو الفرع؛ لأنّ اللّغة أصوات مسموعة قبل أن تكون مكتوبة.

والخطاب هو نسقُ التّفكير في الأشياء، ونسقُ التّعبير عنها، أو هو عبارة عن النّسق الدّهنيّ المجرّد للكلام الذي نتكلّمه بالقوّة أو بالفعل، إنّهُ نظامُ التّكلم (التّفاعل)، ومنطقه الذي علينا أن نلتزمه في كلّ موقفٍ تواصلٍ على حدة، فهو الشّكل المجرّد لكلام المتكلّم في جانب ما من جوانب المعرفة، أو في مجال ما من مجالات الحياة، والنّص هو الشّكل الممثل للخطاب<sup>(٤)</sup>، والخطاب عند "ستابس" يهتم باللّغة المستعملة في سياقها الاجتماعيّ<sup>(٥)</sup>، و"روجر فاوولر" صرّح أنّ الخطاب هو مشهد مقروء أو مكتوب من وجهة نظر المعتقدات والقيم والمقولات التي تمثّلها هذه المعتقدات<sup>(٦)</sup>.

ويضع الجابريّ - من النّقاد العرب - الخطاب في ضربين: الأوّل: خطاب موجّه من الكاتب، يعبر فيه عن فكرة ما في موضوع بعينه، وهو اتّصال بين الكاتب والقارئ، وبين المتكلّم والسّامع، فكلاهما يسهم في إنتاج الخطاب، والثّاني: ما يتلقاه القارئ من الكاتب من فكرة أو وجهة نظر بطريقة يستخلصها هو نفسه من النّص بفعل العادة أو الوعي أو الإرادة<sup>(٧)</sup>.

والخطاب من الموضوعات اللّغويّة المهمّة، وتكمن أهمّيّته في مجالاتٍ كثيرةٍ من الحياة، منها المجال الاجتماعيّ والتّعليميّ والسّياسيّ والاقتصاديّ في المجتمع بسياقاته الكثيرة التي تتطلّب

(١) انظر فوكو، ميشيل (١٨٨٥)، نظام الخطاب وإرادة المعرفة، د.ت، الدّار البيضاء: دار النّشر المغربيّة،

تعريب: أحمد الطّائيّ وعبد السّلام بنعبد العالي، ص ١٠.

(٢) انظر يقطين، تحليل الخطاب الروائيّ، ص ٢٢.

(٣) انظر أعمال ثالثة ندوة في البحث اللّسانيّ والسّيميائيّ، جامعة محمّد الخامس - منشورات كلية الآداب

والعلوم الإنسانيّة - الرّباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم (٦) (١٩٨٤)، ط ١، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح

الجديدة، بحث (مفهوم اللّغة في البحث اللّسانيّ العربيّ المعاصر)، الأخضر بو جمعة، ص ٢١٥.

(٤) انظر الحميريّ، الخطاب والنّص "المفهوم والعلامة والسّلطة"، ص ٣٦.

(٥) انظر أبا صفية، أميّة الرّسول والعرب وقضايا نقدية في اللّغة والأدب، ص ١٥.

(٦) انظر ميلز، مفهوم الخطاب في الدّراسات الأدبيّة واللّغويّة المعاصرة، ص ١٣.

(٧) انظر الجابريّ، محمّد عابد (١٩٨٢)، الخطاب العربيّ المعاصر، ط ١، بيروت: دار الطليعة، ص ٨.

خطاباً متنوعاً، يُرضي أغراض الناس المتباينة، وهذا يقود إلى أنواع الخطاب عند "ميشيل فوكو"، فهناك الخطاب الذي يُقال يومياً، ويُتداول وينتهي أمره بانتهاء الفعل ذاته الذي نطق به، وهناك خطاب أصيل يُعدّ من ضروب الفعل الجديدة للكلام؛ إذ يُعاد تناوله وتحوّله أو الحديث عنه، وخطاب قيل ويُقال، وسيظل جاهزاً للقول، بقطع النظر عن صياغته مثل التّصوص الدّينيّة أو القانونيّة، ومنه تلك التّصوص التي يطلق عليها نصوصاً أدبيّة وعلميّة<sup>(١)</sup>.

فللخطاب دور في تقريب وجهات النظر وإيضاح الحقائق وتوجيه الناس، وتبادل الأفكار بينهم، ويختلف حسب السّياق في البيت والسّوق والطّريق والمسجد وكلّ مرافق الحياة، وتعدّد هذه السّياقات مدعاة لتعدّد الخطاب اللّغويّ، والأخير علامة على ضرورة تعدّد السّياقات الذي يستند في أساسه إلى السّياق الثّقافيّ والمعرفيّ والاجتماعيّ الذي يندرج فيه ذلك الخطاب، في محاولة لاستبطان الأبعاد غير المنظورة، والبنى العميقة لهذا الخطاب ومعرفة طريقة ربط الرّموز الصّوتيّة بأعماقها الدّلاليّة، وطرق تولدها في مسعى لفهم النّص وقراءته قراءة كليّة، والكفاية اللّغويّة في موقعها في ساحة الخطاب نموذج لمعرفة المتكلم لغته، وليست نموذجاً لمعرفة كيف يقيم اتّصالاً لغويّاً حقيقيّاً مع الآخرين، يلائم فيه بين اللّغة التي يعرفها وبين الوظيفة والمقصد وسياق الاتّصال.

فانتقاء مفردات الخطاب في مستويات أسلوبيّة مختلفة ضرورة ملحّة، والقول: لقد رأيتُ محمّداً أمس، غير صيغة: لقد رأيتُ السيّد محمّداً، إذا كان يعدّ المتحدثُ مخاطبه رئيساً أعلى، فالعبارات المنتقاة ليست جملاً سهلة، تطلق دون تفكّر؛ لكنّها عباراتٌ لها معنى وذات قوّة وتأثير داخل سياق اجتماعيّ ما.

والمرحلة الرّئيسيّة الأولى في الخطاب مرحلة تكوين الرّسالة، وإطلاقها أصواتاً، وهذه تخصّ المتكلم، والمرحلة الثانية هي انتقال الأمواج الصّوتيّة في الهواء لتصل إلى أذن المستمع، ثمّ تنتقل إلى دماغه، وأمّا المرحلة الأخيرة، فتتعلق بالمستمع، وكيف يعيد ترتيب الرّسالة من الأصوات التي تصله إلى المعنى الذي تحمله في الخطاب الشّفهي<sup>(٢)</sup>، ففعل التّواصل يقتضي مخاطباً يُرسل خطابه بواسطة اللّغة إلى مخاطب أو مستقبل، ويعني ذلك تواصلاً بين منشئ ومتلق، والوسيط بين الاثنين هو النّصّ المسموع، وهذه عناصر الخطاب عينها في الخطاب المقروء كذلك في نصّ لغويّ أدبيّ مرسل، ويكون هذا النّص من ناتج الفعل الإنجازيّ للقول أو

(١) انظر فوكو، نظام الخطاب وإرادة المعرفة، ص ١٦.

(٢) انظر خرما، أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، ص ٧٨.

الحركة، وهو بمنزلة إنجاز لذلك التواصل أو لنظام السلوك اللغوي القصدي أو العفوي بين طرفين.

وإذا كانت اللغة وسيلة أداء، فالخطاب اللغوي هو الأداة أو الصيغة التي تُختار لتوصيل الأفكار إلى الآخرين، والصيغة التي تُتلقى بها أفكارهم، فالخطاب يدلّ على كلّ ما يصدر من منشئ ما من كلام أو إشارة أو إبداع أدبيّ أو فنيّ أو علميّ، وأيّ عملٍ ممّا سبق يتضمن خطاباً فورياً أو غير فوريّ، وأمّا الخطاب الفوريّ فبوصف ما فيه من معانٍ وأحاسيس ومفاهيم مقصود بها أن تصل إلى المستقبل في خطاب يفهمه جيداً، بغضّ النظر عن لغته وزمانه ومكانه، وأمّا الخطاب غير الفوريّ فبوصف اللغة هنا ليست لغة الإفصاح بكلّ وسائل الإفصاح التي تتجاوز المعنى التقليديّ الضيق للكلمة أو الإشارة أو العمل الإبداعي<sup>(١)</sup>.

فالتصوّر أنّ بنية الخطاب خليط معقد مرّكب من المعايير الكلاميّة، والمعلومات العامّة من المحيط الخارجيّ، ومن الصّعب تصوّر إمكانية دراسة هذه البنية بمنهج أحاديّ دون اعتماد عدد من العلوم المختلفة، وإنّ الدّراسات اللّغويّة الكثيرة التي ظهرت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين قد أعلنت الأخذ بطرق القراءة الغربيّة لتفسير الخطاب الأدبيّ بمناهجها المتنوّعة، والإحاطة العميقة بما فيها من أنساق لسانيّة ثقافيّة واجتماعيّة ونفسيّة، وقد يقود هذا إلى مغبّة سوء التطبيق لهذه الطّرق عند قراءة النّصّ دون الأخذ بخصوصيّة النّصّ العربيّ.

ويكون تفسير النّصوص الأدبيّة بتفسير خصائص السّياق والخطاب التي تؤثر في ترتيب مستويات اللغة المختلفة كالنحو والمعجم والدّلالة والتركيب التي تختلف نتيجة استجابتها للسّياق أولاً وللخطاب ثانياً، وهذه الطّريقة في التفسير أكثر فاعليّة من غيرها، إذ إنّ الطّرق التي تؤدي بها النّصوص وظائفها تعتمد السّياق بالدرجة الأولى، ثمّ علاقة المتفاعلين: المنشئ أو المتكلّم أو الكاتب، والمتلقّي أو المخاطب أو القارئ ومواقعهما من النّسيج الاجتماعيّ.

فعند قراءة النّصّ الأدبيّ بطريقة فاعلة، يجب أن لا يقف المتلقّي عند حدّ التلقّي الفوريّ؛ بل يجب أن يساهم بوعي في إنتاج وجهة النّظر التي يحملها الخطاب، وهي لا تقبل الوقوف عند حدود العرض والتلخيص والتفسير؛ بل تعمل على إعادة بناء الخطاب بشكل يجعله أكثر تماسكاً، وأقوى تعبيراً ممّا يحمله الخطاب من دلالات صريحة أو مضمّنة، ويرى الجابري أنّ هذه القراءة ذات بُعدين بالضرورة: الأوّل البعد الذي يتحدّث فيه كاتب النّصّ، والثاني البعد الذي يتحدّث فيه

(١) انظر استثنائية سمير (٢٠٠٢)، اللغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة والرّسم الساخر، ط١، عمان: مطبعة

القارئ، وتكون القراءة ناجحة عندما تستطيع توظيف البعدين معاً في إنتاج بناء واحد منسجم ومتناسك<sup>(١)</sup>.

وكما تقدّم فدلالات الخطاب تتعدّد، واتجاهات تفسير الخطاب ومجالاتها تتنوّع؛ وبذلك تتداخل التعريفات وتتقاطع أحياناً، ويكمل بعضها الآخر أو يتباعد في أحيان أخرى. وعليه يمكن استخلاص تعريف لمصطلح **الخطاب** من منطلق لسانيّ يستفيد من دراسات العلوم الأخرى المتعلقة بـ "علم اللغة" = "علم اللسانيّات".

**الخطاب**<sup>(٢)</sup>: هو تعبير شفهيّ قائم على بنية ذهنيّة أو فكرة مجردة أو إحساس نفسيّ، يمثل فعل القول اللسانيّ، أو الكلام المنجز محكيّاً أو مكتوباً، أو ممثلاً فعلاً حركيّاً (غير لسانيّ)، يتفاعل فيه طرفان، يحقق المنشئ غاية الفهم الإفهام، أو التأثير في المستقبل، ويكون لهذا الأخير دور في طبيعة الرسالة النصيّة المتداولة، وطريقة بثها، والنظام اللغويّ المعتمد ضمن معطيات السياق الثقافيّة والاجتماعيّة والنفسية... إلخ التي يخضع لها موقف التواصل.

---

(١) انظر الجابريّ، **الخطاب العربيّ المعاصر**، ص ١٠.

(٢) التعريف كما تراه الباحثة.

## الخطاب النبوي

لما كان للكلمة أهميتها وأثرها في كل مكان وزمان، تبارى الأقدمون في ابتكار الطرق المختلفة لحفظ أهم ما يريدون الاحتفاظ به لهم وللأجيال المقبلة، فأَيّ كلمة، بلْ أي نص لغوي، بلْ أي خطاب بياني أعظم ممّا روي عن الرّسول - عليه السّلام - بألفاظه وعباراته في أحاديثه النبويّة الشّريفة بعد كلام الله عزّ وجلّ أجدر بالمتابعة والحفظ.

فالخطابُ النبويّ يبلور الخبرات البشريّة، وتجارب الأُمّة؛ فهو يدوّن الثّراث الثقافيّ الإسلاميّ، ويحتفظ بهذا المخزون الفكريّ جيلا بعد جيل، فلم تكن معجزة الهادي إلا من جنس حضارة قومه في خصوصيّتها المتمثلة في بلاغة الخطاب وفصاحة القول التي كان العرب يتباهون بها كابرًا بعد كابر.

وليس كلّ ما روي على أنّه حديث نبويّ من كلام الرّسول - عليه السّلام - بألفاظه وعباراته؛ فمن الأحاديث ما يروى لتكون ألفاظه أو بعضها لمن أسندت إليه في الثّقل، ولو كان التدوين شأنًا في الصّدر الإسلاميّ الأوّل لتيسّر للصّحابة أن يدوّنوا كلّ ما سمعوه من الرّسول - عليه السّلام - بألفاظه وصوغه وبيانه، وقد كان الأصل عندهم أن يضبط المحدث معنى الحديث، فأما الألفاظ فمنها ما يتفق لهم بنصّه، لاسيّما في الأحاديث القصار، وفي حكمه عليه السّلام وأمثاله، ومنها ما لا يتفق، فيلبسه الراوية من عباراته.

وهذا لا يعني نفي كلّ ما وصل من أحاديث نبويّة، فالحديث النبويّ كان علمًا من علوم الصّحابة في الجمع والتدوين، فكان الثّراث النبويّ هو الكلام الذي تلقّظ به النّبي - عليه السّلام - بوصفه ناقلًا لكلام الله، ومؤيّدًا بالوحي الإلهيّ، فقد أخذ المسلمون الأوائل كلامه، وتناقلوه من قبل الصّحابة والتابعين، يشكّلون سلسلة متواصلة من الشّهود والإسناد؛ لمحاولة ضمان صحّة الكلام المنقول في المتن، ولهذا السّبب تعرّض الحديث النبويّ للبحث بشكل منقطع النّظير في كلّ الأمصار بعد موت الرّسول - عليه السّلام - وذلك من أجل جمعه وتنبيته كتابة، كما فعلوا بالقرآن الكريم، فحصل الانتقال من الثّراث الشّفهيّ إلى الثّراث المكتوب، وقد أخذ تسجيل الأحاديث النبويّة كتابة وقتًا أطول بكثير ممّا أخذ تدوين القرآن، وراح أهل السّنة يعترفون بصحيحي البخاري (ت ٢٥٦هـ)، ومسلم (ت ٢٦١هـ).

والحديث النبويّ بعد القرآن الكريم يشكّل نقطة حسّاسة بالنّسبة للوعي الإسلاميّ، فهذا الوعي دفع المسلمين للأخذ بهذين المصدرين بعدّهما أصحّ مجموعتين جمعنا الحديث النبويّ

الصّحيح، وهما ما اعتمدت الدراسة في التمثيل لخطاب الرسول - عليه السّلام - في سياقه اللغويّ النفسي والاجتماعيّ في ضوء "اللّسانيّات الاجتماعيّة" و"تحليل الخطاب"<sup>(١)</sup>.

**الخطاب النبوي<sup>(٢)</sup>:** هو كلّ ما صدر عن الرسول - عليه السّلام - من قول لسانيّ محكيّ أو منقول أو فعل غير لسانيّ (حركيّ) مُشاهدٍ أو منقولٍ إلى المتلقّي المسلم، المعايين هذا الخطاب في زمنه عليه السّلام، أو السّامع له، أو القارئ له في زمن بعده، في سياق تواصل لغويّ معيّن، وموقفٍ مثبّتٍ، يخضع لمعطياتٍ ثقافيّة واجتماعيّة ونفسيّة ودينيّة... إلخ في المجتمع الإسلاميّ خاصّة أو تجارب الحياة الإنسانيّة عامّة؛ ليخرج هذا الخطاب من نطاق النّص المخصوص بزمان ومكان محدّدين إلى نطاق النّص اللامحدود زماناً ومكاناً، ويصبح رسالة لغويّة نصيّة خالدة لها فاعليّتها وتأثيرها النّمودج والمثال في متلقّي الحديث النبويّ، ثمّ في كلّ من سار على نهج الرسول - عليه السّلام - واتبع سنته.

---

(١) تجدر الإشارة إلى تكرار بعض الأحاديث النبويّة الممثلة لما ذهبت الباحثة إليه حسب الحاجة في ثنايا

الدراسة، وقد تمّت الإشارة إلى ذلك في الحواشي .

(٢) التعريف كما تراه الباحثة في ضوء اللّسانيّات الاجتماعيّة.

## الفصل الثاني: الخطاب النبوي

### المبحث الأول:

#### دوافع الخطاب النبوي

لا شيء أصعب من استمالة قلوب الناس أو قيادتهم؛ لأنّ طبائعهم متباينة، وأمزجتهم متقلّبة، ونفسيّاتهم متغيّرة، فثبات الصّفات في الفرد ثباتٌ نسبيٌّ؛ لأنّ الفرد له طبائعُ ثلاثة لا طبعٌ واحد: طبعه الحقيقيّ، والطبع الذي يظهر به أمام النّاس، وهو شكل ظاهر لا غير، والطبع الذي يعتقده في نفسه، وإنّ معرفة القائد أو ذي الرّئاسة أو المنصب نفسيّة من يسوس وطباعها لمن أهمّ عوامل النّجاح في سياسته.

والرّسول — عليه السّلام — بوصفه فرداً من المجتمع العربيّ قبل أن يصبح قائداً لجماعة المسلمين، ونبيّاً مرسلًا للنّاس كافة قد خبّر النّاس وطباعهم؛ فعرف كيف يخاطبهم؛ فقد كان عضواً اجتماعياً فاعلاً ومؤثراً، تربطه بالنّاس أواصر المحبّة والألفة.

وقد مهّد عليه السّلام للأمر الجلل الذي كلّف به؛ وهو حمل رسالة السّماء ونشرها في الأرض، فكانت وسيلته في سياسة النّاس الكلمة الطيّعة، والخطاب اللّغويّ الذي يمتح من قريحة وقادة عربيّة الأصل قرشيّة، تكتنفه رعاية الله وتوفيقه.

وإذا كان من دوافع أيّ خطابٍ لغويّ التّواصل أو التّعبير عن النّوازع والمشاعر أو التّأسيس لعلاقات اجتماعيّة أو التّعارف أو تحقيق متعة الكلام أو غير ذلك، فإنّ لخطاب الرّسول — عليه السّلام — دوافع عامّة وأخرى خاصّة<sup>(١)</sup>، فأما العامّة فدوافع محمّد الإنسان (دوافع إنسانيّة)، وأما الخاصّة فدوافع النّبيّ المكلف (دوافع نبويّة)، وتندرج تحت هذه الدّوافع دوافع لها علاقة بالمنشئ الرّسول — عليه السّلام، وثانية علاقتها بالمتلقّي المسلم أو المتلقّي الإنسان، وثالثة لها علاقة بطبيعة الرّسالة المنشأّة.

#### أولاً: الدّوافع العامّة: دوافع إنسانيّة (دوافع خطاب "محمّد الإنسان"):

إن قلتُ "محمّد الإنسان" فقد غمطت الرّسول — عليه السّلام — حقّه؛ لكنّي أقول "هو الإنسانُ محمّد"، وكيف لا أخلص لهذه النّتيجة — بوصفي مسلمة — وقد سبقني من غير المسلمين "توماس كارليل" إلى الإعجاب بشخص الرّسول — عليه السّلام — ممّن وقفوا على شخصه عليه

(١) يُقصد هنا كلام الرّسول — عليه السّلام — على الإطلاق، ليس الخطاب النبويّ في الحديث النبويّ .



السَّلام الإنسان في سيرته النَّبَوِيَّة؛ فوصفه (قطعة من الحياة)، يقول<sup>(١)</sup>: "ما محمَّد بالكاذب ولا الملقق، وإلَّا هو قطعة من الحياة، قد تفتَّر عنها قلب الطَّبيعة، فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع"<sup>(٢)</sup>.

والقصدُ بدوافع خطاب "محمَّد الإنسان" دوافع خطابه عليه السَّلام قبل البعثة، بوصفه فردًا من النَّاس، وتقديرًا لشخص الرِّسول الكريم أولاً، ثمَّ احترازًا وتحوُّطًا ثانيًا؛ سأذكر في الحديث هنا مصطلحًا خاصًّا هو "خطابه الإنسان"؛ كي لا أقع في مغبَّة النَّقد أو الاعتراض أو الإنكار. وربَّ قائلٍ: لِمَ هذا التفريق في دوافع خطاب الرِّسول — عليه السَّلام — على إطلاقه، والمنشئ واحد؟

أقول: إنَّ دوافع خطابه عليه السَّلام الإنسانيَّ العامَّة والخاصَّة قبل بعثته، وهو ما اصطُح عليه هنا بـ "دوافع خطابه الإنسان"، هي الممهِّدة لما سيُقال في "دوافع خطابه النَّبَوِيَّ"، والمؤسَّسة لها بعد ذلك؛ لأنَّ سمات خطابه النَّبَوِيَّ منبثقة من سمات "خطابه الإنسان" هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فسمات "خطابه الإنسان" كانت الدَّافع لقبول خطابه النَّبَوِيَّ بعد بعثته؛ لما عُرف عنه عليه السَّلام قبل البعثة وبعدها من بلاغة القول وفصاحة اللِّسان وطلاقة نطقه النَّابعة من سلامة المنشأ، وفطرة سليمة هُيئت له، قال تعالى<sup>(٣)</sup>: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

ومن الضَّرورة التَّنبيه هنا على أنَّني لم أحدِّد دوافع "خطابه الإنسان" العامَّة أو الخاصَّة منفصلتين أثناء الشَّرح إلَّا حيث اقتضى المقام؛ لأنَّ "خطابه الإنسان" عليه السَّلام، وإنَّ صدر من دافع لغويٍّ فطريٍّ إنسانيٍّ عامٍّ، إلَّا أنَّه اصطُبع بطابع شخصه الإنسانيَّ الخاصِّ. فقد كان "خطابه الإنسان" بدافعه الأوَّل نشاطًا اجتماعيًّا مشتركًا، يربطه بأفراد قبيلته قريش، يتكلَّم لهجتهم، وتربطه بهم رابطة القرابة، وتعزِّز شعوره بالانتماء الاجتماعيَّ لمجتمع العروبة في الحجاز، موطنه الأم وموضع نشأته ومرتع تربيته؛ ممَّا يشدُّه إلى أفراد مجتمعه الصَّغير بقوة وتماسك، يصوغ أفكاره ويعبِّر عن نفسه، ويتكلَّم مع النَّاس ويحاورهم، ويؤثِّر فيهم ويتفاعل معهم؛

(١) كارليل، توماس (د.ت)، الأبطال، د.ط، دار الكاتب العربي، تعريب: محمَّد السَّباعي، ص ٦٠.

(٢) وممَّن درسوا سيرة الرِّسول — عليه السَّلام — "واشنجتون"، انظر أرفنج، واشنجتون (١٩٦٠)، حياة محمَّد، د.ط، القاهرة: دار المعارف، تعريب: علي حسني الخربوطلي، ص ٤٠، يقول: "كان طفلاً — يقصد الرِّسول عليه السَّلام — ناضج التفكير، وقوي الملاحظة، يتأمَّل ويفكِّر في كلِّ ما يراه، وله خيال خصب واسع الأفق".

(٣) الأنعام: ١٢٤.

فيحقق بذلك دافعاً قوياً آخر للتواصل الإنساني والاجتماعي، هو التعاطف الذي يعدّ أوّل خطوة في علاقات الودّ والألفة مع أفراد جماعته.

أمّا "خطابه الإنسان" الخاصّ فكان يتصّف ببلاغته وفصاحته الممثلة لبلاغة قريش وفصاحتها على مستوى أعلى مشهود له عند أفراد قبيلته، وكلّ من خالطه وتعامل معه وتحدّث إليه<sup>(١)</sup>؛ وبذلك غدا "خطابه الإنسان" البيانيّ دافعاً لكلّ من عرفه ليأتيه وينهل من لفظه وتراكيبه وأسلوبه ومعانيه؛ فقد عُدّ حجة لغويّة وموثلاً أدبيّاً، يُرجع إليه ويوثق به<sup>(٢)</sup>.

وما كان "خطابه الإنسان" الخاصّ ليروج ويحمل طابع موافقة الجماعة في سياقها اللغويّ الاجتماعيّ، إلا لأنّ وجوده حقّق جوانب تواصل اجتماعيّة ونفسيّة وعقليّة وبيئيّة بينه وبين متلقّيه، تؤكّد وظيفة اللغة الأساسيّة في التعبير عن الأفكار والمعتقدات والتّوازن الإنسانيّة.

وبذا حقّق خطابه — بوصفه رمزاً لرسالته اللغويّة وتنبيهاً للسامع — وظائف ثلاثاً، فهو **خطاب: معبرٌ ومُوصِلٌ ومؤثّرٌ**، إذا نظرنا لزاوية المتكلّم الإنسان؛ فأما أنّ القول خطابه عليه السّلام **معبرٌ**؛ فلأنّه لعربيّ قرشيّ بليغ وفصيح، سلّم لسانه من عيوب الكلام.

وأما أنّ خطابه **مُوصِلٌ**، فلأنّ "خطابه الإنسان" تصل رسالته في قناة التّواصل بلغة مدروسة ومنظّمة ومفهومة، وعلامات تناسب سياق الحال النفسيّ وفقاً للأعراف والتقاليد الاجتماعيّة والدينيّة والسياسيّة والبيئيّة... إلخ.

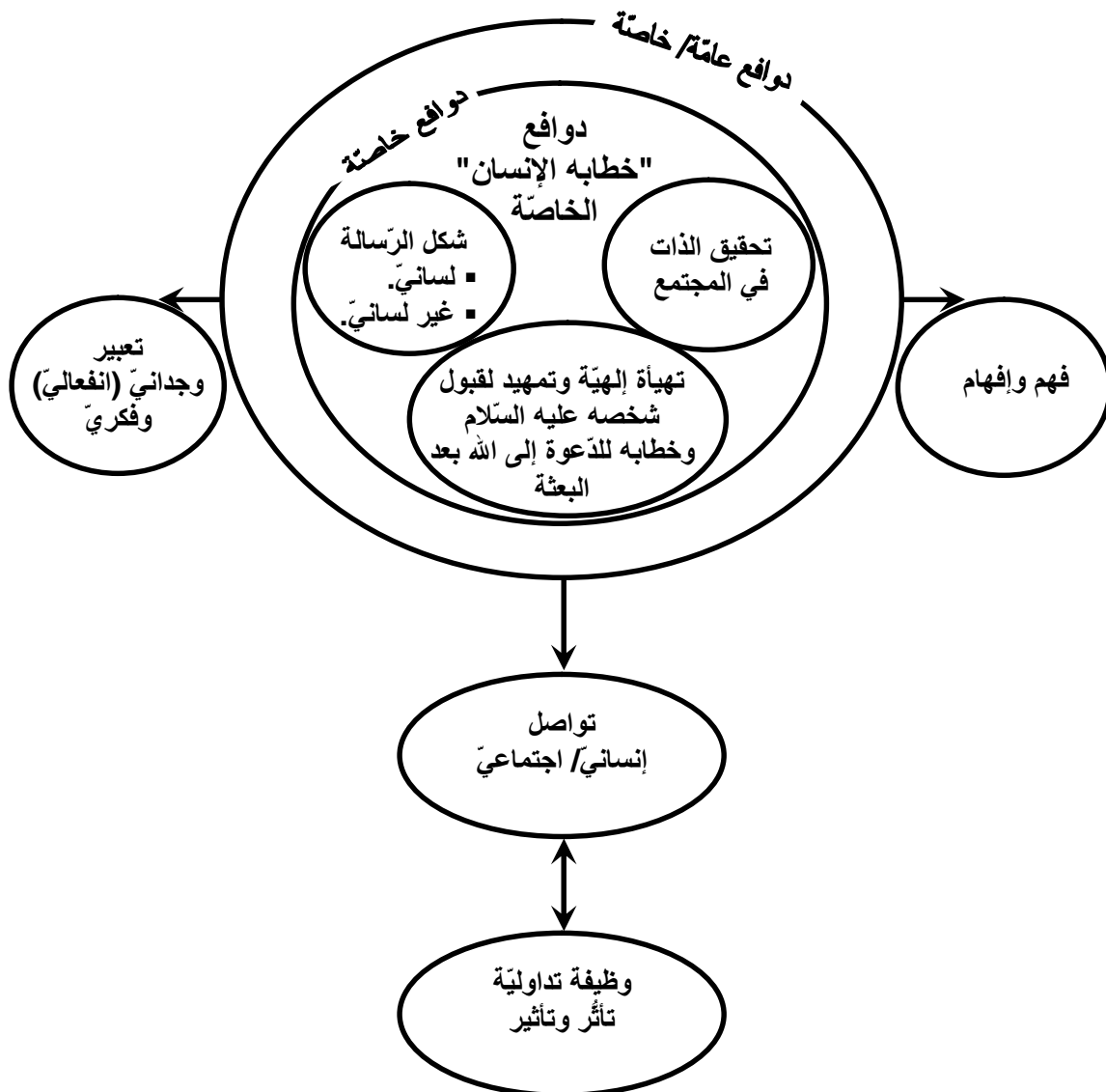
وأما أنّ خطابه **مؤثّرٌ**، فلأنّ تعبيره الوجدانيّ يحرك نوازع المتلقّي ويؤثر في أحاسيسه، ومستويات الانفعال لديه، ومؤثّر كذلك؛ لتعبيره الفكريّ الذي يقنع عقل المتلقّي بحجته ومنطقه وأدلته في "خطابه الإنسان"؛ فيتواصل معه، هذا في علاقة التّأثير والتّأثير ذات البعد التّفاعليّ بين طرفي الرّسالة وسياقها المحيط.

(١) يعرف "دي سوسير" اللغة أنّها "نتاج المجتمع للملكة الكلاميّة، وتجميع للتقاليد الضّروريّة التي أقرّها المجتمع؛ لتسمح للأفراد بتدريب ملكاتهم"، دي سوسير، فرينالد (١٩١٥)، **فصول في علم اللغة العامّ**، دط، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، تعريب من الفرنسيّة إلى الإنجليزيّة: واد باسكين، وإلى العربيّة: أحمد نعيم كراعين، ص ٣١.

(٢) إنّ هذا الدّافع الذاتي البلاغيّ يُعرف بـ "الوظيفة الشعريّة" أو الجماليّة أو البلاغيّة، وهي تتركز على الرّسالة من قبل هي رسالة مستهدفة في ذاتها ولذاتها، انظر أوكان، عمر (٢٠٠١)، **اللغة والخطاب**، دط، المغرب: إفريقيا الشرق، ص ٥١.

وأخيراً إذا كان من دوافع الخطاب التفسيرية عموماً تحقيق الفرد ذاته؛ فإنّ "خطابه الإنسان" الخاصّ كان أحد أهمّ دعائم تحقيق ذاته الإنسانية في مستوى تميّزه عليه السّلام على العرب، وتفوّقه عليهم في صفات شخصه عامّة، وسمة البيان في "خطابه الإنسان" خاصّة.

### دوافع "خطابه الإنسان"



## ثانيًا: الدوافع الخاصة: دوافع نبوية (دوافع خطاب النبي المكلف):

بعد الحديث عن خطاب الرسول - عليه السلام - الإنسان الموطئ لخطابه النبوي، لا بدّ من التأكيد أنّ تكليفه عليه السلام نبياً للعالمين دفع بـ "خطابه الإنسان" إلى أن يسير إلى مستوى لغويّ ودلاليّ وسياقيّ مختلف الاتجاه؛ ليخرج من دائرة الخطاب الإنسانيّ عامّة، وخطاب شخص ابن عبد الله القرشيّ خاصّة؛ ليدخل حمى خطاب دينيّ مؤيّد وموجّه شأنه غير الشّأن، ودافعه غير الدافع، وإن كان لسانه هو اللسان.

فنبوّته عليه السلام سفارة بين الله والعباد كما بيّن الأصبهاني<sup>(١)</sup>: " فالنبوة سفارة العبد بين الله تعالى وبين ذوي الأبواب من خليفته، ولهذا توصف أبدأ بالرسالة والبعثة".

وإنّ خطاب النبيّ المكلف بوسمه **الخطاب النبويّ**: اللسانيّ وغير اللسانيّ والمدوّن<sup>(٢)</sup> في حديثه النبويّ ممثلّ واقع المسلم ومبيّنّ منهج ممارسة حياته؛ ففعلُ التّواصل النبويّ ليس فعلاً عشوائياً أو حدثاً غفلاً؛ بلّ هو فعلٌ مخطّط له وموجّه؛ لتحقيق أغراض دينيّة محدّدة أهمّها: تبليغ رسالة الله، والإخبار عنه، وإفهام المتلقّي الإنسان، ثمّ تعليم المسلم المتبّع شعائر دينه ومناسك دنياه وثوابت عقيدته.

ثمّ إنّ وظيفتي الإفهام والتّعليم تركزان على المتلقّي؛ إذ تأخذ الرسالة النبويّة قيمتها التّداوليّة بين مستخدميها عند إحداث التأثير المطلوب، معتمداً الإقناع بوسائله المتنوّعة والمؤثّرة.

ومن **دوافع الخطاب النبويّ** كذلك أنّه يلامس الحس، ويخاطب العقل والمنطق ويسبر المجهول لما جهل النّاس.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، يَقُولُ: يَا رَبُّ نُطْفَةِ، يَا رَبُّ

(١) الأصبهانيّ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠ هـ)، دلائل النبوة، ط ١، (تحقيق محمّد روّاس قلجعي)، المكتبة العربيّة، حلب، ١٩٧٠، ص ٣٣.

(٢) يقصد هنا الحديث النبويّ في الصّحّاحين كما سبقت الإشارة في بداية الدّراسة، ص ٧.

عَلَقَةً، يَا رَبَّ مُضْغَةً، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: "أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ"<sup>(١)</sup>.

والخطاب النبويّ يميّط اللثام ليكشف وجه الحقيقة أمام أعين المتلقّين عمّا لصق في أذهانهم وعقولهم من أوهام عقديّة واجتماعيّة، ارتبطت بأعرافٍ وتقاليّد باطلّة؛ فيعمل على تصحيحها بين التبشير والإنذار، قال تعالى<sup>(٢)</sup>: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

ويقول الأصبهانيّ في مخاطبة العقول<sup>(٣)</sup>: "وقيل إنّ النّبوة إزاحة علل ذوي الألباب فيما تقصر عقولهم عنه من مصالح الدّارين، ولهذا يوصف دائماً بالحجّة والهداية؛ ليزيح بها عنهم على سبيل الهداية والتّثقيف".

ثمّ إنّ الخطاب النبويّ يعظ المسلم بقصص الأوّلين؛ لأخذ العبرة والعظة، ويدافع عن الدّين وينشر تعاليمه ويحثّ على مكارم الأخلاق.

قَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَأُطَوِّفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِئَةِ امْرَأَةٍ - أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ - كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَحْمِلْ، مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ"<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاريّ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاريّ، ط ١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٥،

كتاب الحيض/ باب: ﴿مُخْلَقَةٌ وَغَيْرُ مُخْلَقَةٍ﴾ الحج: ٥، الحديث: ٣١٨، ص ٧١/ أبو الحسين مسلم بن الحجاج

القشيريّ النيسابوريّ (ت ٢١٦هـ)، صحيح مسلم، د. ط، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٥٤، كتاب: القدر/ باب: كيفيّة خلق آدميّ في بطن أمّه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، الحديث: ٢٦٤٣.

(٢) الأحزاب: ٤٥.

(٣) دلائل النّبوة، ص ٣٣.

(٤) البخاريّ: كتاب: الجهاد والسير/ باب: من طلب الولد للجهاد، حديث: ٢٨١٩، ص ٥٦٥/ مسلم: كتاب:

الأيمان/ باب: الاستثناء، حديث: ١٦٥٤.

والخطاب النبوي يشدّ أواصر الصّلات الدّينيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة والسّياسيّة بين أبناء المجتمع المسلم؛ ممّا يعمل على تماسك المجتمع وتكاتفه وتكافله.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ النَّحْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: "مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا، وَنَسَكَ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسُكَ، وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فِتْلِكَ شَاةٌ لَحْمٌ". فَقَامَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نَبِيَارٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ نَسَكْتُ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ أَكْلِ وَشُرْبٍ، فَتَعَجَّلْتُ وَأَكَلْتُ، وَأَطَعَمْتُ أَهْلِي وَجِيرَانِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تِلْكَ شَاةٌ لَحْمٌ". قَالَ: فَإِنَّ عِنْدِي عَنَاقَ<sup>(١)</sup> جَذَعَةٍ<sup>(٢)</sup>: هِيَ خَيْرٌ مِنْ شَاتِي لَحْمٍ، فَهَلْ تَجْزِي عَنِّي؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَلَنْ تَجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بِعَدِّكَ"<sup>(٣)</sup>.

ومن دوافع الخطاب النبويّ الأساسيّة أنّه مصدرُ التشريع الثاني بعد القرآن الكريم، يرجع إليه المسلم في أقواله وأفعاله، ويُمثّل به في سياق ما يتوجّب فيه إصدار حكم شرعيّ يقع بين الحلال أو الحرام في علاقات تواصل في مواقف محيّرة، وهو مصدر لتفسير القرآن وتوضيح ما جُمِلَ منه في أمور العبادات والمعاملات المتعلقة بشؤون حياة المسلم في شتى الميادين، قال تعالى<sup>(٤)</sup>: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَيُوسُفُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: ذَهَبْتُ لِأُنْصِرَ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِينِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصِرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ

(١) العَنَاقُ: الأنثى من ولد المعز، والجمع أعنق وعُنُوقٌ.

(٢) الجذعة: الجذع قبل التني، والجمع جذعان وجذاع، والأنثى جذعة، والجمع جذعات. تقول منه لولد الشاة في السنة الثانية ولولد البقر والحافر في السنة الثالثة، وللايل في السنة الخامسة: أجدع. والجدع: اسم له في زمن ليس بسن تنبت ولا تسقط. وقد قيل في ولد النعجة: إنه يُجدع في سنة أشهر أو تسعة أشهر، وذلك جائز في الأضحية.

(٣) البخاري: كتاب العيدين/ باب: كلام الإمام والناس في خطبة العيد، وإذا سئل الإمام عن شيء وهو يخطب، حديث: ٩٨٣، ص ١٩٤.

(٤) الدخان: ٥٨.

بَسِيفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟! قَالَ: "إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ"<sup>(١)</sup>.

كما أن الرسول — عليه السلام — علم أتباعه في خطابه النبوي عبارات يتقرب المسلم بها إلى الله من أدعية وأذكار، صارت أوراذا تُحفظ وتردّد بعده، تعمل على الاتصال بين العبد وربّه. حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: "قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"<sup>(٢)</sup>.

والخطاب النبوي يُعدُّ منها عذبًا ببيانهِ وصياغته لمن حظي بملكة التصرف في الكلام بحظٍ وافرٍ أو قليل.

وعلى ذلك فدوافع الخطاب النبوي يمكن جمعها في دائرتين: الدائرة الأولى: دائرة الغرض الديني الأكبر، وهي تبليغ رسالة الله، المتمثلة في دعوته عليه السلام المجتمع الإسلامي خاصّة، والناس عامّة، ثم الدائرة الثانية: دائرة الغرض الإنساني الاجتماعي الأصغر وهي التواصل والتفاهم المتمثلة في علاقته عليه السلام بأيّ من الأفراد عامّة، دون تحديد بعض الأغراض النبويّة الخاصّة التي لا تتعارض مع نبوته فهو إنسان ونبّي في آن معًا.

## دوافع الخطاب النبويّ

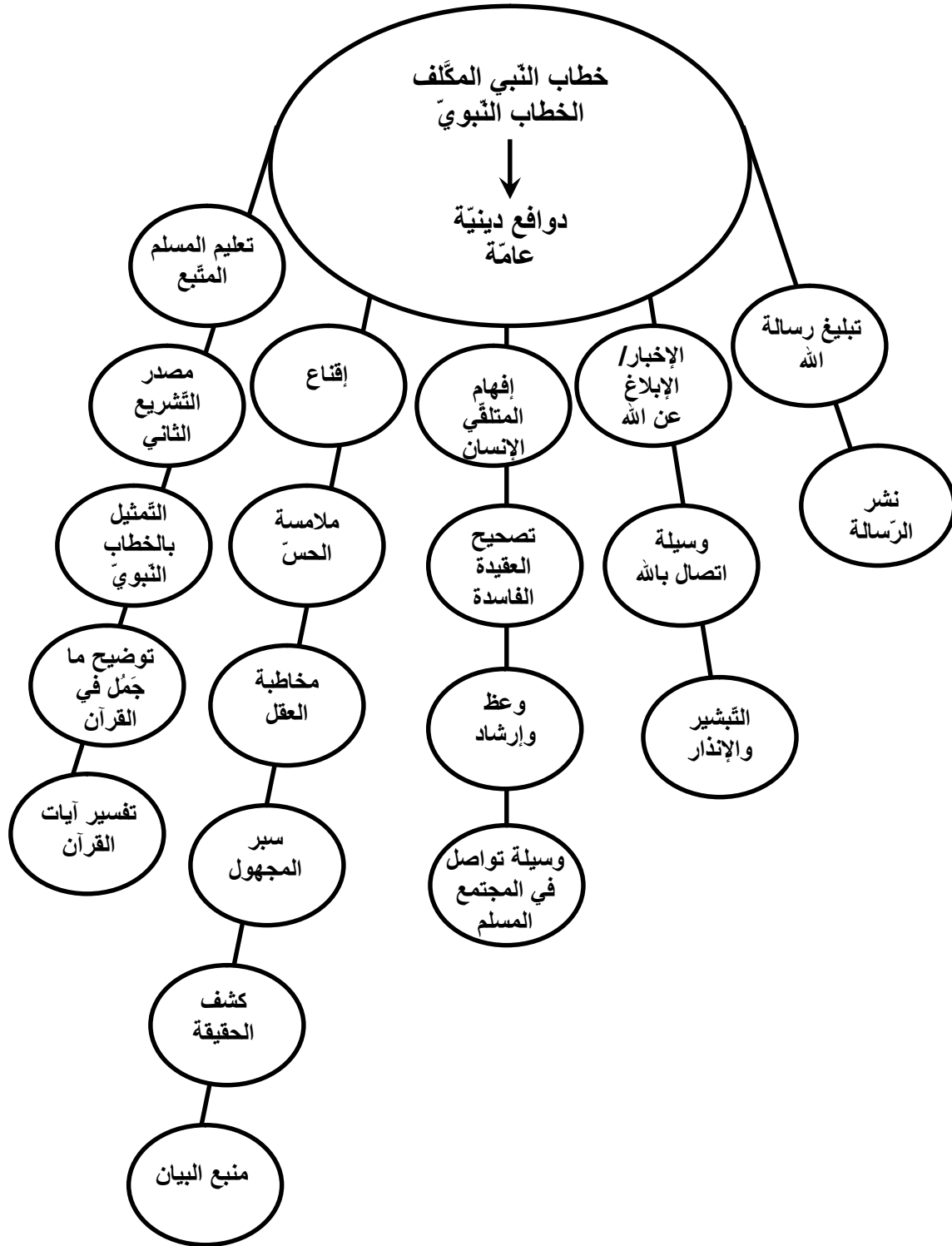


الغرض النبوي الأكبر: تبليغ رسالة الله

خطاطة رقم (٢)



**فدوافع الخطاب النبوي لا تفتأ تتحقق في عهد الرسول — عليه السلام — فتجد آذانًا صاغية لما قال، وأفواهًا تردّد ما فعل، وقلوبًا تحفظ قبل العقول ما قال وفعل، وما كان ذلك لينجز لولا ما حقّقه "خطابه الإنسان" بعد شخصه من سُمعةٍ ذاعت، وصيت راج بين العرب وغير العرب، فذلل ذلك له سبيل الدّعوة إلى الله، وتحقيق غاياتها في خطابه النبوي.**



خطاطة رقم (٣)

## المبحث الثاني:

### أصالة الخطاب النبويّ

عنوان هذا المبحث الموسوم بـ "أصالة الخطاب النبويّ" قد يدفع إلى سؤال عريض محير عند البعض: كيف يُعد الخطاب النبويّ أصيلاً، وهو منبثق من كتاب الله ووحيه؟ ولعلّ هذا السؤال يتفرّع إلى أسئلة أخرى تتبادر إلى الذهن: ما مفهوم "الأصالة" هنا؟ وهل هو مصطلح علمي؟ وهل من الممكن ربطه بالخطاب النبويّ؟

أقول من البدء: إذا كان يُفهم من كلمة "أصيل" أنّه القديم الذي لا أوّل له أو ما صنّع دون سبق هو المقصود في عموم العبارتين، دون تحديد أو تحييد أو تقييد؛ فإنّ هذا المبحث لا غ، والإجابة عن سؤاله العريض المحير عابث.

لذا يكون لازماً أوّلاً بيان مفهوم "الأصالة" وتحديد كأيّ مصطلح علمي، وإن كنتُ بذلك أخالف رأي عبده الرّاجحيّ الذي يشير إلى أنّ كلمة "الأصالة" مصطلح غير علمي، ولا يمكن تحديده بشكل واضح<sup>(١)</sup>، وأرى أنّ تحديد هذا المصطلح العلميّ الفضفاض، لا يمكن تأطيره بتعريف جامع مانع بسلسلة من العبارات المتتابعة دفعة واحدة بطريقة جاقة؛ تكون مخلة للمفهوم، ومقلّة في المضمون.

فمصطلح "الأصالة" في أيّ خطاب لا يمكن تحديده إلا بربطه بسياق العبارة اللغويّة المستعمل فيها اللفظ على المستوى الضيق من جهة، وبالسّياق الظرفي والتاريخي المحكوم بالدين والمجتمع والسياسة... إلخ على المستوى الأوسع من جهة أخرى.

فلا بدّ أوّلاً الإقرار أنّ لغته عليه السّلام في خطابه الذي لا ينطق به عن الهوى ليست مبتدعة ومبتكرة في لفظها ومعانيها؛ لأنّ جذورها وأصولها مستقاه من لغة القرآن الكريم التي هي لغة قریش ولهجاتها العروبيّة أصلاً؛ ولكنّ "الأصالة" التي أعني في خطابه النبويّ أنّه عليه السّلام حقق المعادلة الصّعبة بين كلام العرب وكلام نبيّ من العرب، يكلمهم كما يتكلمون، ويصوّر لهم الأشياء والمواقف بمثل ما يصوِّرون حيّاً، وإذا خرج كلامه في قالب لغويّ يحفظ للغة طرافتها في أحياء آخر؛ خرج على غير ما يحفظون، وأصبح كلامه عليه السّلام — بعد ذلك — يمثل قوالب

(١) انظر أعمال ثلاثة ندوة في البحث اللسانيّ والسيميائيّ، الرباط، بحث (النحو العربيّ واللسانيّات المعاصرة)

عبده الرّاجحيّ، ص ١٥٤.

لغوية ثابتة في الذاكرة اللغوية للجماعة المسلمة، فاللغة لغة القرآن؛ ولكن "الأصالة" في القوالب التي كان يصبّ الرسول — عليه السلام — فيها لفظه؛ فالنظم مزية تُعزى إليه فصاحة الكلم كما يبيّن الجرجاني<sup>(١)</sup>: "إنّ الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تعزى المزية فيه إلى اللفظ، وقسم تعزى فيه إلى النظم".

ومما يؤكّد الطرافة في كلامه عليه السلام ما يُروى عن علي — رضي الله عنه — في قول الجرجاني<sup>(٢)</sup>: (ومن العجيب في هذا، ما روي عن أمير المؤمنين علي — رضوان الله عليه — أنّه قال: "ما سمعتُ كلمةً عربيّةً من العرب إلا وسمعتها من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسمعتُه يقول: "مات حتف أنفه"، وما سمعتها من عربيّ قبله!)؛ فعبارة علي — رضي الله عنه — "ما سمعتها من عربيّ قبله"، وهو من بلغاء العرب بعد الرسول — عليه السلام — شهادة على ابتكار كلام الرسول — عليه السلام — وجدّته.

فهذه سمة "الأصالة النبوية" الإبداع والابتكار اللغويّ على مستويي التركيب والنظم ومستويي البيان والمجاز، يقول ابن الأثير<sup>(٣)</sup>: (أمّا ما يأتي على حكم المجاز، فقوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين: "الآن حمي الوطيس"، وهذا لم يُسمع من أحد قبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولو أتينا بمجاز غير ذلك في معناه فقلنا: "استعرت الحرب"؛ لما كان مؤدياً من المعنى ما يؤدّيه "حمي الوطيس"، والفرق بينهما أنّ الوطيس هو الثنور، وهو موطن الوقود، ومجمع النار، وذلك يخيّل إلى السامع أنّ هناك صورة شبيهة بصورته في حميها وتوقدها، وهذا لا يوجد في قولنا: "استعرت الحرب"، وما جرى مجراه، وكذلك قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم: "بُعِثْتُ في نفس الساعة"، فقوله: "نفس الساعة" في العبارة العجيبة، التي لا يقوم غيرها مقامها؛ لأنّ المراد بذلك أنّه بُعث والساعة قريبة منه؛ ولكنّ قربها منه لا يدلّ على ما دلّ عليه النَّفس، وذلك أنّ النَّفس يدلّ على أنّ الساعة منه بحيث يحسّ بها، كما يحسّ الإنسان بنفس من هو إلى جانبه).

(١) الجرجانيّ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد (ت ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ)، دلائل الإعجاز، د.ب.ط، (تحقيق محمود محمد شاكر)، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٤٥١.

(٢) المصدر نفسه، (تحرير القول في الإعجاز والفصاحة والبلاغة)، ص ٤٠٤.

(٣) ابن الأثير، ضياء الدّين أبو الفتح نصر الله بن محمّد الجزريّ (ت ٦٣٧ هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، د.ب.ط، (قدم له أحمد الحوفيّ وبدوي طبانة وحققاه)، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٩، ١/ ص ٩٧.

ولو أُنعمَ النَّظر في قول ابن الأثير: "العبارة العجيبة"، لعُرف أنَّه ما نعت عبارة الرَّسول - عليه السَّلام - ومجازه هذا بكلمة "العجيبة" إلاَّ لأنَّه يدرك إدراكًا تامًّا أنَّها عبارة أصيلة ومبتكرة ووقعها عجيب، لا يتأتَّى لغيرها من العبارات في السَّياق اللُّغويِّ الذي قيلت فيه، فالرَّسول - عليه السَّلام - بعباراته المبتدعة يغني اللُّغة؛ لتصبح نماذج تُحاكى، ويمثِّل بها من قِبَل المسلمين بعده. وإنَّ ما يعطي خطاب الرَّسول - عليه السَّلام - أصالته كذلك أنَّ عباراته المبتكرة ما كانت متداولة قبل إنشائه إياها، وألفاظه وتراكيبه غيرُ مستهلكة في الاستعمال؛ وإنَّما تمتاز بخصوصية النَّبوة بما فيها من فرادةٍ وجمال، وهذا من أهمِّ عوامل الإبداع في البلاغة العربيَّة كما يبيِّن ابن الأثير في الأركان التي لا بدَّ من إبداعها في كُتَّاب البلاغة، يقول<sup>(١)</sup>: "والرَّكن الرَّابع: أنَّ تكون ألفاظ الكُتَّاب غيرَ مخلوقةٍ بكثرة الاستعمال، ولا أريد بذلك أنَّ تكون ألفاظًا غريبة؛ فإنَّ ذلك عيبٌ فاحشٌ، بل أريد أنَّ تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبًّا غريبًا، يظن السَّامع أنَّها غيرُ ما في أيدي النَّاس، وهي ممَّا في أيدي النَّاس".

فخطابه عليه السَّلام ببلاغته الأصيلة وبيانه البديع، وحُسْن سبكه - وإنَّ لم يكن معجزًا بمفهوم الإعجاز القرآني - يظنَّ المتلقِّي المسلم أنَّه يستطيع أن يأتي بمثله، وأنَّ الخطاب النَّبويَّ في متناول يده؛ ولكنَّه حقيقة يعجز عنه؛ فيرتفع بيان النَّبوة عليه، ويكون كلامُ المحاكِي دونه. على أنَّ الرَّافعي يبيِّن أنَّ ثمة مَنْ يشارك الرَّسول - عليه السَّلام - من فصحاء العرب بعضَ مظاهر الكلام؛ ولكنَّه يرى أنَّ الشَّأن الذي انفرد به عليه السَّلام: "أنَّه منزَّه عن النَّقص الذي يعتري الفصحاء من جهتها"<sup>(٢)</sup> أحيانًا كثيرة وقليلة؛ لأنَّها طبيعيَّة فيه؛ ولأنَّ وراءها تلك النَّفس العظيمة الكاملة التي غلبت على كلِّ أثر إنسانيٍّ يصدر عنها"<sup>(٣)</sup>.

كما أنَّ ذبوع الخطاب النَّبويَّ بين متداوليه بعد قول الرَّسول - عليه السَّلام - له وكثرة تكرارهم له، لا يُفقد كلامه عليه السَّلام وأساليبَ تعبيره ألوانه المعنويَّة الخاصَّة أو تحرمة قوَّة

(١) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشَّاعر، (فصل في إتقان الكتابة)، ص ١٢٢.

(٢) الهاء عائدة على اللُّغة.

(٣) الرَّافعي، مصطفى صادق (٢٠٠٠)، إعجاز القرآن والبلاغة النَّبويَّة، ط ١، بيروت: المكتبة العصريَّة، اعتنى

به درويش الجويديّ وراجعته، ص ٢٤٠.

التعبير الإيحائية أو معناه الحسي؛ فثسلب بذلك كلمته وعباراته عليه السّلام قوّتها أو تأثيرها كأَيّ كلمة أو عبارة لغويّة أخرى<sup>(١)</sup>.

ثمّ إنّ تأثير الكلام المبتكر ذي المعنى الجديد والأصيل والقليل التّداول يكون حسنَ الوقع، وأدعى للتأثير في نفس المتلقّي ممّا انتشر وذاع، كما هو الحال في خطابه عليه السّلام، يقول القرطاجني<sup>(٢)</sup>: "ولا تجد النّفسُ للمناسبة بين ما كثر وجوده ما تجد لما قلّ، من الهزّة وحُسن الموقع؛ لكونها لا تستغرب جلبَ العتيد، استغرابها لجلب ما عزّ".

ولا يخفى أثر العبارة البديعة - دون المستقبحة - في إشعاع النّفس، والارتياح وحُسن التّلقي، يقول القرطاجني<sup>(٣)</sup>: "فأمّا السّبب في حُسن موقع المحاكاة من النّفس من جهة، اقترانها بالمحاسن التّأليفيّة، فهو أنّه لما كان للنّفس في اجتلاء المعاني في العبارات المستحسنّة من حُسن الموقع الذي ترتاح له ما لا يكون لها عند قيام المعنى بفكرها من غير طريق السّمع، ولا عندما يوحى إليها المعنى بإشارة، ولا عندما تجتلبه في عبارة مستقبحة".

ومن ذلك: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَنَظَرْنَا إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا"، ثُمَّ قَرَأَ<sup>(٤)</sup>: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

الْغُرُوبِ﴾ قَالَ إِسْمَاعِيلُ: افْعَلُوا، لَا تَقُوتُكُمْ<sup>(٥)</sup>.

(١) يذكر "ستيفن أولمان" أنّ الكلمة أو العبارة اللغويّة تضعف بكثرة الاستعمال والتكرار، وتصبح بحاجة دائمة إلى تعزيز وتقوية، وهذا يُعرف بقانون "التضائل التدريجي"، أولمان، ستيفن (١٩٦٢)، دور الكلمة في اللغة، ط١، الإسكندرية: مكتبة الشّباب، تعريب: كمال بشر وتقديمه، ص١٠٨.

(٢) القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمّد بن حسن (ت ٦٨٤ هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، د.ط، (تحقيق محمّد الحبيب بن الخوجة وقدم له)، دار الكتب الجامعيّة، تونس، ١٩٦٦، ص٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٨.

(٤) ق: ٣٩.

(٥) البخاري: كتاب: مواقيت الصّلاة/باب: فضل صلاة العصر، حديث: ٥٥٤، ص١١٧/مسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصّلاة/باب: فضل صلاتي الصّبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث: ٦٣٣.

و"أصالة الخطاب النبوي" لا تعني الغرابة؛ لأنّ هذا عيبٌ لغويٌّ في كلام العرب؛ ولكن الغريب الذي تتأثر في بعض ألفاظ الرّسول الغريبة لا يخرج عن حالتين: إمّا أنّها مفهومة مألوفة في العصر النبويّ، ثمّ غمضت بعده، وإمّا أنّها كانت غريبة، وجيء بها لتسدّ مسدّاً لا تقي به الكلمة المألوفة، فتكون هنا الغرابة على ندرتها القليلة ممّا تُحمد؛ لأنّها لفظ جديدٌ يُداول، وكان ذلك نادراً إذا قيس بما يُداول من خطاب الرّسول - عليه السّلام<sup>(١)</sup>.

كما أنّ الرّسول - عليه السّلام - اضطر أحياناً إلى اللفظ الغريب اضطراراً في بعض خطابه في رسائله وعهوده إلى القبائل النائية في بطن الجزيرة العربيّة، ممّن لا ينطقون لغة قريش<sup>(٢)</sup>، وتظهر هنا المقدرة الكامنة في بيان الرّسول الكريم، بإحاطته بالأسنة هؤلاء الغرباء، فكان هذا موضع العجب من أصحابه عليه السّلام، يرونه يفهم عن الغرباء ما لا يفهمون، ويحادثهم بما لا يستطيعون أن يقولوه، حتى قال له علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقد سمعه يخاطب وفد بني نهْد<sup>(٣)</sup>: "يا رسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال عليه السّلام: "أدبني ربّي؛ فأحسن تأديبي".

وما يُكسب الخطاب النبوي سمة "الأصالة" كذلك أنّ منشئه الرّسول - عليه السّلام - وعلية سمّته وحليته، وهو من خاصّة النّاس، ويتفرّد بمعرفة ما لا يعرفه الجمهور من العرب، ويميّز ما لا يدركونه، فهو مختلف عنهم، ويقول القرطاجني في الأصالة<sup>(٤)</sup>: "والأشياء التي يقال فيها إنّها خيرات وشرور، أو يتوهم أنّها كذلك، منها أمور يشترك في معرفتها وإدراكها الخاصّة والجمهور، ومنها أمورٌ ينفرد بإدراكها ومعرفتها الخاصّة دون الجمهور".

و"أصالة الخطاب النبوي" أنّ بيان منشئه عليه السّلام فطريّ أصيل، ليس دخيلاً أو مصطنعاً أو مكتسباً، فلم يدركه عليه السّلام بالتعلّم ممّن حوله، إنّما كان موهبة ووحياً إلهياً، وأدباً

علّمه الله إياه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر البيومي، محمّد رجب (١٩٨٧)، البيان النبويّ، ط١، المنصورة: دار الوفاء للطباعة، ص ٢٥٩.

(٢) انظر مخاطبة الرّسول - عليه السّلام - الأقوام بلهجاتهم الخاصّة، فيما روى سعيد عفير عن ابن لهيعة في ما كتبه إلى وائل بن حجر الحضرمي ولقومه، البيان والتبيين، ٢٧/٢.

(٣) ابن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدّين بن هبة الله بن محمّد بن محمّد المدائنيّ المعتزليّ (ت ٦٣٧هـ)، شرح نهج البلاغة، ط١، (تحقيق محمّد عبد الكريم الثّمري)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٨، ١٣٧/١١.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (الأصالة في الشّعر/ الجمهور)، ص ٢٠.

(٥) النّجم: ٣-٤.

وسمة الإبداع الفطري ذكرها القرطاجني<sup>(١)</sup>: " فالمتصورات التي في فطرة النفوس ومعتقداتها العادية أن تجد فرحاً أو ترحاً أو شجواً هي التي ينبغي أن نسميها بالمتصورات الدخيلة، وهي المعاني التي إنما يكون وجودها يتعلم ويتكسب كالأغراض التي لا تقع إلا في العلوم والصناعات والمهن".

فخطابه عليه السلام ليس كأبي خطاب؛ لأنّ أيّ خطاب هو مجمع لأشكال متعدّدة من النصوص السابقة المكتوبة والمسموعة؛ لكنّ "أصالة الخطاب النبوي" في أنّه تأسّس لنصّ ليس له جذر إنسانيّ سابق على مستوى الرؤية الكونيّة، وعلى مستوى الأداء التعبيريّ اللغويّ، وعلى مستويات: الاستعمال البلاغيّ والبناء النصّي والتأثير والتذوق الجماليّ، فهو لا يحيل على خطاب بشريّ مصنوع سابق عليه أو متزامن معه؛ بل هو المؤسّس لخطاب لاحق، فهو ابتداءً وابتكاراً، ومن هنا تأتي أصالته وعبريته، كما لا فضل لنصّ عليه على مستوى المرجع الأدبيّ إلا كتاب الله<sup>(٢)</sup>.

وأسلوبه عليه السلام في الخطاب النبويّ بوصفه بناءً على غير مثال سابق في كلام العرب، يبحث في كفيّة تشكيله حتى يصير خطاباً مبتكراً له خصوصيّة الأدبيّة والجماليّة، فخطابه الأدبيّ مفارق لمألوف القول ومخالف للعادة، وبخروجه هذا يكتسب أدبيّته ويحقّق أصالته. ويكتسب الخطاب النبوي سمة العمل الأدبيّ؛ لأنّه مؤثر في متلقيه؛ فبذا حقّق أدبيّته ومنح نصّه قيمة عالية، وحقّق أصالته بخلوده في نفوس متلقّيه.

ثمّ إذا كان خلود الآثار الأدبيّة قائماً على تعدّد القراءات للنص الواحد مع تعدّد القراء على اختلاف العصور والأماكن، فإنّ خلود الخطاب النبويّ وأصالته – بوصفه أثراً أدبيّاً – حادث بثبات قراءته مع تعدّد القراء؛ فهي لا تحتل الشطط في التأويل، فرسالته النصيّة واضحة ليست ملك القارئ، وتحت تصرف فهمه وذوقه، كأبي نصّ أدبيّ آخر، كما أنّ المتلقّي، وإن حاول رصد معانيه وجمال الخطاب فيه، فلا يمكن أن يقع على أبعاد لم يقصدها الرّسول – عليه السلام – منشئ الخطاب النبويّ.

وعدا ذلك فإنّ "أصالة الخطاب النبوي" في أنّه منتّم إلى فكر صاحبه عليه السلام، وفكر مجتمعه العربيّ الإسلاميّ، ممثّل لهمومه وواقعه، ليس منقطعاً عنه أو منفلاً منه؛ فهو معبر عن

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (الأصالة في الشعر/ الجمهور)، ص ٢٢.

(٢) انظر العشيّ، عبد الله (٢٠٠٠)، بنية الدّعاء "دراسة تأصيليّة في جماليّات الخطاب النبوي"، مجلّة العلوم

الإنسانيّة، العدد (٣)، ص ١٩٣.



مكونات الذات المسلمة خاصّة، والذات الإنسانيّة عامّة؛ ولعلّ هذا ما يدفع هذا الخطاب إلى أن يعيش زمناً طويلاً بعد الرّسول — عليه السّلام — في حين أنّ خطاباً آخر ينتشر في زمان ما ومكان ما مثل بضاعة تروج مدّة محدودة، يسطع بريقها، ويكثر طالبوها ومتداولوها؛ ثمّ لا تلبث أن يخبو وهجها وألقها، ثم تنطفئ وتندثر كأنّ شيئاً لم يكن.

ومما يعزّزُ الامتدادين الزّمانيّ والمكانيّ لخطابه عليه السّلام حمّله رسالة الحقّ للعالمين كلّهم، وبذلك يترقّع الخطاب النّبويّ الأصيل عن صفة القَدَم؛ بمعنى الشّيء الذي يؤول إلى زوال مع تقادم الزّمن؛ ليثبت استمراره إلى جانب كلام الله معيّناً لا ينضب ولا ينتهي.

## المبحث الثالث:

### سلطة الخطاب النبوي

الكلمة لها صورتان من الوجود: وجود بالقوة ووجود بالفعل، فكل كلمة تُسمَع أو تُنطق؛ تترك في أثرها مجموعة من الانطباعات في ذهن كل من المتكلم والسامع، انطباعات لأصوات وحركات أعضاء النطق والجسد كذلك<sup>(١)</sup>، فللكلمة سلطة على الأفراد، وتأثير في المتلقي، قد لا يقل قوة عن سلطة الحاكم على المحكوم في شبكة العلاقات القائمة بين أطراف فعل التفاعل في السياق اللغوي.

والكلمة لها قوة نفسية لا مادية، وتشير إلى خاصية إثارة الانفعالات العميقة أو عناصر النفوذ، والتأثير السحري والقداسة الممّدة كما يشير "سيريل بيرت" في "علم النفس الديني"<sup>(٢)</sup>، ويؤكد "ميخائيل باختين" هذه القوة للكلمة والتأثير في تعريفه الخطاب أنه طريقة لاستخدام الكلمات التي تفرض السلطة والسلطة<sup>(٣)</sup>، وهذا لا شك مفهوم الخطاب اللساني الاجتماعي الذي يعلن وظيفة أخرى للخطاب اللغوي غير مهمة التوصل والتفاعل والبيان، وذلك في محاولته ممارسة سلطة ما، وبطريقة ما على المتلقي في قناة التواصل وسياقه؛ ليخلص في نهاية المطاف لنتيجة محدّدة وغاية معيّنة، يسعى منشئ الخطاب أن يصل إليها أو ينجزها من بثّ خطابه، ولكل خطاب سلطة يمارسها على الأفراد في فعل التواصل؛ ولكن ثمة فرقاً بين خطاب وآخر، فهناك خطاب يمارس سلطته بأدواته في الإقناع باستخدام العقل والمنطق مثل سلطة الواعظ أو المعلم أو الداعية أو الطبيب... إلخ، وخطاب آخر يمارس سلطة مستمدّة من مصدر خارجي عن بنية الخطاب مثل ممارسة القمع في السلطة السياسية بجيشها ومعدّاتها، أو سلطة الإعلام بخطابها الدعائي الموجّه إلى جماعات خاصّة، مهمّتها الحفاظ على الخطاب في نطاق ضيق ومغلق قدر الإمكان، أو إلى بعض المؤسسات التعليمية التي تسعى في فرض مناهجها ومادتها الخطابية إلى ما يُعرف بـ

(١) انظر أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٣١.

(٢) انظر بيرت، سيريل (١٩٨٥)، علم النفس الديني، ط ١، بيروت: دار الآفاق الجديدة، تعريب: سمير عبدة، ص ١٢.

(٣) وهو متأثر بمعنى الكلمة الروسية للخطاب "سلوفو"، انظر مفهوم الخطاب، ميلز، مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، ص ١٦.

"التملك الاجتماعي"<sup>(١)</sup> للخطاب، فهذه الجماعات تعمل على تحديد وظيفة الخطاب ونطاق تداوله وملكيته، في حين أنّ المذاهب الدينيّة والسياسيّة والفلسفيّة تميل إلى الانتشار في المجتمعات الإنسانية.

فبعض أصحاب هذه الاتجاهات يسعون إلى بثّ خطابهم ودعواتهم بالقوّة والقمع؛ فلذلك ضلّوا السبيل؛ لأنّهم قادرون على أن يحققوا غايتهم بالحوار والإصغاء إلى الآخرين دون قهر أو ظلم أو إجبار، وقد كان الرّسول - عليه السّلام - في دعوته وخطابه النبويّ يحاور ويصغي ويناقش؛ فلا إكراه في الدّين، وكان لخطابه سلطة.

**فهل الخطاب النبويّ يشكّل سلطة في ذاته كسلطة اللّغة؟ أم أنّ سلطته مقرونة بقوى اجتماعيّة أو دينيّة أو نفسيّة خارجيّة عنه، أم أنّها في شخص النّبيّ - عليه السّلام - الإنسان أولاً ثمّ النّبيّ الدّاعي ثانياً أم في هذه السّلطات الثلاثة: سلطة صاحب الخطاب النبويّ المنشئ عليه السّلام، وسلطة الخطاب النبويّ نفسه، وسلطة المحيط اللّغويّ في بنيته اللّسانية الاجتماعيّة بقواه المتعدّدة: الاجتماعيّة والدينيّة والنفسيّة التي تحتضن الموقف اللّغويّ وتتفاعل معه وتتأثر به؟**

إنّ الخطاب النبويّ هو الكلام الذي تلقّظ به الرّسول - عليه السّلام - بوصفه كلاماً محاطاً بالوحي الإلهيّ وعناية الله وملائكته وخلقه؛ فإنّ ما يقوله عليه السّلام يتمتّع بضمانة فكريّة عند المتلقّي المسلم، وهي ما جعلت المسلمين الأوائل من صحابة وتابعين يُصغون إلى كلامه ويتلقّونه بخشوع وورع، حمّلهم على نقل الحديث النبويّ وحفظه في سلسلة متواصلة من الشّهود أو الإسناد، حتى وصلت إلى المسلمين بعدهم؛ فالخطاب النبويّ جملة رموز متواترة بين أفراد المجموعة المسلمة التي تتحوّل بفعل الرّابط اللّغويّ في خطابه عليه السّلام إلى مجموعة فكريّة وحضاريّة، فهي ملهمة إلهاماً، قال تعالى<sup>(٢)</sup>: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾؛ ولذلك فالخطاب النبويّ يمثل ضرباً من التسليم الضمّني بين أفراد المسلمين؛

تجعل له قوّة لا شعوريّة وسطوة نفسيّة عليهم، فيشكّل سلطة تنبثق من بنية الخطاب النبويّ نفسه، تحمل المسلم على الالتزام به حفظاً ونقلًا من جهة، ثمّ الاستشهاد به، والعمل بما جاء فيه من تعاليم وتشريعات وأوامر ملزمة، لها قدسيّتها وهالتها الدينيّة من جهة أخرى، يقول ابن حزم في ضرورة

(١) انظر الحميري، الخطاب والنّص "المفهوم والعلاقة والسلطة"، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) النّجم: ٢-٤.

اتباعه عليه السّلام<sup>(١)</sup>: "واحتجّ مَنْ قال إنّ أفعاله عليه السّلام كأوامره بأن قال: قد أمرنا باتباعه عليه السّلام بقوله تعالى<sup>(٢)</sup>: ﴿فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، قالوا: هذا إيجاب علينا اتباعه في فعله وأمره سواء، قال علي: الاتّباع لا يفهم منه محاكاة الفعل في اللغة أصلاً، وإنّما تقتضي الامتثال لأمره عليه السّلام والطاعة لما علم عن ربّه عزّ وجلّ، وقد بيّن ذلك عليه السّلام في قوله: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ".

فهذه السّلطة يُعطى الخطابُ النَّبويّ حصانة خالدة في ذاكرة الجماعة المسلمة، تتجاوز حاجز الزّمان والمكان في عهد النّبوة ممتدّاً لما يليه.

ولللخطاب النَّبويّ سلطة تنبع من طبيعته هو نفسه، بوصفه نظاماً سلطته تمارسُ فعل الضّبط والإقصاء، بغية الحفاظ على وجوده في زمنه وما بعده، ويقصد بذلك أنّ سلطته تبعد أيّاً من الخطاب الإنسانيّ الدّنيويّ الوضعيّ وتنحيّه؛ فتكون السّلطة له والقوّة والكلمة الفصل، وبذلك يحقق عنصر الضّبط والتنظيم الأوّلين للخطاب الإنسانيّ في المجتمع الإسلاميّ، وسيطرته على متداوليه المسلمين بعد سلطة خطاب القرآن الكريم، يقول ابن حزم<sup>(٣)</sup>: "إلا أنّه لا يحلّ لمسلم أن يقول في لفظه لم يأت نصّ ولا ضرورة حس بأنّها منقولة عن موضوعها: إنّها منقولة، ولا يتعدّى بكل ذلك ما جاء في نصّ أو ضرورة حس، ولا يصرف لفظ عن موضوعه إلا بأحد هذين الوجهين، وإلا فهي باقية في مرتبتها في اللغة؛ وليس لأحد أن يصرف كلاماً عن وجهه إذا لم يصرفه الله تعالى، ولا رسوله - صلى الله عليه وسلّم".

والخطاب النَّبويّ يتفاعل مع غيره من الخطاب الإنسانيّ والعقديّ اتفاقاً أو اختلافاً؛ لكنّه يرتفع عنه ويعلو عليه لخصوصيّته؛ فلا بدّ له أن ينحيه ليفرض نفسه ويحافظ على ثبوته وبقائه واستمراره المطلق في واقع المحيط الإسلاميّ الاجتماعيّ<sup>(٤)</sup> المعيش بفعل العقيدة الدّينيّة والأخلاقيّة التي لا تنفك تعزّز قدرة الخطاب النَّبويّ على ممارسة طريقتي المنع أو التّحريم

(١) ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسيّ الظاهريّ، (ت ٤٥٦ هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ط ١، (إشراف أحمد شاكر)، مطبعة الإمام، مصر، ١٣٤٥، (في وجوب اتّباع الرّسول عليه السّلام)، ص ٤٢٦.

(٢) الأعراف: ١٥٨.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، ص ٤١٩.

(٤) انظر مفهوم الخطاب النَّبويّ المطلق والعاليّ والواقعيّ في سمات الخطاب النَّبويّ من الدّراسة، ص ٥٤.

والتحليل، ويعبر عن ذلك أصدق تعبير قول عبادة بن الصّامت<sup>(١)</sup>: " ما تكلمتُ بكلمة منذ بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا مزمومة<sup>(٢)</sup> مخطوطة". وسلطة الخطاب النبوي وإن كانت سلطة تحمل معنى القوة، فهي قوة إجابيّة لا عنف فيها كما نظر "فوكو" و"نيتشه" لسلطة الخطاب، فهي سلطة تحمل في ثناياها معنى الإلزام في اتباع أمره عليه السلام، يقول ابن حزم<sup>(٣)</sup>: "قال علي: فيقال لهم: لا عليكم، أمرُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو أمرٌ من الله عزّ وجلّ نفسه، بقوله تعالى<sup>(٤)</sup>: ﴿وَمَا يَطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، فنطقه كله أمرٌ لله عزّ وجلّ، قال علي: وهذه الآية كافية في أنّ اللازم إنّما هو الأمر فقط لا الفعل؛ لأنّ الله عزّ وجلّ إنّما أخبر أنّ الوحي من قبله تعالى هو النطق؛ والنطق إنّما هو الأمر، وأمّا الفعل فلا يسمّى نطقاً البتّة، فصحّ أنّ فعله عليه السلام كله إباحة وندب؛ لا إيجاب إلا ما كان فيه بياناً لأمر، قال علي: وقال بعضهم: معنى أمره ههنا حاله، كما يقول أمر فلان اليوم على استقامة، أو أمره على عوج، يعني حاله". وإنّ اتباع المسلم أمر رسول الله في خطابه النبويّ هو تعبير عن إرادة قويّة فيه، بمعنى تعبير عن حضور إرادة المتّبع لسلطة نبيّه المتّبع الدنيّة المنبثقة عن سلطة عليا، هي سلطة الإله الأعظم سبحانه وتعالى، وبأمر منه، فيطلب لذلك التزام المسلم بهذا الخطاب النبويّ؛ بل يشعره باللذة، ويدفعه في ذلك عامل نفسيّ فيه رضا ورجاء، هو حبّ الله ورسوله؛ فيحمله هذا الحبّ على طاعتهما والعمل بما جاء في كتاب الله وسنة نبيّه، وكأنّ ثمة قوة تأثير روحية نابعة من الخطاب الدينيّ موجّهة صوب المتلقّي المسلم<sup>(٥)</sup>.

وبذلك فهي سلطة إجابيّة لا سلبية، لا تمارس القمع على شخص المسلم متلقّي خطاب الرّسول - عليه السلام، فهي سلطة قوّة مقرونة بإرادة الفعل، وكأنيّ بها سلطة وديّة - إنّ جاز التعبير - سلطة تكشف للمتلقّي المسلم حقيقة الحياة ونفسه، سلطة تنير طريقه وتفتح له آفاقاً في

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩١/١.

(٢) مزمومة: الرّمزّة صوت خفي لا يكاد يفهم.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، ص ٤٢٧.

(٤) النّجم: ٤-٣.

(٥) يقول حسن منديل: "وإذا كان تأثير اللغة الأدبيّة واضحاً لا يجده أحد النفوس في سلبيّاً أو إيجابياً، وإذا كانت اللغة في أحد جوانبها تعبر عن انفعالات النفس أو الرّوح وترجمة لها، فإنّ التأثير الرّوحيّ في اللغة واضح أيضاً"، انظر العكيلي، حسن منديل (٢٠٠٦)، الجانب الرّوحيّ في اللغة العربيّة، ط ١، عمّان: دار الضيّاء، ص ٤٢.

حياته الدنيوية والدنيوية وتوجّه خطاه في المجتمع الإسلامي في شبكة علاقاته المتداخلة والمنتجة؛ فالخطاب النبوي يفسّر للمسلم قرآنه، ويوجهه إلى فعل الخير ويبسّر له طريق الحق، ويحاكي واقعه الاجتماعي والنفسي والسياسي والاقتصادي المعيش في أيّ زمان ومكان، ويقدم له الحلول والعلاج لمشكلاته، ويصوغ له المعرفة بأشكالها كافة؛ وبذلك فالخطاب النبوي يصوغ وعي المتلقي المسلم، ويوجه إرادته إلى هذا الاتجاه أو ذاك، وهو الذي يحدّد علاقاته بالأشياء والأشخاص والأوضاع وطبيعة مواقفه منها، فيجعله يقبل بعضها، ويرفض الآخر؛ فهو بذلك خطاب السيادة بعد القرآن الكريم.

وكأنّ الخطاب النبوي يمثل السلطة الحاكمة ذات الطابع التشريعي وإن اختلف عنها؛ لأنها تحكم علاقاتها بالقوى الوضعية الأخرى ذات الخطاب القوي أو الحشوي أو المرفوض أو المهمل، فيأتي الخطاب النبوي ليوجهه ويضبطه ويبين موقفه منه، متجاوزاً بذلك القيود التي تفرضها ثقافة المجتمع على المتلقي المسلم على تنوعها، ولعلّ مرد ذلك إلى عاملين: العامل الأول: الخطاب النبوي الذي يستمدّ سلطته هذه من طبيعته الكلية أو الشمولية، والممتدة إلى أزمان متباينة، أمّا العامل الثاني فهو أنّ الخطاب النبوي لم يؤسس على أنقاض خطاب سابق قبله، فثمة قطيعة خطابية، فالخطاب النبوي مرتبط بعقيدة نظام الإسلام وتعاليمه المستمدة من القرآن الكريم في سياق المجتمع الإسلامي الذي ينحو إلى العالمية، ولا يقصد طبيعة الخطاب النبوي اللغوية المنبثقة من لغة قريش بلفظها ونظمها، وأمثلة على ما أذهب إليه في أنّ كثيراً من كلمات اللغة تكتسب سلطتها ليس من طقوس استخدام هذه الكلمات متضمناً سياق الحال الاجتماعي والنفسي ووضع المتكلم بها حسب؛ بل من قوة النظام الديني والأخلاقي والسياسي والفكري التي تملّي على مستخدمي اللغة في مقام محدّد الالتزام بمضمون ما يتكلمون به أو يتفقون عليه شفهيّاً أو مكتوباً مثل: عقود النكاح والطلاق والبيع والشراء وغيرها، فهذا الخطاب اللغوي لا يُنظر إلى لفظه المحض؛ ليتحقّق عنصر تأثير هذه اللغة على مستخدميها؛ ولكن يُنظر إلى السلطة التي يستمدّها هذا الخطاب اللغوي من سلطة علاقات القوى التي تشكّل نسيج سلطة الخطاب الناطق باسم تلك القوى أو المعبر عن إرادتها، كسلطة الدين أو السياسية أو المجتمع بعاداته وأعرافه وتقاليده، فسلطة الدين والعرف الاجتماعي والأخلاق هي التي تحمل الفرد الذي وقع عقد النكاح على أنّ يلتزم بما جاء فيه، وما يترتب عليه من تبعات، ولولا قوى هذه السلطة لكان هذا العقد مجرد كلمات، تأثيرها في طرفي الخطاب وفي محيطه آنّي وغير ملزم وغير مقنن أو منضبط بقيود

وقوانين محدّدة، تفرض عقوباتٍ على متجاوزيها أو تضع الحدَّ عليهم، ولولا هذه السّلطة لأصبح المجتمعُ غائبًا.

وعليه فلغة الخطاب النّبويّ لغة تستمد قوّتها الخاصّة في المجتمع الإسلاميّ من طابعها المحدّد للسيادة العليا، وهذه خصيصة لها، ليست من قبل هي لغة؛ بل اكتسبتها من طبيعة السياق الذي تحيا به.

لذا جاء الخطاب الدّينيّ بشقيه: الخطاب القرآنيّ والخطاب النّبويّ بضوابط تحكم حياة أفراد المجتمع الإسلاميّ الدّينيّة والدّنيويّة، فوضّعت قوانين تنظّمها، مستقاة من نصوص الخطاب الدّينيّ، فكانت له سلطة على المتلقّي المسلم، فهو أدعى للاتباع من قوانين إنسانيّة دنيويّة أخرى.

فانبثاق الوعي الدّينيّ في سلطة الخطاب النّبويّ للمسلمين لم يكن من طبيعة سلطة الخطاب النّبويّ نفسه حسب؛ بل من النموذج النّبويّ الممثل في شخص إمام المجتمع الإسلاميّ المفوض من قبل الله لحمل رسالته، وفي هذا ما يشكل سلطة وبُعْدًا نفسيًا لقبوله عليه السّلام نبيًا مختارًا من البشر، وبأثا شعائر الله في خطابه النّبويّ إلى المسلمين خاصّة والنّاس عامّة.

فمنصبه أو مركزه الدّينيّ يعطيه نفوذًا يجعله مصدرًا لقوّة الإيحاء والتّأثير في مرّديه أو متلقّي خطابه، وفي التفسير النفسيّ النّفوذ<sup>(١)</sup> لا يتعلق بالطبيعة الموضوعيّة لنمط المؤثر قدر ما يتعلق باتجاهات التقدير الموجهة من المتلقّي إلى المنشئ.

وعادة يقبل النّاس أفكار الأشخاص ذوي النّفوذ؛ لأنّ هؤلاء الأشخاص ناجحون و متميّزون، وقد وصلوا إلى درجة من النّجاح لم يصل إليها عامّة الأفراد، وهذا النوع الأخير بدوره يحترم شخص هؤلاء العظماء، وكلّ شيء يقولونه أو يفعلونه<sup>(٢)</sup>. والرّسول - عليه السّلام - زعيمٌ موجهٌ المسلمين، وقائد يقدر ورمز يتقمّصه الاتّباع، وشخصيّة متكاملة ذات نفوذ وسلطة، ونموذج

(١) النّفوذ لفظ آخر للإيحاء، انظر جيلفورد (١٩٦١)، ميادين علم النّفس، د.ط، مصر: دار المعارف، تعريب: مجموعة بإشراف يوسف مراد، ٢٦٨/١.

(٢) انظر جيلفورد، المرجع نفسه، ٢٦٩/١، يشير الكاتب إلى أنّه قد أقامت الدّراسات المتعدّدة الدّليل على ما لنفوذ أسماء الخبراء من قيمة في الإغراء على قبول الأفكار، فمثلا القول: إنّ فقرة ما كاتبها نجيب محفوظ يحكم عليها أنّها مميّزة، غير لو نسبت إلى كاتب آخر غير معروف، كما أنّ النّجاح في ميدان واحد دليل كافٍ كي يقبل النّاس الفرد النّاجح حجة في كلّ الميادين، وقد قامت مجموعة من العلماء بالتحقّق من هذا بالتّجربة.

يحاكيه المسلمون<sup>(١)</sup>، فهو زعيمٌ رُوحِيّ، يحبُّ الخيرَ لهم، وليس طاغية يستعبد الناس ويعمل على إخضاعهم<sup>(٢)</sup>.

وفي محاكاة المسلم لرسول الله - عليه السّلام - يقول ابن حزم<sup>(٣)</sup>: "قال أبو محمّد: إنّما حضّنا الله تعالى في أفعاله عليه السّلام على الاتّساء به بقوله تعالى<sup>(٤)</sup>: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وما كان لنا فهو إباحة فقط؛ لأنّ لفظ الإيجاب إنّما هو علينا لا لنا، تقول: عليك أنْ تصليَ الخمس، وتصوم رمضان، ولك أنْ تصوم عاشوراء، وتتصدّق طوعاً، ولا يجوز أنْ يقول أحدٌ في اللّغة العربيّة: عليك أنْ تصوم عاشوراء، وتتصدّق طوعاً".

ويؤكّد قطب في دراسته النّفس الإنسانيّة أنّ النّفس الطّموح عادةً ما تقع تحت تأثير الصّورة المثاليّة التي تحاكيها وسلطتها في الصّعود إلى "القمة الصّاعدة" - حسب تعبير قطب - في بداية الطّريق، وحتى بعد المرور بانتكاسة مضعّفة لهمة المحاكي، تعود للمتابعة من جديد، بدافع من التّمودج المحاكي، يقول<sup>(٥)</sup>: "والصّورة المثاليّة هي المشجّع لهم<sup>(٦)</sup> على الصّعود أوّلاً، ثمّ العودة إلى الصّعود بعد كلّ انتكاس"، وأيّ صورة مثاليّة غير رسول الله - عليه السّلام - نموذجاً يحاكي في الصّعود إلى القمة!

ثمّ إنّ الرّسول - عليه السّلام - بوصفه رمزاً دينياً ونبياً مرسلًا له دور اجتماعي خاصّ، يمثله بين أفراد المجتمع المسلم؛ فسلوكه الشّخصيّ المقنّن والمدرّس نابع من موقعه الاجتماعيّ والدينيّ الذي يفرض سلطةً عليه وأعرافاً وتقاليده وعلى المتعاملين معه في عهد النّبوة، ويفرض سلطةً وتأثيراً على المسلمين بعد هذا العهد تجاه شخصه عليه السّلام، وقبولا وتسليماً لكلّ أقواله وأفعاله.

ومن العوامل المؤيِّدة لسلطة خطابه عليه السّلام حسن سيرته العطرة، فقد عُرف بنزاهته وسلامة طبعه ورفعة أخلاقه.

(١) يقول "جيلفورد" إنّ النّاس يميلون إلى سلوك المحاكاة، ومن أهمّ دوافعهم في محاكاة نموذج معيّن من الأشخاص رغبة المحاكي أنْ يصبح مثل الشّخص الذي يحاكيه؛ ليصبح المحاكي التّمودج في نظر نفسه، والنّاس يتّبعون قادتهم، ويحاكي أحدهم الآخر؛ لأنّ المحاكاة أسهل من الابتكار، انظر جيلفورد، المرجع نفسه، ٢٦٣/١.

(٢) انظر الفرق بين الزّعيم والطاغية كما بيّنه محمد قطب، دراسات في النّفس الإنسانيّة، ص ٢٩٨.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، ص ٤٢٩.

(٤) الأحزاب: ٢١.

(٥) قطب، دراسات في النّفس الإنسانيّة، ص ٣٨٢.

(٦) الضّمير يعود على النّاس الصّاعدين إلى القمة.



حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدْ اسْتَقْنَأْنَا، سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: " ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ". وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا، أَوْ لَا أَحْفَظُهَا: " وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فليُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَليُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ" <sup>(١)</sup>.

وتتمثل سلطة خطابه عليه السلام في قدرته على أن يلمس به الواقع، والقدرة التي يمتلكها خطابه ويتحلى بها ويفرضها في قوة الحجة والدليل أو البرهان الموجّه لمتلقيه.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بَنَاءَ فَلَانٍ فِيهَا؛ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُتَقَرِّينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ؛ فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ" <sup>(٢)</sup>.

وفي تصويره وصياغته البيانية الخلافة التي تؤثر في المتلقي وتلامس وعيه وروحه: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا، عَنْ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "الْحَلَالُ بَيْنَ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعَ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحْرَمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" <sup>(٣)</sup>.

ومما يُعطي الخطاب النبوي سلطته كذلك الخبرة التي اكتسبها عليه السلام من بيئة الحجاز، خبرة بلورت خطاب الثقافة العربية والإسلامية المهيمنة تحت مظلة المجتمع والثقافة والدين، فجعلت الخطاب النبوي قادراً على الربط بين الجمل وصياغتها في شكل بنائي مؤثر، أضحى

(١) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلّاة في الرّحال، في الليلة الباردة أو المطيرة، حديث: ٦٣١، ص ١٣٠/ مسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصلّاة/ باب: من أحق بالإمامة؟ حديث: ٦٧٤.

(٢) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: من شكا إمامه إذا طول، حديث: ٧٠٤، ص ٤٣/ مسلم: كتاب: الصلّاة/ باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلّاة في تمام، حديث: ٤٦٦.

(٣) البخاري: كتاب: الإيمان/ باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث: ٥٢، ص ٢٠/ مسلم: كتاب: المساقاة/ باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث: ١٥٩٩.

منهجاً متبعاً، مستخدماً اللغة أداة تأثير في المتلقي، ووسيلة نقل وتوصيل لفكره ومبادئه وتعاليم الشرع الإسلامي.

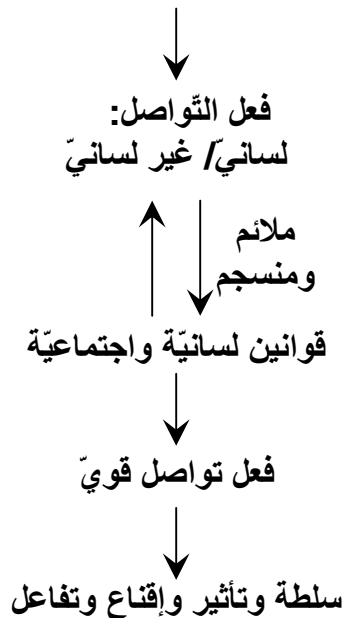
فهذه الخبرة في الخطاب النبوي خبرة اجتماعية دفعت إلى اتباع المسلمين له وقيادتهم وفرض سلطة دينية واجتماعية وسياسية مؤثرة فيهم، ومن هنا يفهم سر ارتباط خبرة الخطاب النبوي بخبرة السلطة أو إرادتها في المتلقي.

ثم إن خبرة النظم النبوي المؤثر نمت مع اتساع علاقة الرسول — عليه السلام — بالمسلمين وغيرهم، ممن تعددت أصولهم وانتماءاتهم الفكرية ومشاربهم الثقافية والبيئية المختلفة، فكان خطابه عليه السلام منوعاً ومنسجماً وملئاً بتنوع ثقافة المتلقي وبيئته ولهجته وجنسه وميوله، فكان هذا ادعى للإقناع والتأثير والتوجيه ثم القبول، وهذا يمثل سلطة المتلقي<sup>(١)</sup>.

وهذا يدفع للإشارة إلى أن فعل التواصل يكون قوياً أو ضعيفاً حسب خضوعه لقوانين واتفاقات متواضع عليها اجتماعياً أو ابتعاده عنها، فكلما كان الخطاب ملائماً ومناسباً لسياقه الثقافي والاجتماعي والنفسي والبيئي، كانت سلطته وتأثيره قوياً، كسلطة الخطاب النبوي، وكلما كان خارجاً عن القوانين اللسانية الاجتماعية السائدة، كان ضعيفاً وتأثيره ضئيلاً.

ومما سبق فسلطة الخطاب النبوي تنبع من طبيعة الخطاب نفسه، ومحكومة بقوى موجّهة ومؤثرة اجتماعية ونفسية ودينية، يضاف إليها سلطة شخص النبي — عليه السلام — ذات التأثير والإقناع.

#### الرسول منشئ الخطاب النبوي



#### خطاطة رقم (٤)

(١) سلطة المتلقي أقل تأثيراً من سلطتي منشئ الخطاب النبوي ونصّه .

## المبحث الرابع:

### سمات الخطاب النبوي

"إنّ للكلمة طعمًا يُعرف مذاقه من بين الكلام، وخفة الأرواح معلومة من بين ثقل الأجسام، فلو لم نعرفه بطعمه، عرفناه بوسمه، والصُّباح لا يتمارى في إسفاره، ولا يفتقر إلى دليل على إشراق أنواره"<sup>(١)</sup>.

هذا خطاب نبيّ البشريّة، وتلك هي كلمته إن كان للكلام مذاقٌ، فهو لكلمته - عليه السّلام - ففي طعمها حلاوة تُعرف، وفي إشراقها نورٌ لا يُنكر، ولا يحتاج إلى دليل، فإن لم تُعرف كلمته عليه السّلام من طعمها، عُرفت من كينونتها المتفرّدة عن باقي الكلام، وبوسمها النبويّ دون غيرها إذا انتظمت عِقد اللّغة العربيّة في خفةٍ على الأسماع والقلوب معلومة، ورشاقةٍ تنهاوى في سياق الجملة النبويّة دون تكلف أو حشو أو نبوّ؛ فيحسُن في النّفس موقعها وتطيبُ لسامعها.

فإذا كان العربُ أمّة البلاغة وأئمّة الفصاحة وصناعتهم الكلام، يتفاخرون به ويتباهون، فلا بدّ أن الرّسول الذي يُرسل إليهم - يبلغهم عن ربّهم، ويهدم عقائدهم الباطلة ومذاهبهم الزّائفة - يكون بيانه أسمى من بيانهم، ومنطقه أروع من منطقتهم، وخطابه أجلّ أثرًا وأعظم قدرًا من خطابهم وأعلى شأنًا، فخطابه يشرق من طبع مهذبٍ وبلاغةٍ عريقةٍ أصيلةٍ، وفطرة قويّة وموهبة فذة، تساندت في بنائها أقوى العوامل؛ إذ نشأ عليه السّلام في أفصح القبائل وأصحّها لهجة، وأفضلها منطقًا وأعذبها بيانًا وأقومها سليقة، فما كانت بلاغته إلا عاملا من عوامل توفيقه في تبليغ رسالته السّماويّة المؤيّدّة بعناية إلهيّة؛ ذللت أمامه عليه السّلام كلّ العوائق.

ويبيّن ابن حزم فصاحة النّبيّ - عليه السّلام - التّابعة من منشئه في أهل تهامة والحجاز العالية، متعجّبًا كيف يُحتج بلغة قومه أمثال: الأصمعيّ وأبي عبيدة، ولا يُحتج بلغته عليه السّلام على ما جمعت من البيان والفصاحة والبلاغة وحُسْن المنطق وسلامة المخرج وحُسْن التّأني؛ بحجّة بعض التّحاة أنّ اللفظ لراوي الحديث النبويّ، والمعنى للرّسول - عليه السّلام - وفي هذا

(١) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، ١٦٧/١.

نقاش قد يطول وليس هذا موضعه - يقول ابن حزم الأندلسي<sup>(١)</sup>: "ولعمري لو أنه عليه السلام يقول ذلك قبل بلوغه أربعين عاماً، وقبل أن ينبأ؛ لكان قوله أعظم حجة لفصاحته وعلمه بلغة قومه، وأنه من وسيطة قريش، ومسترضع في بني سعد بن بكر بن هوزان، فجمع فصاحة الحيين: خندف وقيس، أهل تهامة والحجاز العالية الذين إليهم انتهت الفصاحة في اللغة العربية الإسماعيلية، والذي لا شك فيه، فهو أنه عليه السلام أفصح من امرئ القيس ومن الشماخ ومن الحسن البصري، وأعلم بلغة قومه من الأصمعي وأبي عبيدة وأبي عبيد، فما في الضلال أبعد من أن يُحتج باللغة بألفاظ هؤلاء، ولا يحتج بلفظه فيها عليه السلام! فكيف وقد أضاف ربّه تعالى فيه إلى ذلك العصمة من الخطأ في القول والتأييد الإلهي".

وقد شهد للعرب من ليس من جلدها برفعة أخلاقهم وتوقد قريحتهم، يقول "توماس كارليل"<sup>(٢)</sup>: "ويمتاز العرب بحلاوة الشّمائيل ورقّة الظّرف وبألَمعيّة القريحة وأريحيّة القلب؛ فكان من عادة العرب في مكة والمدينة قبل الإسلام وبعده الحرص على إرسال أبنائهم إلى القبائل البدويّة؛ لحظّها الأوفر من بلاغة الخطاب وفصاحة القول، وقد كان لاسترضاع الرّسول - عليه السلام - في بني سعد الأثر الأجلّى في طلاقة خطابه النّبويّ، وهذه السّمة من سمات العمل الإبداعيّ المميّز، فيظهر فيه تتابع الكلمات وتدقّق المعاني، ولطاقة الخطاب صلة بالتركيب النّفسيّ لمنشئ الخطاب: فكره وخياله، إضافة إلى ما ذكر من عوامل بيئيّة و تربويّة.

وإنّ عموم ما ينطق به عليه السلام سواء أكان نصّاً قرآنياً أم حديثاً نبوياً، فيه جانب وحي من الله، فالفرق بينهما في اختلاف أسلوب كلّ منهما ووحيه، فإن كان الكلام كلام بشر، فإنّ معانيه ومقاصده وغاياته تختلف عمّا في كلام البشر، كما يقول ابن حزم الأندلسي<sup>(٣)</sup>: "وصحّ أنّه أودع تلك الشّرائع في الكلام الذي أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتبليغه إلينا وسمّاه قرآناً، وفي الكلام الذي أنطق به رسوله - صلى الله عليه وسلم - وسمّاه وحيّاً غير قرآن، وألزمناه في كلّ ذلك طاعة نبيّه عليه السلام، لزمنا تتبّع تلك الشّرائع في هذين الكلامين؛ لتتخلّص بذلك من العذاب ونحصل على السّلامة والحظوة في دار الخلود".

(١) الإحكام في أصول الأحكام، (تحت عنوان: فصاحته عليه السلام وبلاغته)، ص ٤٢٠.

(٢) الأبطال، ص ٦٢.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، ١٠/١.

والحديث النبوي قد يخصص عموم النص القرآني، وقد ينسخه أو يستقل عنه في التشريع<sup>(١)</sup>.

ويذكر السيوطي في "المزهر" إحياء اللغة إلى الرسول - عليه السلام - في قوله<sup>(٢)</sup>: "نبأنا أبي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، عن عمر بن الخطاب أنه قال: يا رسول الله؛ مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال: كانت لغة إسماعيل قد درست، فجاء بها جبريل - عليه السلام - فحفظناها، فحفظتها. أخرجه ابن عساكر في تاريخه".

لذلك فإن البحث في خصوصية الخطاب النبوي ينطلق من مسلمة مفادها قدرة لغته عليه السلام على تحويل الأنبياء والتاريخي والاجتماعي إلى مجال المطلق والعالي والواقعي، وأما مجال المطلق؛ فلأن الزمن غير محدود في بيانه عليه السلام، والمكان ممتد في أفق الحياة الإنسانية، فمنتجه الأول و منشئه عليه السلام يقدم تعبيرات أولى نموذجية لحالات الوضع البشري في المجتمع المسلم الذي لا يتجزأ عن المجتمع الإنساني أو يفصل عنه، وما القضايا المطروحة في خطابه النبوي الموجهة للصحابة - رضوان الله عليهم - إلا نماذج لأوضاع اجتماعية ونفسية واقتصادية وثقافية وفكرية يعيشها الفرد - أي فرد - في أي زمان ومكان، سواء في عهد الرسول - عليه السلام - أو في زمن بعده، فهو خطاب أحادي من قبل المنشي، ولكنه متعدد من قبل المخاطبين على تعدد لغاتهم وأفهامهم ومنابتهم وأعرافهم وأوطانهم وأزمانهم، وكثير من خطابه عليه السلام الخاص لصحابي ما في سياق ما، يعد تمثيلا على حكم عام ينطبق على غير مسلم في سياق مشابه، وكأنه خطاب محدد ولا محدد، قديم وحديث بل معاصر، أصيل ومتجدد، جزئي وكلي، متفرد ومتعدد، خاص وعم في آن معاً.

وأما أن الخطاب النبوي عال؛ فلأن لغته النبوية لا يمكن اختزالها إلى مجرد لغة دارجة؛ فهي إن كانت من لغة قريش العرب، وكأنها ليست منها؛ فمعلوم أن النص النبوي، لا يختلف في بنيته ومكوناته الأساسية عن بنية النص الأدبي العربي في ألفاظه المفردة المتداولة في كلام العرب، وأنظمة بناء الجملة النواة فيه، يقول الله تعالى<sup>(٣)</sup>: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ

(١) انظر إسلامبولي، القرآن بين اللغة والواقع، ص ١١١.

(٢) السيوطي، جلال الدين أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي الخضير (ت ٩١١ هـ)، المزهر في علوم اللغة، د. ط، (تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبي الفضل وعلي محمد البجاوي وشرحهم وضبطهم)، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د. ت، ٣٥/١.

(٣) إبراهيم: ٤.

قَوْمِهِ لِإِبْرِيكَ هَلَمْ ﴿٥٧﴾؛ ولكن الحديث النبويّ انماز بنظم مفرداته، وارتباط بعضها ببعض في أساليب معيّنة، يجعله يحمل خصوصيّة النبوة في توظيف اللفظ المستخدم في التركيب، واتساق الجملة في صياغتها وصوتها، وطرائق نظمها، وتأثر بعضها البعض في طرائق متنوعة، يراعي فيها عليه السلام السياق الذي يؤلف النسيج النبويّ، فيرتجل الحديث في غير تعقيد ولا غموض ولا إغراب ولا زخرف ولا مشقة؛ فيحمل بذلك صفة الخطاب الإبداعيّ.

وخطابه عليه السلام عالٍ كذلك؛ لأنّ لغته تمتزجُ فيها صياغاتٌ وتتمخّض عنها معانٍ، توسّع ساحة اللغة وفضاء الذهن، كما أنّها لا تقف عند غاية التوصيل أو التخطب أو التفاهم في سياقه الآنيّ الضيق والخاصّ، كأنيّ لغة إنسانيّة أخرى؛ بل تتجاوزها إلى التحصيل المعرفيّ وجمع الخبرات والمهارات والمواقف الإنسانيّة؛ لتوجّهها الوجهة الشرعيّة التي يرتضيها الإسلام؛ لتحقيق وظيفتها السامية في تبليغ الرّسالة السماويّة الخالدة على اختلاف الأماكن ومرّ العصور.

وأما أنّ القولَ في خطاب الرّسول - عليه السلام - واقعيّ؛ فلاّته يحاكي أحداث الحياة الاجتماعيّة اليوميّة بكلّ دقائقها؛ فحديثه صورة صادقة حيّة ومحيّة لنظام الحياة والواقع المعيش، في تفاعل يبيّن طرفي الخطاب وتأثرهما ببعضهما وبما حولهما.

فالحياة المتدفقة والروح السائدة في الحديث النبويّ الشريف من أهمّ السمات في الصّحاحين، ففيه تبرز أهمّ مظاهر الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والفكريّة... إلخ، ومنه تستخلص العديد من المواقف والمعاني والدلالات والإيحاءات الدّقيقة لتصاريف الحياة، وعلاقة أفراد المجتمع الإسلاميّ ببعضهم ببعض في عهد النبوة خاصّة؛ فيعرف ما كان من عادات وتقاليده وقيم وأخلاق وتصرفات، فيها صورة واقعيّة لحال الصّحابة وعلاقتهم بنبينهم حينئذٍ؛ ولكنها لا تخلو من إشاراتٍ إلى سياقاتٍ اجتماعيّة تنبثق منها أحكامٌ شرعيّة عامّة.

حدّثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهريّ قال: أخبرني عليّ بن الحسين - رضي الله عنهما - أنّ صفية زوج النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - أخبرته: أنّها جاءت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوره في اعتكافه في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، فتحدّثت عنده ساعة، ثمّ قامت تنقلب، فقال النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - معها يقلبها، حتّى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مرّ رجلان من الأنصار، فسألما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لهما النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - "على رسلكما، إنّما هي صفية بنت حيّ". فقالا: سبحان الله يا

رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا"<sup>(١)</sup>.

وإن كان الحدث في الخطاب النبوي موجهاً لصحابي بعينه، فقد يخرج المشهد الخطابي النبوي من خصوصية الموقف إلى عمومية الحدث، فالخطاب النبوي قد يأخذ قوة إنجازية حرفية<sup>(٢)</sup>، تكون ملازمة للعبارة اللغوية في مختلف المقامات التي يمكن أن ترد فيها؛ أي هي ليست خاصة بالصحابي المسلم الذي كان المتلقي الأول لخطاب الرسول - عليه السلام - بل أثرها في كل متلق مستقبل هذا الخطاب مسموعاً أو مقروءاً بعده.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ لَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْ هَذَا؟ قَالَ: "لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ"<sup>(٤)</sup>.

أما إذا كانت القوة الإنجازية مربوطة بالمقام الذي قيلت فيه؛ أي تأثيرها في الصحابي المخاطب حسب؛ فيكون الخطاب النبوي بذلك خطاباً خاصاً، لا يخرج إلى دائرة العموم. حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنُ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَهْرًا، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: "لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ". إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ

(١) البخاري: كتاب: الاعتكاف/ باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد؟ حديث: ٢٠٣٥، ص ٣٩٦/

مسلم: كتاب: السلام/ باب: بيان أنه يستحب لمن روي خالياً بامرأة وكانت زوجه أومحرمًا له، أن يقول: هذه فلانة؛ ليدفع ظنَّ السوء به، حديث: ٢١٧٥.

(٢) القوة الإنجازية: هي القوة المؤثرة في المتلقي.

(٣) هود: ١١٤.

(٤) البخاري: كتاب: مواقيت الصلاة/ باب: الصلاة كفارة، حديث: ٥٢٦، ص ١١٣/ مسلم: كتاب: التوبة/ باب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود: ١١٤، حديث: ٢٧٦٣.

سِلَاح، فَقَالَ: "مَنْ هَذَا؟"، فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

ومن سمات خطابه عليه السلام أنه ينتقي ألفاظه وعباراته، وينوعها بطريقة واعية تتناسب وحال المتلقي وسياق الخطاب اللغوي الاجتماعي والنفسي؛ فيؤثر في المتلقي بالاستجابة والقبول، يقول القرطاجني في ضرورة تنوع الكلام<sup>(٢)</sup>: "ويحسن أيضاً أن يقصد تنوع الكلام من جهة الترتيبات الواقعة في عباراته، وفي ما دلت عليه بالوضع في جميع ذلك، والبعد به عن التواطؤ والنشابه، وأن يؤخذ الكلام من كل مأخذ حتى يكون كل مستجد بعيداً من التكرار؛ فيكون أخف على النفس وأوقع منها بمحلّ القبول".

وتنوع جملة الحديث النبوي وتشكلها حسب الموقف الحي سمة بارزة فيه، فالجملة الواحدة وما تتضمنه العبارة من جمل عدة تسهم كلها في أداء المعنى، ولا بد لفهم المعنى من تحليل الجملة أو العبارة إلى "مؤلفاتها المباشرة"، ومعرفة عناصرها الرئيسية، وعلاقة كل منها بغيرها، حسب قواعد نظم الكلم المعروفة<sup>(٣)</sup>.

ويشير القرطاجني إلى أن البليغ من يقتدر على تصريف العبارات وترتيبها وتركيبها، مراعيًا الخواطر من ناحية نفسية، فيختار ما يناسب المتلقي، وينتقي الكلم باختصار ودون حشو، ولا غرو أنه الرسول - عليه السلام<sup>(٤)</sup>: "ويقتدر على هذا بمعرفة كميّات تصاريف العبارات، وهيأت ترتيبها، وترتيب ما دلت عليه، والبصيرة بضروب تركيباتها وشتى مأخذها، وبقوة ملاحظات الخواطر لضرورة تلك العبارات، وأصناف هيأتها، وهيأت ما دلت عليه، وللحيل التي تنتظم بها تلك العبارات على الهيأت المختارة لمسلك الوزن باختصار أو حشو أو إبدال لفظة مكان لفظة أو تقديم أو تأخير".

(١) البخاري: كتاب: الجهاد والسير/ باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث: ٢٨٨٥، ص ٥٧٦/ مسلم: كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل سعد بن أبي وقاص، حديث: ٢٤١٠.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (اجتلاب المعاني وتأليفها)، ص ١٦.

(٣) وتحليل الجملة إلى "مؤلفاتها المباشرة" هي أحد الأصلين اللذين أفرزتهما البنيوية اللسانية بما يُعرف بـ"التحليل إلى المؤلفات المباشرة"، وأمّا الأصل الثاني فهو التوزيع، انظر الموسى، حصاد القرن (المنجزات العلمية والإنسانية في القرن العشرين)، ص ٣٢-٣٣.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ١٦-١٧.



حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ ابْنِ الْمُثَنِّكِ، عَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟" يَوْمَ الْأَحْزَابِ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: "مَنْ يَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟"، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ"<sup>(١)</sup>.

ثم إن في تنويحه عليه السلام للكلم والتراكيب وأساليب التعليم والتوجيه لإخراجاً للمتلقي من دائرة الملل إلى الجدة والابتكار.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ ذَكَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْشَانُ بِخَطَامِهِ، أَوْ بِزِمَامِهِ قَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟" فَسَكَنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سَوَى اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟" قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: "فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟" فَسَكَنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: "أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟" قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ"<sup>(٢)</sup>.

وكان عليه السلام يختار الوقت المناسب في حديثه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَخَوَّلُنَا<sup>(٣)</sup> بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ؛ كَرَاهَةِ السَّامَةِ عَلَيْنَا<sup>(٤)</sup>.

كما كان الرسول - عليه السلام - يُنفِذُ فعلياً خطابه النبوي بما يحوي من أحكام شرعية وتعاليم دينية، فيكون أجدى فائدة وأقوى رسوخاً وأشد ثبوتاً في النفوس المشاهدة، وأدعى للتطبيق.

(١) البخاري: كتاب: الجهاد والسير/ باب: فضل الطليعة، حديث: ٢٨٤٦، ص ٥٧٠/ مسلم: كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل طلحة والزبير، حديث: ٢٤١٥.

(٢) البخاري: كتاب: العلم/ باب: قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"، حديث: ٦٧، ص ٢٤/ مسلم: كتاب: القسامة والمحارِبين والقصاص والديّات/ باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث: ١٦٧٩.

(٣) يتخوّلنا بالموعظة: يختار الوقت المناسب لها.

(٤) البخاري: كتاب: العلم/ باب: ما كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، حديث: ٦٨، ص ٢٥/ مسلم: كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: الاقتصاد في الموعظة، حديث: ٢٨٢١.

حَدَّثَنَا أَبُو الثُّعْمَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَوَجَدْتُهُ يَسْتَنْ بِسِوَاكِ يَدِهِ، يَقُولُ: "أَعْ أَعْ"، وَالسَّوَاكِ فِيهِ، كَأَنَّهُ يَتَهَوَّغُ<sup>(١)</sup> (٢).

والخطاب النبوي يركّز على ناحيتين مهمتين في النفس الإنسانية هما: الروح والمادة، فهو لا يركّز على حياة المسلم في الدنيا حسب؛ بل يهتم بصحته النفسية للعمل للأخرة، واتخاذ الدنيا طريقاً لها، فيطبّب القلوب في رؤية قلبية، وروحانية دينية تدفع المؤمن إلى الاعتماد على الله، والتذلل له واستغفاره والالتجاء إليه دوماً بالدعاء في أحواله جميعها وصروف حياته.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَيَّنَّمَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَحَطَ الْمَطَرُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا. فَدَعَا، فَمَطَرْنَا، فَمَا كِدْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى مَنَازِلِنَا، فَمَا زِلْنَا نُمَطِّرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، قَالَ: فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، أَوْ غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا". قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّحَابَ يَنْقَطِعُ يَمِينًا وَشِمَالًا، يُمَطِّرُونَ، وَلَا يُمَطِّرُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ<sup>(٣)</sup>.

كما أنّ الخطاب النبوي الشفهي معروف بالابتكار والإثارات العفوية والأفكار الخاطفة اللمّاحة حسب السياق.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: "يَا بِلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ". قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا

(١) يتهوّغ: يكاد يتقيأ.

(٢) البخاري: كتاب: الوضوء/باب: السّواك، حديث: ٢٤٤، ص ٥٨/مسلم: كتاب: الطّهارة/باب: السّواك، حديث: ٢٥٤.

(٣) البخاري: كتاب: الاستسقاء/باب: الاستسقاء على المنبر، حديث: ١٠١٥، ص ٢٠١/مسلم: كتاب: صلاة الاستسقاء/باب: الدّعاء في الاستسقاء، حديث: ٨٩٧.

أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَنْظَهَرُ طُهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: دَفَّ نَعْلَيْكَ، يَعْنِي: تَحْرِيكَ<sup>(١)</sup>.

وقد كان الرّسول - عليه السّلام - في خطابه النبويّ بعيداً عن التّكلف، فالكلام عفويّ، ينساب في نفس المتلقّي سلساً مثل الماء، كما يقول العسكريّ في صفة الكلام السّلس<sup>(٢)</sup>: "والكلام إذا خرج في غير تكلفٍ (وكدّ) وشدّة تفكّر وتعمّل؛ كان سلساً سهلاً؛ وكان له ماءٌ ورواءٌ"<sup>(٣)</sup> و"ورقراق"، ولا يبتعد الخطاب النبويّ عن هذا بوصفه كلاماً بليغاً، له تأثيره في قلب المتلقّي، وقد بيّن الجرجانيّ البلاغة بقوله<sup>(٤)</sup>: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك".

قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رضي الله عنها: رَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْتُرْنِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، فَرَجَرَهُمْ عُمَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعُهُمْ أَمَّا بَنِي أَرْفَدَةَ". يَعْنِي مِنَ الْأَمْنِ<sup>(٥)</sup>.

ولا شك أنّ مَنْ كان المعنى لديه واضحاً في نفسه، انقاد له اللفظ انقياداً، وجاءت الألفاظ سلسلة طائعة إليه، بلا تعقيد في الكلام، وقد كان ذلك لرسول الله - عليه السّلام - في بيانه، أمّا إن كان المعنى غامضاً في نفس صاحبه؛ تعثر في تعبيره، فلجأ إلى عبارات غامضة ومعانٍ مبهمّة، يقول ابن رشيّق<sup>(٦)</sup>: "قال أبو الحسن الرّمانيّ في البيان: هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك، وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة؛ لأنّها إحضار المعنى للنفس، وإن كان بإبطاء، وقال: البيان: الكشف

(١) البخاريّ: كتاب: التّهجّد/ باب: فَضْلُ الطُّهُورِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفَضْلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْوُضُوءِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، حديث: ١١٤٩، ص ٢٢٦/ مسلم: كتاب: فضائل الصّحابة/ باب: من فضائل بلال- رضي الله عنه، حديث: ٢٤٥٨.

(٢) العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ)، الصّناعتين، د. ط (تحقيق مفيد قميحة)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨١، ص ١٨٧.

(٣) رواء: منظر حسن.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ٢٦٧.

(٥) البخاريّ: كتاب: العيدين/ باب: إذا فاتته العيد يصلي ركعتين، وكذلك النّساء، ومن كان في البيوت والقرى، حديث: ٩٨٨، ص ١٩٥/ مسلم: كتاب: صلاة العيدين/ باب: الرّخصة في اللّعب الذي لا معصية فيه، في أيّام العيد، حديث: ٨٩٣.

(٦) القيروانيّ، أبو علي الحسن بن رشيّق (ت ٤٦٣ هـ) وقيل (٤٥٦ هـ) العمدة في محاسن الشّعْر وآدابه، د. ط، (تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد وعلّق عليه)، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٤ (باب البيان)، ٢٢٥/١.

عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقله: وإِثْمًا قَبْلَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ قَدْ يَأْتِي التَّعْقِيدُ فِي الْكَلَامِ الَّذِي يَدُلُّ، وَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْبَيَانِ".

وخطابُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَلِيغُ، فِيهِ الْمَعَانِي مُنْسَابَةٌ، بَعْضُهَا آخِذٌ بِرِقَابِ بَعْضٍ، غَيْرُ مُقْتَضِبَةٍ بَلْ تَامَّةٌ، لَا تَشْعُرُ بِنَقْصَانٍ فِيهَا، فَهِيَ مُكْتَمَلَةٌ وَوَاضِحَةٌ، وَيَذْكُرُ ابْنُ الْأَثِيرِ أَنَّ هَذَا مِنْ أَرْكَانِ سِمَةِ الْإِبْدَاعِ<sup>(١)</sup>: "الرَّكْنُ الثَّلَاثُ: أَنْ يَكُونَ خُرُوجُ الْكَاتِبِ مِنْ مَعْنَى بِرَابِطَةٍ؛ لِتَكُونَ رِقَابُ الْمَعَانِي آخِذَةً بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ، وَلَا تَكُونَ مُقْتَضِبَةً". وَنَظْمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسَنُ التَّأْلِيفِ وَالرَّصْفِ وَالتَّرْكِيْبِ، مِمَّا يَجْعَلُ أَثَرَهُ فِي الْمَتَلَقِّيِّ يَأْخُذُ مَوْقِعًا حَسَنًا وَيَطِيبُ مَسْتَمْعًا، وَقَدْ تَنَبَّهَ الْعَسْكَرِيُّ عَلَى هَذَا الْأَثَرِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا فِي مُحْكَمِ الْبِنَاءِ وَالنَّظْمِ، كَخَطَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقُولُ<sup>(٢)</sup>: "وَحُسْنُ التَّأْلِيفِ يَزِيدُ الْمَعْنَى وَضُوحًا وَشَرَحًا، وَمَعَ سُوءِ التَّأْلِيفِ وَرَدَاءَةِ الرَّصْفِ وَالتَّرْكِيْبِ شَعْبَةٌ مِنَ التَّعْمِيَةِ، فَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى سَيِّئًا، وَرَصْفُ الْكَلَامِ رَدِيًّا، لَمْ يَوْجَدْ لَهُ قَبُولٌ، وَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهِ طَلَاوَةٌ، وَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى وَسْطًا، وَرَصْفُ الْكَلَامِ جَيِّدًا، كَانَ أَحْسَنَ مَوْقِعًا، وَأَطْيَبَ مَسْتَمْعًا"، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، إِلَّا أَنَّ الْعِبْرَةَ فِي سَبْكِ الْعِبَارَاتِ وَحُسْنِ نَظْمِهَا، يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ<sup>(٣)</sup>: "وَمِمَّا يَشْهَدُ لِذَلِكَ وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّكَ تَرَى اللَّفْظَ تَرَوَقُّكَ فِي كَلَامٍ، ثُمَّ تَرَاهَا فِي كَلَامٍ آخَرَ؛ فَتَكْرَهُهَا". فَالْبَلِيغُ بَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي خُطَابِهِ النَّبَوِيِّ يَعْرِفُ أَيْنَ تُوَضَّعُ الْأَفَافُ، وَمَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ أَوْ تَأْخِيرُهُ أَوْ حَذْفُهُ فِي سِيَاقِ الْمَوْقِفِ اللَّغَوِيِّ، يَقُولُ الْعَسْكَرِيُّ فِي الرَّصْفِ<sup>(٤)</sup>: "وَحُسْنُ الرَّصْفِ أَنْ تُوَضَّعَ الْأَفَافُ فِي مَوَاضِعِهَا، وَتَمَكَّنَ فِي أَمَاكِنِهَا، وَلَا يَسْتَعْمَلَ فِيهَا التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ وَالْحَذْفَ وَالزِّيَادَةَ إِلَّا حَذْفًا لَا يُفْسِدُ الْكَلَامَ، وَلَا يُعْمِي الْمَعْنَى، وَتَضُمَّ كُلُّ لَفْظَةٍ مِنْهَا إِلَى شَكْلِهَا، وَتُضَافَ إِلَى لَفْظِهَا، وَسُوءُ الرَّصْفِ تَقْدِيمُ مَا يَنْبَغِي تَأْخِيرُهُ مِنْهَا، وَصَرْفُهَا عَنْ وَجْهِهَا، وَتَغْيِيرُ صَيغَتِهَا وَمُخَالَفَةُ الِاسْتِعْمَالِ فِي نَظْمِهَا".

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: الْوَلِيدُ بْنُ الْعِزَّارِ أَخْبَرَنِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ يَقُولُ: حَدَّثَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ، وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا". قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (فصل في اتقان الكتابة)، ١٢٢/١.

(٢) العسكري، الصناعتين، ص ٢٨.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٢١٤/١.

(٤) الصناعتين، ص ١٧٩.

قَالَ: "ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ"، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَوْ اسْتَرَدَّاهُ لَزَادَنِي<sup>(١)</sup>.

والرَّسُولُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي خُطَابِهِ سَهْلُ الْعِبَارَةِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، وَهِيَ مَعَ سَهُولَةِ الْمَأْخُذِ وَقُرْبِ الْمُتَنَاوُلِ<sup>(٢)</sup>، نَظْمٌ لَا تَسْهُلُ مُحَاكَاتُهُ؛ لِأَنَّهُ مُنْبَثِقٌ مِنْ فِكْرٍ دَقِيقٍ وَرَأْيٍ سَدِيدٍ، وَصِيَاغَةٍ أَدَبِيَّةٍ مُمَيَّزَةٍ، وَهَذَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وَفِي خُصُوصِيَّةِ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، قَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو فُلَانٍ<sup>(٤)</sup>، جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُسَمِّعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أُسَبِّحُ، فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ<sup>(٥)</sup>.

ثُمَّ إِنَّ الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ تَمْتَازُ مَعَ قَلَّةِ مَفْرَدَاتِهَا بِعُمُقِ مَحْتَوَاهَا، وَقُوَّةِ أَفْكَارِهَا وَجَدَّتْهَا وَتَسْلُسُهَا<sup>(٦)</sup>، حَتَّى إِنَّ الْعَادَّ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَحْصِيَ مَفْرَدَاتِ خُطَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَعَدَّهَا كَمَا تَبَيَّنَ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ صَبَّاحٍ الْبَزَّازُ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لِأَخْصَاهُ<sup>(٧)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: مواقيت الصلاة/ باب: فضل الصلاة لوقتها، حديث: ٥٢٧، ص ١١٣/ مسلم: كتاب: الإيمان/

باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، حديث: ٨٥.

(٢) انظر العبارتين، البيومي، البيان النبوي، ص ٢٤٨.

(٣) المائدة: ٥٤.

(٤) في رواية مسلم: أبو هريرة - رضي الله عنه.

(٥) البخاري: كتاب: المناقب/ باب: صفة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث: ٣٥٦٨، ص ٧٠٨/ مسلم: كتاب:

فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أبي هريرة التوسي - رضي الله عنه، حديث: ٢٤٩٣.

(٦) يذكر البيومي البيان النبوي ما تتصف به الأفكار من القوة والجدّة والتحديد والتسلسل، للتوسع انظر البيان النبوي، ص ١٢٦ - ٢٢٨.

(٧) البخاري: كتاب: المناقب/ باب: صفة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث: ٣٥٦٧، ص ٧٠٨/ مسلم: كتاب:

الزهد والرقائق/ باب: التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم، حديث: ٢٤٩٣.

ثم إن التدفق في حديث الرسول - عليه السلام - والتسلسل يشير إلى الموسيقى العفوية في ترتيب كلامه ترتيباً نفسياً، يوافق اهتزاز المشاعر وتموجات النفس بطريقة منسجمة في نسق خاص، ونظم متماسك ملتحم معنى ومبنى؛ مما يشعر بإيقاع خفي ينبى عن بداية المعنى وانتهائه<sup>(١)</sup>.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرَجُلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيَّتِهِ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَتِهِ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدْتُ عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَتَهُ"<sup>(٢)</sup>.

فهذه الموسيقى النثرية في بيانه نشأت من إطاراد النسق الفني في تدبيح المعاني وفق الحركات النفسية، ويشير البيومي<sup>(٣)</sup> إلى قضية السجع في التعبير النبوي مبيهاً أنه كان على التقاد أن يمرّوا بها دون جدال يحتدم؛ لأنّ السجع في البيان النبوي ممّا أوحته الفطرة وتطلّبه الموقف، وهو كثير في كلام الرسول - عليه السلام - كما يبيّن ابن الأثير<sup>(٤)</sup>: "وورد على هذا الأسلوب<sup>(٥)</sup> من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - شيء كثير أيضاً".

والرسول - عليه السلام - لم يُنكر السجع على الإطلاق، إنّما كره من السجع ما كان مثل سجع الكهان، يقول ابن الأثير<sup>(٦)</sup>: "فإن قيل: إنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لبعضهم مُنْكَرًا عليه، وقد كُلمه بكلام مسجوع: (أَسْجَعًا كَسَجْعِ الْكُهَانِ؟) ولولا أنّ السجع مكروه لما أنكره النبي - صلى الله عليه وسلم؟ فالجواب عن ذلك أنّنا نقول: لو كره النبي - صلى الله عليه وسلم - السجع مطلقاً لقال: أَسْجَعًا؟ ثم سكت، وكان المعنى يدلّ على إنكار هذا الفعل، لم كان؟ فلمّا قال: "أَسْجَعًا

(١) للتوسع انظر (موسيقى النثر)، البيومي، البيان النبوي، ص ٢٤٩ - ٢٥٧.

(٢) البخاري: كتاب: الرقاق/ باب: التواضع، حديث: ٦٥٠٢، ص ١٢٩٦.

(٣) انظر البيان النبوي، ص ٢٥٤.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٢٧٢/١ - ٢٧٣.

(٥) يقصد السجع.

(٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٢٧٣/١.

كسجع الكهّان؟" صار المعنى معلّقاً على أمر، وهو إنكار الفعل لِمَ كان على هذا الوجه. فعلم أنّه ذمّ من السّجع ما كان مثل سجع الكهّان لا غير، وأنّه لم يذمّ السّجع على الإطلاق). وفي كلامه عليه السّلام سجعٌ كثير: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُوسَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْمَرُ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَدْعُو: "أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ، وَأَرْدُلِ الْعُمْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ"<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث النبويّ - كما في القرآن الكريم - ما يدخل في باب المساواة<sup>(٢)</sup>: "وهو أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب، وإليه أشار القائل بقوله: كأنّ ألفاظه قوالب لمعانيه؛ أي لا يزيد بعضها على بعض".

ومن ذلك قوله تعالى<sup>(٣)</sup>: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى<sup>(٥)</sup>: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فِيْدَهُنَّ﴾<sup>(٦)</sup>.

ومن خطابه عليه السّلام: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمُ النَّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَدِّنُ"<sup>(٧)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: التفسير/ باب: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ التّحل: ٧٠، حديث: ٤٧٠٧، ص ٩٣٥/ مسلم:

كتاب: الذّكر والدّعاء والتّوبة/ باب: التّعوّذ من العجز والكسل وغيره، حديث: ٢٧٠٦.

(٢) العسكري، الصّناعتين، ١٩٩.

(٣) الرّحمن: ٧٢.

(٤) مقصورات: محبوسات على أزواجهن.

(٥) القلم: ٩.

(٦) أي أحبوا لو تلاينهم وتصانعهم؛ فيلانيوك ويصانعوك.

(٧) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: ما يقول إذا سمع المنادي، حديث: ٦١١، ص ١٢٧/ مسلم: كتاب: الصّلاة/

باب: استحباب القول، مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثمّ يصلي على النبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثمّ يسأل الله له الوسيلة، حديث: ٣٨٣.

ومن السمات في الخطاب النبوي التعدد في أنماط التركيب اللغوي أثناء الحديث الواحد، ما خلا تلك الأحاديث النبوية التي تتسم بالإيجاز الشديد، ولا سيما ما كان في جملة الجواب عند إجابته عليه السلام عن سؤال أو أثناء الحوار في السياق اللغوي، فالرسول - عليه السلام - يجيب عن أسئلة السائلين ويلبي دعواتهم<sup>(١)</sup>.

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مِسْعَرُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: إِنَّ كَانَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيَقُومُ - أَوْ لَيُصَلِّي - حَتَّى تَرُمُ قَدَمَاهُ، أَوْ سَاقَاهُ - فَيَقَالَ لَهُ، فَيَقُولُ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا"<sup>(٢)</sup>.

والحذف في الحديث النبوي كثير، وهو ينسجم مع طبيعة الحياة اليومية، وانبثاقه من واقع المسلمين، والتعبير عن همومهم الحاضرة<sup>(٣)</sup>، ومن أمثلتها حذف الفعل المضارع على تقدير يضحكني ناس من أمتي في الحديث التالي: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَنُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأُطْعِمَتْهُ، وَجَعَلَتْ تَقْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يَضْحَكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي، عَرَضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكُبُونَ ثَبَجَ"<sup>(٤)</sup> هَذَا الْبَحْرُ مُلُوكًا عَلَى الْأَسِيرَةِ - أَوْ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِيرَةِ شَكَّ إِسْحَاقُ - قَالَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يَضْحَكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ". كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ، قَالَتْ:

(١) ويرى أبو عودة أن التعدد في البنية التركيبية في جملة الحديث النبوي سمة واضحة فيه، وهي تميزه عن

الحديث المكنوب، انظر بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، ص ٦٤١.

(٢) البخاري: كتاب: التهجد/ باب: قيام النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الليل، حديث: ١١٣٠، ص ٢٢٣/ مسلم:

كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم/ باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، حديث: ٢٨١٩.

(٣) للتوسع في الأمثلة انظر أبا عودة، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، ص ٦٤٥.

(٤) ثبج البحر: ثبج: ظهر الشئ ووسطه.



فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اذْغُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: "أَنْتَ مِنَ الْأَوَّلِينَ". فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ؛ فَهَلَكَتْ"<sup>(١)</sup>.

والحذف في جملة الخطاب التَّبويّ أو جزء منها يكون لدلالة السياق عليه، وقد أسماه النُّحاة الأوائل "الحال المشاهدة"<sup>(٢)</sup>، يقول ابن جني<sup>(٣)</sup>: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكلف علم الغيب في معرفته"، ويقول<sup>(٤)</sup>: "فأما الجملة فنحو قولهم في القسم: والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت، وأصله: أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال - من الجار والجواب - دليلاً على الجملة المحذوفة"، والحذف يضفي جمالاً وبيئاً على الخطاب، فيقول الجرجاني في الحذف<sup>(٥)</sup>: "هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذب أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيئاً إذا لم تُبّن".

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَّا أَنَا فَأُفِيضُ عَلَى رَأْسِي ثَلَاثًا". وَأَشَارَ بِيَدَيْهِ كِلْتَاهُمَا<sup>(٦)</sup>؛ فإشارته عليه السلام بيديه تغني عن البيان والتوضيح.

ومن الحذف في القرآن: قوله تعالى<sup>(٧)</sup>: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ

رَحِيمٌ﴾؛ أراد لعذبتكم، ومنه أن يأتي الكلام على أن له جواباً؛ فيحذف الجواب اختصاراً؛ لعلم

(١) البخاري: كتاب: الجهاد والسير/ باب: الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، الحديثان: ٢٧٨٨، ٢٧٨٩،

ص ٥٥٩/ مسلم: كتاب: الإمارة/ باب: فضل الغزو في البحر، حديث: ١٩١٢.

(٢) للتوسع في ظاهرة الحذف، ودورها في تحقيق الترابط بين الجمل المكوّنة لنص الخطاب في ضوء اللسانيات الحديثة، انظر الشاويش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، الباب الخامس، الفصل الأول (الحذف في الظاهرة النحوية العربية)، ١١٣/٢ - ١١٧.

(٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢ هـ)، الخصائص، ط٤، (تحقيق محمد علي النجار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ٣٦٢/٢.

(٤) ابن جني، المصدر نفسه، ٣٦٢/٢.

(٥) دلائل الإعجاز، ص ١٤٦.

(٦) البخاري: كتاب: العسل/ باب: من أفاض على رأسه ثلاثاً، حديث: ٢٥٤، ص ٦٠/ مسلم: كتاب: الحيض/ باب: استحباب إفاضة الماء على الرأس وغيره ثلاثاً، حديث: ٣٢٧.

المخاطب به، كقوله تعالى<sup>(١)</sup>: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ أَلْمُوتُ بَلْ لَلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أراد لكان هذا القرآن<sup>(٢)</sup>.

ومن الأنماط اللغوية الأخرى الواضحة في الخطاب النبوي التقديم والتأخير حسب السياق وما يستدعيه، فمعلوم أن التقديم يقدم ما يسبق إلى خاطر المرء وفكره ونفسه واهتمامه، ومنه: حَدَّثَنَا ابْنُ مِقَاتٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ أَخَذَ سِنًّا، فَجَاءَ صَاحِبُهُ يَتَقَضَّاهُ، فَقَالُوا لَهُ: فَقَالَ: "إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا"، ثُمَّ قَضَاهُ أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ، وَقَالَ: "أَفْضَلُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً"<sup>(٤)</sup>. فلعل الرسول - عليه السلام - قدّم الخبر لأنّ صاحب الحق هو موضع الاهتمام.

وللتقديم والتأخير فوائد ولطائف لها وقع يروق لدى سماع المتلقي الخطاب - أي خطاب، فيقول الجرجاني<sup>(٥)</sup>: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال شِعْرًا يروقك مَسْمَعُهُ، ويلطّف لديك موقعه، ثم تنظر؛ فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان". ومن جميل الرّبط بين اللفظ والمعنى واندغامهما، وتكميل أحدهما الآخر تشبيه العنابي في قول العسكري<sup>(٦)</sup>: "وقال العنابي: الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإتّما نراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت فيها مؤخرًا، أو أخرت منها مقدّمًا، أفسدت الصّورة، وغيّرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل؛ لتحوّلت الخلقة، وتغيّرت الحلية"<sup>(٧)</sup>.

(١) النّور: ٢٠.

(٢) الرّعد: ٣١.

(٣) للتوسّع انظر العسكري، الصّناعتين، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٤) البخاري: كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب: من أهدى له هديّة وعنده جُلساؤه، فهو أحقّ بها، حديث: ٢٦٠٩، ص ٥١٣/ مسلم: كتاب: المساقاة/ باب: من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه وخيركم أحسنكم قضاء، حديث: ١٦٠١.

(٥) دلائل الإعجاز، فصل (القول في التقديم والتأخير)، ص ١٠٦.

(٦) الصّناعتين، ص ١٧٩.

(٧) وقد أورد ابن جنيّ الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف في باب أسماء (باب شجاعة العرب)، انظر الخصائص، ط ٤، ١٩٩٩، (فصل الحذف)، ص ٣٦٢ - ٣٨٣، (فصل التقديم والتأخير)، ص ٣١٢ - ٣٨٤.

ومن اندغام اللفظ والمعنى: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَرَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْلَةً، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَوْ عَرَسَتْ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "أَخَافُ أَنْ تَنَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ". قَالَ بِلَالٌ: أَنَا أَوْقِظُكُمْ، فَاضْطَجَعُوا، وَأَسْنَدَ بِلَالٌ ظَهْرَهُ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَعَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَنَامَ، فَاسْتَبَقَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَالَ: "يَا بِلَالُ أَيْنَ مَا قُلْتَ؟"، قَالَ: مَا أَلْقَيْتُ عَلَيَّ نَوْمَةً مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ، يَا بِلَالُ فَمَ فَاذَنْ بِالنَّاسِ بِالصَّلَاةِ". فَتَوَضَّأَ، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَاضَتْ، قَامَ فَصَلَّى<sup>(١)</sup>.

وإلى ما ذكر في تنوع جملة الحديث النبوي من الحذف والتقديم والتأخير، يضاف شيوع أساليب لغوية مثل الشرط والقسم والدعاء... إلخ<sup>(٢)</sup>.

وأما أسلوب الشرط فحدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا"<sup>(٣)</sup>.

و أسلوب القسم: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيُكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَازِيرَ، وَيَضَعَ الْجُزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: مواقيت الصلاة/ باب: الأذان بعد ذهاب الوقت، حديث: ٥٩٥، ص ١٢٣/ مسلم: كتاب:

المساجد ومواضع الصلاة/ باب: قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، حديث: ٦٨١.

(٢) للتوسع، انظر أبا عودة، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، ص ٦٤٤ - ٦٧٣.

(٣) البخاري: كتاب: الإيمان/ باب: حسن إسلام المرء، حديث: ٤٢، ص ١٨/ مسلم: كتاب: الإيمان/ باب: إذا هم

العبد بحسنة كتبت له وإن هم بسيئة لم تكتب له، حديث: ١٢٨.

(٤) البخاري: كتاب: البيوع/ باب: قتل الخنزير، حديث: ٢٢٢٢، ص ٤٢٩/ مسلم: كتاب: الإيمان/ باب: نزول

عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث: ١٥٥.

ومن أساليب الدعاء: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي: سَمِعْتُ يُؤُسَّ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفِي مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ"<sup>(١)</sup>.

وقد لفت خطاب الرسول - عليه السلام - اللغوي والأدبي العرب وغيرهم، وأشع على العقول بفكره وتحريره العقول من جهلها، وإطلاق العنان لها؛ لتمحص وتسأل وتستنتج وتتأمل، ووجه النفوس إلى مكامنها، وطهرها من أدرانها، وضبط المشاعر والميول، وبعث ليطم مكارم الأخلاق في رسالته السماوية الخالدة؛ فكان بخطابه كتاباً مفتوحاً، ينهل منه الظامي في العلوم والمعارف كافة.

---

(١) البخاري: كتاب فضائل المدينة/ باب: دعاؤه صلى الله عليه وسلم لحلول البركة بالمدينة، حديث: ١٨٨٥، ص ٣٦٧/ مسلم: كتاب الحج/ باب: فضل المدينة ودعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمةها، حديث: ١٣٦٩.

## المبحث الخامس:

### قيمة الخطاب النبوي وفاعليته

إنّ قراءة المسلم الخطاب النبويّ قراءة دقيقة وصحيحة تتطلب أن يقف وقفة متأنية أمام هذا النص؛ لأنه المصدر الثاني بعد القرآن في حياته الروحية والعملية والعلمية. والباحث يقف أمام هذا الخطاب وقفة الحائر؛ لا يعرف من أين يبدأ، وإلى أين يريد أن ينتهي في تأطيره لقيمة الخطاب النبويّ وفاعليته في حياة المسلم؛ فالحديث فيه لا يحاط به أو يُجمع.

ومن البداية فعَدّ الخطاب النبويّ مصدرًا دينيًا ودنيويًا هو قيمة في حدّ ذاتها؛ لأنه خطاب يمثل نتاج العمل الإنسانيّ لجماعة المسلمين، ويفتح على أنساق خطابيّة ولغويّة متعدّدة، تقوم بوظيفة التواصل من جهة، وترسيخ سلوك المسلم الاجتماعيّ والنفسيّ والثقافة الإسلامية من جهة ثانية، ويرمز إلى العقل الجماعيّ للمسلمين من جهة ثالثة<sup>(١)</sup>.

فهذا الخطاب النبويّ الزاخر في بنيته اللغويّة ومادته الحياتيّة أشبه بخلق تعشق بعضها بعضًا؛ لتشكّل امتدادًا تاريخيًا وتراثيًا داخل البيئة العربيّة الثقافيّة والحضارة الإسلاميّة؛ فعدت جزءًا من النسيج المعماريّ للحضارة الإنسانية ومدنيّتها وعاملا حيًا يؤكّد وجوده واستمراره فيها؛ ليعلن هذا الخطاب عالميّة الرّسالة الإلهيّة التي يحملها المسلم – في أيّ مكان وزمان – في خطابيّه: القرآنيّ والنبويّ لأيّ إنسان تربطه به علاقة وحدة الأصل والمنشأ.

ثمّ إنّ الخطاب النبويّ أشبه بمنبع للمجتمع المسلم بدقائقه وتفصيله؛ فهو يربط حياة مسلم اليوم بأخيه البارحة في بوتقة الحال الواحدة، ومعطيات الواقع المعيش الذي يحاكي حديثه المعاصر موروثه القديم في سلسلة متصلة دون انقطاع.

ومن الخواص التي تبين قيمة الخطاب النبويّ أنّه يشكّل نهرَ عطاءٍ يمتدّ ليرفد المتلقّي في طبيعته اللغويّة؛ إذ تُتناسل منه دلالاتٌ وقيمٌ وتراكيبٌ وحقائقٌ متمخّضة عنه، ومستلهمة منه، وهو بدوره تنبثق لغته من لغة القرآن الأصيل.

(١) مصطلح العقل الجماعيّ لـ"لويس"، انظر لويس، م.م (١٩٥٩)، اللغة في المجتمع، د.ط، القاهرة: عيسى

البابيّ الحلبيّ، تعريب: تَمّام حسان، مراجعة: إبراهيم أنيس، ص ١٢٥، يقول: "لغة مكانة فريدة بين أنواع

الاتصال الرّمزيّ المختلفة من حيث أنّها وسيلة، يصبح بها العقل الجماعيّ عقلا جماعيًا شعوريًا".

وإذا كان الكلام فردياً على حين أن اللغة اجتماعية؛ أي أنها نتاج الجماعة، وملك لها كما يبين "دي سوسير"<sup>(١)</sup>، فإن كلام الرسول - عليه السلام - فيما ينتجه وعية اللغوي في خطابه في سياقه الاجتماعي العربي المسلم لا يفتأ يبين رابطة انتماء حضاري في المفهوم الإنساني متجرد من أية نزعة "أنوية"، وإن ذلك يدفع سلوك العربي الفكري إلى تقبل كلامه عليه السلام كما يبدو في معطيات التفسير النفسي، ومما يزيد من فاعلية خطابه النبوي أنه طبع بطابع قوي وفريد، فهو ليس مجرد مفردات وتراكيب وأساليب لغوية حسب؛ بل هو استخدامات خاصة وصور توضح معارف المجتمع الإسلامي وتصوراته وقيمه الممتدة على مر الزمن.

فاتصاله عليه السلام اللغوي هو اتصال اجتماعي، متحقق في شفاهية خطابه عامة، وصوره الحركية خاصة المنبثقة من ثقافة حياتية، وطريقة في التفكير ملهمة، وتصور للأشياء مدروس، وكل ذلك له صلة وثيقة بالحياة الإنسانية التي يمكنها استيعاب الواقع الموضوعي للمجتمع المسلم ضمن العلاقات الإنسانية المألوفة.

لذا فخطابه عليه السلام وعاء يحوي مضموناً له مدلولاته في الواقع، ولو انتفت عنه صفة الدلالة لصار نصاً مفرغاً من محتواه، لا قيمة له ولا يعتد به.

فمحتوى هذا الخطاب يخضع للتجدد والنمو مع الزمن بدليل تداوله بين المسلمين في تصاريف الحياة الإسلامية المتغيرة، فلو كان في خصائص اللغة عموماً موات أو سكونية لباتت القيم عديمة النفع، ولأفرغت من معانيها، فما القول في خطاب ملهم؟!

ويؤكد هذا ما يشير إليه فايز الداية في ما استقر لدى العلماء العرب في مفهوم اجتماعية الدلالة اللغوية وعرفيتها؛ فيما اصطلح بين أبناء المجتمع اللغوي، مما أكسب اللغة حركتها وفعاليتها<sup>(٢)</sup>.

فكيف لا تكون لخطابه عليه السلام هذه القيمة والفاعلية الاجتماعية، وهو النبي الموجه الذي كان يعيش بين أصحابه دون أن يكون بينه وبينهم حجاب، فقد كان يخالطهم في المسجد والبيت والسوق والسفر... إلخ، وكانت أفعاله وأقواله محلّ عناية وتقدير، يسألونه ويجيبهم، ويبثون إليه لواحج نفوسهم، ومشكلات حياتهم، فيرشدهم ويشير عليهم ويهديهم إلى الخير وطريقه مشافهة أو فعلا.

(١) انظر أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٣٢.

(٢) انظر الداية، فايز (٢٠٠٦)، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية، تأصيلية نقدية، طه،

دمشق، دار الفكر، ص ١٧.

وهذا لا يعني أن خطابه النبوي الذي وصل إلينا في الصحيحين مكتوباً أو مسموعاً لا فاعلية له؛ ولكن خطابه عليه السلام الذي يؤدي مواجهة بينه وبين الصحابة يكون أكثر تأثيراً وفاعلية في سياقه الخاص؛ فمعلوم أن لغة المشافهة غالباً لا تكون جافة أو مملولة أو ضعيفة التأثير إن كانت منضبطة ومنظمة؛ لأن لها طاقة حركية مؤثرة في المتلقي، بما تحمله من المشاعر والأحاسيس التي تكون موجّهة في خطاب المنشئ بما يحويه من صوت نغمي أو حركة انفعالية أو إشارة يدوية، تزيد من فاعلية اللغة الشفهية وتأثيرها في المستمع<sup>(١)</sup>.

**فقيمة خطابه عليه السلام الشفهي خاصة في أنه يتضمن طاقة تعبيرية، لها قدرة تصريحية وأخرى إيحائية واضحة وموجّهة للمتلقى المسلم.**

ويشير "ميشيل فوكو" إلى أن أي خطاب ديني أو إعلامي أو سياسي يجري مجرى فعل الطقوس، وهي التي تحدّد فاعلية الكلام، يقول<sup>(٢)</sup>: "الطقوس هي التي تحدّد الحركات وضروب السلوك المناسبة وجماع الرموز التي يجب أن تصاحب الخطاب، وهي التي تحدّد الفعالية المقترحة أو المفروضة للكلام أو مفعوله على الذين يتوجّه إليهم الكلام، ومدى قيمته الإكراهية"، ويقول<sup>(٣)</sup>: "إنّ الخطابات الدينية والقضائية والعلاجية والسياسية تجري فعل الطقوس".

وما يؤكد كلام "فوكو" هذا التأثير الحادث في نفوس الصحابة الذي يدفعهم للاقتداء بالرسول — عليه السلام — في فعل ما يفعل، وترك ما يترك على وجه مطلق، فيحاكونه أحياناً دون أن يعلموا لفعله سبباً أو يسألوه عن علته وحكمته: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَيْتِهِ، وَهُوَ شَاكٍ؛ فَصَلَّى جَالِسًا، وَصَلَّى وَرَاءَهُ قَوْمٌ قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ اجْلِسُوا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: "إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا"<sup>(٤)</sup>.

ثم إن الخطاب النبوي تأثيره في سياقه الحيّ النابض الاجتماعي مع الصحابة ممتدّ لكل من سمع الخطاب أو قرأه بعد ذلك؛ لما يحمله من ألفاظ منتقاة، وأساليب متنوعة، فهي لا تسير في خط

(١) للتوسع انظر استنبيته، اللغة وسيكولوجية الخطاب، (فاعلية الخطاب عامة)، ص ٣٥.

(٢) نظام الخطاب وإرادة المعرفة، ص ٢٥.

(٣) فوكو، المرجع نفسه، ص ٢٥.

(٤) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: إنما جعل الإمام ليؤتم به، حديث: ٦٨٨، ص ١٤٠ / مسلم: كتاب: الصلاة/

باب: انتمام المأموم بالإمام، حديث: ٤١٢.

واحدٍ أو حالٍ واحدةٍ؛ من قِبَلِ تنوّعِ الموضوعاتِ والمواقفِ من ناحيةِ والتأثيرِ في المتلقّي من ناحيةٍ أخرى؛ لأنّها استوعبت أنظمة التعبير في هذه اللغة التي يتفاعل معها المتلقّي؛ لامتلاكه أدواتِ القراءةِ من منطلق معرفته لغة الخطاب التي تشكّل النصّ النبويّ على المستويين السيميائي والاجتماعي.

وإنّ تحديده عليه السّلام معاني مفرداته المستعملة وألفاظه الدّالة في خطابه النبويّ تحديداً دقيقاً لمن أهمّ العوامل التي ساعدته في الحوار المقنع والمؤثر في المتلقّي.

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يُوسُفَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "الْحَلْفُ مُنْفَقَةٌ<sup>(١)</sup> لِلسَّلَعةِ، مُحَقَّةٌ<sup>(٢)</sup> لِلْبِرْكةِ"<sup>(٣)</sup>.

ويُتفق قول العنابي في ارتباط اللفظ بالمعنى كارتباط الرّوح بالجسد<sup>(٤)</sup>، مع قول ابن رشيّق<sup>(٥)</sup>: "اللفظ جسمٌ وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الرّوح بالجسم: يضعفُ بضعفه، ويقوى بقوّته"، ويدلّل كذلك على مدى قوّة تأثير اللفظ المناسب للمعنى في المتلقّي قوله<sup>(٦)</sup>: "وبعضهم - وأظنّه ابن وكيع - مثل المعنى بالصّورة واللفظ بالكسوة، فإنّ لم تقابل الصّورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللّباس، فقد بخست حقها، وتضاءلت في عين مُبصِرِها"، وفي الموائمة في حُسْنِ مزاجيّة المعنى للفظ يقول ابن وهب الكاتب<sup>(٧)</sup>: "وأما أقدار الألفاظ وأقدار المعاني، فهو أنّ يأتي بالمعنى فيما يليق به من اللفظ، وقد مضى الكلام فيه بما أغنى عن إعادته".

فلغته عليه السّلام لغة متجدّدة، لا يحار المتلقّي المسلم في فهم دقائقها وعلاماتها وقرائن الحال في سياقها اللّغويّ الاجتماعيّ والنّفسيّ؛ ليستدلّ على المعنى المراد والمغزى المطلوب منها.

(١) منققة: سبب لسرعة بيعها ورواحها.

(٢) محققة: النقص والإبطال.

(٣) البخاري: كتاب: البيوع/ باب: ﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة: ٢٧٦، حديث:

٢٠٨٧، ص ٤٠٧/ مسلم: كتاب: المساقاة/ باب: اللّهي عن الحلف في البيع، حديث: ١٦٠٦.

(٤) انظر سمات الخطاب النبويّ من الدّراسة، ص ٥٢.

(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، (باب اللفظ والمعنى)، ١٠٣/١.

(٦) ابن رشيّق، المصدر نفسه، ١٠٦/١.

(٧) ابن وهب الكاتب، أبو محمّد عبد الله بن وهب الفهريّ (ت ١٩٧ هـ)، البرهان في وجوه البيان، ط ١، (تحقيق

أحمد مطلوب وخديجة الحديثي)، جامعة بغداد، ١٩٦٧، ص ٢٥٩.



وأضف إلى ذلك أن ما يُغني الخطاب النبوي، ويزيد فاعليّة سياقه اللغوي أن رسالته عليه السلام واضحة وغير مُلبسة ولا مُبهمة، تؤدي وظيفتها بصدق وكفاية؛ ويتحقق منها الفهم والإفهام والتبليغ، وتراعي حال المتلقّي، فيتقبل فحوى الرّسالة، ويتفاعل معها في سياق التّواصل اللغويّ الاجتماعيّ والنّفسي المناسب؛ وبذلك تنجح مهمّة الإرسال النبويّة، وتُنجز غايتها، وتعطي خطابه عليه السلام قيمته وتأثيره.

فلغته عليه السلام لغة لا تنفك تؤكّد قدرتها على استيعاب حاجات المسلم وترجمة أحاسيسه ومواقفه، وتنفّث على الوقائع المحدّثة في حياته، وفي سائر الأنماط، كما أنّها ترتقي متجانسة مع مستويات علوم الكلام كافّة.

ولغته عليه السلام في خطابه النبويّ الإبداعيّ وعيّ تعبيريّ دالّ، بإشاراته ورموزه وتراكيبه ومعانيه، يتّصف بالارتقاء والامتداد في منظومة العلاقات الحياتية للمسلم بكلّ أبعادها، وتجاوز ذلك إلى الإشارة إلى ما هو خارج المحيطين الزمانيّ والمكانيّ للسياقين: الثقافي والاجتماعيّ للخطاب النبويّ؛ ليُعرف بما يسمّى اليوم بـ"الإزاحة التعبيرية"<sup>(١)</sup>.

فبيان النبويّ ملكة، يصدحُ بها في حجة في المقامات والأحوال؛ بما يقتضي من الإبانة والإفصاح عن ذلاقة لسان وقوة قلب ورباطة جأش وقدرة على التصرف في القول ببسر وسهولة، فيسمّ ذلك خطابه سمة البلاغة كما يشير العسكريّ لمعنى البلاغة<sup>(٢)</sup>: "البلاغة تقريب ما بُعد من الحكمة بأيسر الخطاب".

ثم إنّ خطابه عليه السلام النبويّ ليس كأيّ خطابٍ لغويّ، معرضٍ للتغيير وعدم الثبات، فيكون تأثيره وفاعليّته قائمة على معنّى وجدانيّ، يزول بزوال المؤثر، كالرموز السياسيّة أو النداءات المذهبيّة التي تفقد قوّتها وفاعليّتها، وتصبح جذباءً عقيمًا في تأثيرها بعد زوال الأحوال الأصليّة التي انبثقت منها؛ ولا سيّما إذا ارتبطت بمصالح خاصّة بمنشئها ومروّجها.

(١) الإزاحة التعبيرية: هو إشارة اللغة إلى أشياء وأحداث خارجة عن حدود زمان القول ومكانه، كأن يتحدّث شخص ما عن أجواء شوارع فلسطين، وهو في شارع في عمّان، فسياق القول عمّان، وسياق المرجع أجواء شوارع فلسطين، انظر البطاينة، عفاف (٢٠٠٢)، النصوص وسياقاتها: دراسة في الأدبيّة، الأيديولوجيا، والخطاب، فصول، العدد (٥٨)، ص ٥٩.

(٢) الصّناعتين، ص ٥٨.

والكلمة بمحتواها الوجداني<sup>(١)</sup> إن ارتبطت بالفكر الذي يقوم على الإقناع والبرهان وتداخلت معه، فلا مناص من إحداث تأثير قوي في متلقيها؛ لأنها جمعت إلى ملامسة الحس حاججة العقل، وكذلك هو الخطاب النبوي.

ولا شك بعد هذا الحديث أن يكون المأثور عنه عليه السلام في خطابه من صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن، دافعاً يقتبس الأديب من لفظه، وينتفع البليغ بصوغه، ويستمدّ مفسّر القرآن منه؛ ففي خطابه النبويّ جمع طابع التعليم والإرشاد والهداية والدعوة والتشريع، وفيه مادة واسعة للعلم والثقافة الإسلامية.

وبذلك يكون الخطاب النبويّ بعد الخطاب القرآنيّ قد أثبت **فاعليّته وقيّمته** إلى حد كبير بوصفه فضاءً يعيش فيه المسلم، ويتفاعل معه؛ فيشكل نظام حياته الكوني.

---

(١) يشير أولمان إلى ما يسمّى بـ"المضمون العاطفي للكلمة"، انظر دور الكلمة في اللغة، ص ١٠٤.

## المبحث السادس:

### طرق الخطاب النبوي

تتعدّد طرق الخطاب بتعدّد الأحوال المحيطة، فما يكون مناسباً في سياق ما، قد لا يكون كذلك في سياق غيره، فطرق الخطاب اللغوي خطة يضعها المنشي للوصول إلى غرضه المنشود؛ ولا يكون ذلك إلا بعد مرور الخطاب في مستويين اثنين: المستوى الذهني الذي يثير في المنشي أسئلة تأسيسية في قائع الخطاب الداخلية مثل: مَنْ المتلقي؟ وما علاقته بالمرسل؟ وماذا يريد من الخطاب ضمن مقاصد المتكلم ومعتقداته وثقافته واهتماماته ورغباته، وأما في قائع الخطاب الخارجية، فيسأل: متى زمن الخطاب المناسب؟ وأين مكانه الملائم؟ وما مناسبته؟ ثم يأتي المستوى الثاني: المستوى الفعلي أو الإنجازي لما اختمر في ذهن.

والخطاب النبوي بدوره لا بدّ أن يمرّ بهذين المستويين، وهو محكوم في طرائقه المتنوعة بحكمة الرسول — عليه السلام — وخبراته اللسانية في انتقاء الأسلوب اللغوي المناسب للسياقين: الاجتماعي والنفسي الذي يُقال فيه، ويتوقف على الموضوع الذي يجري بحثه مع المتلقي المسلم أو مناقشته فيه، وما يعمّق نجاح تواصله عليه السلام وعيّه اللغوي بطبيعة المتلقي وحالته عند استقبال الرسالة اللسانية وحرصه على التأثير فيه.

ومفهوم الكفاية التواصلية النبوية يعني: معرفته عليه السلام بالصيغ اللغوية المختلفة، وقدرته على استخدامها بطريقة ملائمة لموقف التواصل، وهي من أهمّ المعايير التي تدلّ على نجاح خطابه النبوي في المجتمع الإسلامي وتداوله.

#### ١- طريقة الإقناع:

لما كان الرسول — عليه السلام — حاملاً عبء تبليغ رسالة الله، ودعوة الناس إلى الدين دون إكراه، قال تعالى<sup>(١)</sup>: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ﴾ ﴿تُوجَّبُ عَلَى الرَّسُولِ — عَلَيْهِ السَّلَام — أَنْ يَسْتَخْدَمَ طَرِيقَ الْإِقْنَاعِ التي تقوم على استخدام الحجة العقلية<sup>(٢)</sup> والمنطق الذي يحاكي العقل قبل أن يدغدغ الوجدان؛ لذلك فقد تنوّعت العناصر اللغوية المختلفة في خطابه الموجّه

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) تسمى طريقة الحجاج.

للمتلقي المسلم مثل: حَظُّ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ابْنًا لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، وَحَمَلُهُ وَصَلَّى، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْمُسْلِمُ لَا يَنْجُسُ حَيًّا، وَلَا مَيِّتًا. وَقَالَ سَعِيدٌ لَوْ كَانَ نَجِسًا مَا مَسِسْتُهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ لَا يَنْجُسُ"<sup>(١)</sup>.

## ٢ - طريقة التوجيه:

إنَّ كلامَ الرسول - عليه السلام - في خطابه النبوي الشفهي هو الذي يحدّد دور الملفوظات التداولي، ويُسهم في بيان دلالاتها، وكشف طريقة التعامل اللغوي معها في سياقاتها المختلفة، وذلك بالنظر إلى المشهد الاجتماعي في خطاب الرسول - عليه السلام - متكاملًا وبمناصره المكوّنة: الرسول المنشيء - عليه السلام، والصحابي المتلقي، والمناسبة الحادثة، والرّسالة اللسانية، والسياق المحدّد.

ويبرز هنا دورُ سلطة الرسول الموجّه - عليه السلام - الدّينية في سياقها: الاجتماعي والنّفسي اللذين يدفعان إلى التأثير في المتلقي المسلم باستجابته لما أرشد إليه، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٢)</sup>، سواء أكان متلقي الخطاب النبوي صحابيًا بعينه يخاطب الرسول - عليه السلام - أم متلقيًا سامعًا خطاب الرسول - عليه السلام - أم قارئًا له بعد ذلك.

وقد تنوّعت طرق التوجيه اللغويّة في الخطاب النبوي، فمنها: أسلوب النهي: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مُحَمَّدٍ بَنِ أَسْمَاءَ قَالَ: حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ: " لَا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ". فَأَذْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصَرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يَرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يُعَفِّ وَاحِدًا مِنْهُمْ<sup>(٣)</sup>.

وأسلوب الأمر: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بَنِ مَالِكٍ، عَنْ كَعْبٍ: أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَذْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ فِي بَيْتِهِ،

(١) البخاري: كتاب: الجنائز/ باب: غُسل الميتِ وَوُضُوئُهُ بِالْمَاءِ وَالسَّدْرُ، حديث: ١٢٥٢، ص ٢٤٨/ مسلم: كتاب: الحيض/ باب: الدليل على أن المسلم لا ينجس، الحديث ٣٧٣.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) البخاري: كتاب: صلاة الخوف/ باب: صلاة العصر في بني قريظة، حديث: ٩٤٦، ص ١٨٧/ مسلم: كتاب:

الجهاد والسير/ باب: المبادرة بالغزو، وتقديم أهمّ الأمرين المتعارضين، حديث: ١٧٧٠.

فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا، حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ<sup>(١)</sup> حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: "يَا كَعْبُ"، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا"، وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ: أَيِ الشَّطْرِ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَمُ فَاقْضِهِ"<sup>(٢)</sup>.

**وَأَسْلُوبُ التَّحْذِيرِ:** حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمُو<sup>(٣)</sup>؟ قَالَ: "الْحَمُو الْمَوْتُ"<sup>(٤)</sup>.

**وَأَسْلُوبُ الْإِغْرَاءِ:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ: "مَنْ هَذِهِ؟"، قَالَتْ: فَلَانَةٌ، تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا، قَالَ: "مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمْلُؤَا"، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ<sup>(٥)</sup>.

### ٣- طريقة التلميح:

وهي طريقة تتجاوزُ دلالة الخطاب الحرفية، ويستخدم في ذلك أدوات الاستفهام، التي قد تخرج عن قصد معرفة السائل شيئاً مجهولاً إلى الالتماس.

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ بَنِي سَلَمَةَ أَرَادُوا أَنْ يَتَحَوَّلُوا عَنْ مَنَازِلِهِمْ، فَيَنْزِلُوا قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: فَكَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُعْرُوا<sup>(٦)</sup> الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: "أَلَا تَحْتَسِبُونَ آثَارَكُمْ؟"، قَالَ مُجَاهِدٌ: خَطَاهُمْ: آثَارُهُمْ، أَنْ يَمْشِيَ فِي الْأَرْضِ بِأَرْجُلِهِمْ<sup>(٧)</sup>.

(١) سِجْف حِجْرَتِهِ: سِتْرُهَا.

(٢) البخاري: كتاب: الصَّلَاة/ باب: التقاضي والملازمة في المسجد، حديث: ٤٥٧، ص ١٠٠/ مسلم: كتاب: المساقاة/ باب: استحباب الوضع من الدين، حديث: ١٥٥٨.

(٣) الحمو: أقارب الزوج من الذكور غير الأب والابن.

(٤) البخاري: كتاب: النكاح/ باب: لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا ذو مَحْرَم، والدخول على المغيبة، حديث: ٥٢٣٢، ص ١٠٦٩/ مسلم: كتاب: السلام/ باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، حديث: ٢١٧٢.

(٥) البخاري: كتاب: الإيمان/ باب: أحبُّ الدِّينِ إلى الله أدومُهُ، حديث: ٤٣، ص ١٨/ مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/ باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الليل، وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة، حديث: ٧٤١.

(٦) يُعْرُوا المدينة: يتركوها ليس حولها بيوت.

(٧) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: احتساب الآثار، حديث: ٦٥٦، ص ١٣٤.

وإن استخدم الرسول - عليه السلام - أسلوب التلميح، ففي خطابه إشارات مضمرة يدل عليها السياق اللغوي.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ سُمَيٍّ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ<sup>(٢)</sup> لَاسْتَهَمُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ<sup>(٣)</sup> وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا"<sup>(٤)</sup>.

كما أن ثمة كلمات مفردة تكون خطاباً في سياقها المناسب الحواري، وذات معانٍ صائبة، ليس بمفهوم الدلالة اللغوي؛ بل بمفهوم التداول الذي يولد من معاني الكلمة الأصلية معاني أخرى. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: سَمِعَ أَنَسًا قَالَ: وَجَدْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْمَسْجِدِ مَعَ نَاسٍ، فَقُمْتُ، فَقَالَ لِي: "أَرْسَلَكُ أَبُو طَلْحَةَ؟" قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: "لِطَعَامٍ؟" قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: "قُومُوا". فَأُتِلِقَ وَأُتِلِقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ<sup>(٥)</sup>. فتقدير قول أنس: نعم، الذي يدل عليه الموقف التداولي: نعم، أرسلني أبو طلحة<sup>(٦)</sup>.

#### ٤ - طريقة المجاز:

استخدم الرسول - عليه السلام - المجاز في خطابه النبوي، وهو في ذلك لا يركن بالطبع إلى صحة التركيب النحوي مع ضرورتها لاستقامة الكلام، ولا يكتفي به لإنجاز فعل معين؛ فيفترض عليه السلام أن يكون المرجع للعنصر المجازي هو المتلفظ بالخطاب في تحديد دوره التداولي، والإسهام في بيان دلالته في سياقه اللغوي المحدد.

(١) استهموا: اقترعوا.

(٢) التهجير: التبكير.

(٣) العتمة: صلاة العشاء.

(٤) البخاري: كتاب: الأذان / باب: الاستهام في الأذان، حديث: ٦١٥، ص ١٢٨ / مسلم: كتاب: الصلاة / باب: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولى الفضل وتقريبهم من الإمام، حديث: ٤٣٧.

(٥) البخاري: كتاب: الصلاة / باب: من دعا لطعام في المسجد ومن أجاب فيه، حديث: ٤٢٢، ص ٩٣ / مسلم: كتاب: الأشربة / باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، ويتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام، حديث: ٢٠٤٠.

(٦) أشار استثنائية في مناقشته الدراسة - في مجمع اللغة الأردني، ٢٠١١/٧/٢٤ - إلى أن هذا يقع تحت أحد أسس التداولية التي أضافها، وهي الإحلال، مثل: الإجابة ب: نعم، موضع: درست، في الإجابة عن السؤال: درست؟.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ: حَدَّثَنِي قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَرْعٌ، فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ، فَقَالَ: "مَا رَأَيْنَا مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لِبَحْرًا"<sup>(١)</sup>.

##### ٥- طريقة التصريح:

فيها يكون خطاب الرسول - عليه السلام - واضحًا وصريحًا ومحددًا، لا مجال فيه للبس أو التأويل، وهو الكثير الغالب في خطابه النبوي.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ، عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَعِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُجْمِرِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الزُّرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ رِقَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ"، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: "مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟"، قَالَ: أَنَا، قَالَ: "رَأَيْتُ بَضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَذِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُوبُهَا أَوَّلُ"<sup>(٢)</sup>.

##### ٦- طريقة الاستشارة:

تتمثل في طلب الصحابة من الرسول الإشارة عليهم في اتخاذ بعض القرارات أو معرفة أحكام دينية أو حياتية يجهلون بها، وتتنوع طريقة الاستشارة، فقد تكون بالسؤال الفوري: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ أَبِي حُسَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ: أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِيَّادٍ بْنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالتِّي تَزَوَّجَ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَرْضَعْتَنِي، وَلَا أَخْبَرْتَنِي، فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟". فَقَارَقَهَا عُقْبَةُ، وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ<sup>(٣)</sup>.

أو شرح حالة ما يلحقها تعليق الرسول - عليه السلام - ونُصِّحَ لما سمع أو خبر من الناس: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَمْرِو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ لِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَمْ أَخْبَرَ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ

(١) البخاري: كتاب: الجهاد والسير/ باب: مبادرة الإمام عند الفرع، حديث: ٢٩٦٨، ص ٥٩٢/ مسلم: كتاب:

الفضائل/ باب: في شجاعة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وتقدمه في الحرب، حديث: ٢٣٠٧.

(٢) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: قنوت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث: ٧٩٩، ص ١٥٩/ مسلم: كتاب:

المساجد ومواضع الصلاة/ باب: ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، حديث: ٦٠٠.

(٣) البخاري: كتاب: العلم/ باب: الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، حديث: ٨٨، ص ٢٩.

وَتَصُومُ النَّهَارَ؟" قُلْتُ: إِنِّي أَفَعَلُ ذَلِكَ. قَالَ: "فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمْتَ عَيْنُكَ وَنَفِهْتَ<sup>(١)</sup> نَفْسُكَ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا، وَلَإِهْلِكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ"<sup>(٢)</sup>.

أو قد تكون الاستشارة أحياناً لأمهات المسلمين مثل السيِّدة عائشة - رضي الله عنها - في بعض المسائل الفقهيَّة المخرجة - لا سيَّما فيما يتعلّق بقضايا النساء، كحالات: الحيض والنَّفاس والولادة... إلخ؛ فيكون جوابُ السيِّدة عائشة - رضي الله عنها - ممَّا علَّمت من الله ورسوله: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاذَةُ: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِعَائِشَةَ: أَتَجْزِي إِحْدَانَا صَلَاتَهَا إِذَا طَهَّرَتْ؟ فَقَالَتْ: أَحْرُورِيَّةً<sup>(٣)</sup> أَنْتِ؟ كُنَّا نَحْبِضُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى الله عليه وسلم - فَلَا يَأْمُرُنَا بِهِ، أَوْ قَالَتْ فَلَا نَفْعَلُهُ<sup>(٤)</sup>.

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - صَلَّى الله عليه وسلم - أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَّيٍّ قَدْ حَاضَتْ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم: "لَعَلَّهَا تَحْبِسُنَا، أَلَمْ تَكُنْ طَافَتْ مَعْنُ؟" فَقَالُوا: بَلَى، قَالَ: "فَاخْرُجِي"<sup>(٥)</sup>. وقد تكون الاستشارة من الرسول - عليه السلام - للصَّحابة: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ أَبِي تَمِيمَةَ السَّخْتِيَّانِيَّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - انْصَرَفَ مِنْ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ دُو الْيَدَيْنِ: أَقْصَرْتَ الصَّلَاةَ أَمْ

(١) نفهت: أعيت وكنت.

(٢) البخاري: كتاب: التَّهَجُّد/باب: قول عليه السَّلام: "إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا"، حديث: ١١٥٣، ص ٢٢٧/مسلم: كتاب: الصَّيَام/باب: التَّهَيُّ عن صوم الدَّهْر لمن تضرَّر به أو فَوَّت به حقًّا أو لم يفطر العبيدين والتَّشْرِيق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، حديث: ١١٥٩.

(٣) حرورية: "حروراء: موضع بظاهر الكوفة تنسب إليه الحرورية من الخوارج؛ لأنه كان أوَّل اجتماعهم بها، وتحكيمهم حين خالفوا عليًّا... ومنه حديث عائشة، وسلَّت عن قضاء صلاة الحائض، فقالت: أحرورية أنت؟ والحرورية من الخوارج الذين قاتلهم علي، وكان عندهم من التشديد في الدِّين ما هو معروف، فلمَّا رأت عائشة هذه المرأة تشدَّد في أمر الحيض، شبَّهتها بالحرورية وتشدَّدهم في أمرهم وكثرة مسائلهم وتعلَّتهم بها، وقيل: أرادت أنَّها خالفت السُّنة وخرجت عن الجماعة، كما خرجوا عن جماعة المسلمين"، لسان العرب.

(٤) البخاري: كتاب: الحيض/باب: لا تُقْضِي الْحَائِضُ الصَّلَاةَ، حديث: ٣٢١، ص ٧٢/مسلم: كتاب: الحيض/باب: وجوب قضاء الصَّوم على الحائض دون الصَّلَاة، حديث: ٣٣٥.

(٥) البخاري: كتاب: الحيض/باب: المرأة تحيض بعد الإفاضة، حديث: ٣٢٨، ص ٧٣/مسلم: كتاب: الحج/باب: وجوب طواف الوداع، وسقوطه عن الحائض، حديث: ١٣١١.



نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَصْدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ؟" فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَلَّى اثْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ، فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ، أَوْ أَطْوَلَ<sup>(١)</sup>.

#### ٧- طريقة التَّوَدُّدِ:

هي عبارات خاصة كان يستخدمها الرسول - عليه السلام - مع أسرته، أو فئة اجتماعية كان يتعامل معها من المقربين إليه، يكون فيها التعبير عن أحاسيس ومشاعر أكثر من نقل أفكار أو معلومات أو تعليم أو إخبار أو توجيه، وتتألف من أشباه جمل ومفردات وإيماءات، وهذه الطريقة تشي بقرب المسافة الاجتماعية والنفسية بين الرسول - عليه السلام - والمخاطب، بما تنطوي عليه من أدب في الخطاب من الطرفين.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: "أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ؟". قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَعَاظَبَنِي فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقُلْ<sup>(٢)</sup> عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِإِنْسَانٍ: "انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟". فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، فَقَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ ثَرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: "قُمْ أَبَا ثَرَابٍ، قُمْ أَبَا ثَرَابٍ"<sup>(٣)</sup>.

#### ٨- طريقة الحوار:

طريقة استخدمها الرسول - عليه السلام - في أحاديثه في قضايا التَّعْلُمِ والإرشاد والاستشارة، وقد يقسم الحوار في الخطاب النبوي إلى:

**حوار علمي:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: "أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنَ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا:

(١) البخاري: كتاب: الآذان/ باب: هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس؟ حديث: ٧١٤، ص ١٤٥/ مسلم: كتاب:

المساجد ومواضع الصلاة/ باب: السَّهْوُ فِي الصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ لَهُ، حديث: ٥٧٣.

(٢) القيلولة: النوم في منتصف النهار.

(٣) البخاري: كتاب: الصلاة/ باب: نوم الرجال في المسجد، حديث: ٤٤١، ص ٩٧/ مسلم: كتاب: فضائل

الصَّحَابَةِ/ باب: من فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، حديث: ٢٤٠٩.

ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى <sup>(١)</sup>: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

**حوار عقدي:** حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ سُلَيْمَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ <sup>(٣)</sup> مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَقَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ، عَنْ الرُّوحِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ، لَا يَجِيءُ فِيهِ شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِنَسْأَلَنَّهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ، فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ فَقَالَ <sup>(٤)</sup>: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ <sup>(٥)</sup>.

**حوار تفاوض:** قَالَ إِبْرَاهِيمُ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: "انْثَرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ"، وَكَانَ أَكْثَرُ مَالٍ أَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ، إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي، فَإِنِّي قَادَيْتُ نَفْسِي وَقَادَيْتُ عَقِيلًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "خُذْ". فَحَنَّا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقْلُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أُوْمِرُ بَعْضُهُمْ بِرَفْعِهِ إِلَيَّ، قَالَ: "لَا". قَالَ: فَأَرْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: "لَا". فَتَنَرَّ مِنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقْلُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُوْمِرُ بَعْضُهُمْ بِرَفْعِهِ عَلَيَّ، قَالَ: "لَا". قَالَ: فَأَرْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: "لَا". فَتَنَرَّ مِنْهُ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى كَاهِلِهِ،

(١) يس: ٣٨.

(٢) البخاري: كتاب: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُجَسَّبَانِ﴾ الرَّحْمَن: ٥، حديث: ٣١٩٩، ص ٦٤٠ / مسلم: كتاب: الإيمان /

باب: بيان الزَّمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث: ١٥٩.

(٣) عسيب: جريد التخل.

(٤) الإسراء: ٨٥.

(٥) البخاري: كتاب: العلم / باب: قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥، حديث: ١٢٥،

ص ٣٦ / مسلم: كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم / باب: سؤال اليهود النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن الرُّوح،

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الإسراء: ٨٥، حديث: ٢٧٩٤.

ثُمَّ انْطَلَقَ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُثْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا، عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ، فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ<sup>(١)</sup>.

وكذلك: حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ عَمْرِو ابْنِ الشَّرِيدِ قَالَ: وَقَفْتُ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَجَاءَ الْمِسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى إِحْدَى مَنْكِبَيْ، إِذْ جَاءَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا سَعْدُ، ابْتَغِ مِنِّي بَيْتِي فِي دَارِكَ، فَقَالَ سَعْدُ: وَاللَّهِ مَا أَبْتَاعُهُمَا، فَقَالَ الْمِسُورُ: وَاللَّهِ لَتَبْتَاعَهُمَا، فَقَالَ سَعْدُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُكَ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ مُنْجَمَةٍ، أَوْ مَقْطَعَةٍ، قَالَ أَبُو رَافِعٍ: لَقَدْ أُعْطِيتُ بِهَا خَمْسَمِئَةِ دِينَارٍ وَلَوْ لَا أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "الْجَارُ أَحَقُّ بِسَقْبِهِ"<sup>(٢)</sup>. مَا أُعْطِيتُكَهَا بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَأَنَا أُعْطِيَ بِهَا خَمْسَ مِئَةِ دِينَارٍ فَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ<sup>(٣)</sup>.

**حوار مناظرة:** حَدَّثَنَا عَبْدَانُ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي رَهْطٍ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ<sup>(٤)</sup>، حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ، عِنْدَ أُطَمَ<sup>(٥)</sup> بَنِي مَعَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الْحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: "تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟" فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ. فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَرَفَضَهُ وَقَالَ: "أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ". فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَاذَا تَرَى؟" قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خُلْطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ"، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا". فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ

(١) البخاري: كتاب: الصلاة / باب: القسمَة وتعليق القنؤ في المسجد، حديث: ٤٢١، ص ٩٣-٩٤ / مسلم: كتاب:

الفضائل / باب: ما سئل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شيئاً قط فقال: لا. وكثرة عطائه، حديث: ٢٣١٤.

(٢) السَّقْب: القرب والمجاورة.

(٣) البخاري: كتاب: الشفعة / باب: عرض الشفعة على صاحبها قبل البيع، حديث: ٢٢٥٨، ص ٤٣٦.

(٤) ابن صَيَّاد: ابن صَيَّاد الدَّجَال: اختلف النَّاس فيه كثيراً، وهو رجلٌ من اليهود أو دخيل فيهم، واسمه (صاف) فيما قيل، وكان عنده شيء من الكهانة أو السَّحَر، وجملته أمره أنه كان فتنة، امتحن الله به عباده المؤمنين؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ثم إنه مات بالمدينة في الأكثر، وقيل إنه فُقد يوم الحرَّة، فلم يجدوه، والله أعلم، لسان العرب.

(٥) الأُطَم: بناء مرتفع كالحصن.

الدُّحُّ<sup>(١)</sup>. فَقَالَ: "اِخْسَأْ"<sup>(٢)</sup> فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ". فَقَالَ عُمَرُ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عَنْقَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ"<sup>(٣)</sup>.

**حوار فعل اتهام:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ: حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ: حَدَّثَنَا هِلَالٌ (ح). وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ: حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، عَنْ هِلَالِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: "أَنْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَزْرَعَ، قَالَ: فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاوُهُ وَاسْتَحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ". فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لَا تَجِدُهُ إِلَّا فُرْشِيًّا، أَوْ أَصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٤)</sup>.

**حوار بيان سبب:** حَدَّثَنَا ابْنُ سَلَامٍ: أَخْبَرَنَا الْفَزَارِيُّ، عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ قَالَ: حَدَّثَنِي ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَأَى شَيْخًا يُهَادِي بَيْنَ ابْنَيْهِ، قَالَ: "مَا بَالُ هَذَا؟" قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ. قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ". وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ<sup>(٥)</sup>.

## ٩- طريقة السؤال والجواب:

هو أسلوب انتهجه الرسول - عليه السلام - في خطابه النبوي، ومن دوافعه:

### - تنبيه المتلقي المخاطب:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ: أَنَّ أَبَا مَرْثَةَ مَوْلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ، عَنْ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الدُّحُّ: الدَّخَانُ، دَخَ: كَلِمَةٌ تَقَالُ لِمَنْ يَرَادُ تَبْكِيَتُهُ وَتَسْكِيَتُهُ.

(٢) اِخْسَأْ: اقْعُدْ ذَلِيلًا، كَلِمَةٌ ذَلٌّ وَاسْتِهَانَةٌ.

(٣) البخاري: كتاب: الجنائز/باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلى عليه؟ وهل يُعرض على الصبي الإسلام؟

حديث: ١٣٥٤، ص ٢٦٦/مسلم: كتاب: الإيمان/باب: ذكر المسيح بن مريم المسيح الدجال، حديث: ١٦٩.

(٤) البخاري: كتاب: الحَرْثِ وَالْمُزَارَعَةِ/باب: الأعرابي والزَّرع وحديث رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي

ذلك، حديث: ٢٣٤٨، ص ٤٥٧.

(٥) البخاري: كتاب: جزاء الصَّيد/باب: مَنْ نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى الْكَعْبَةِ، حديث: ١٨٦٥، ص ٣٦٣/مسلم: كتاب:

النذر/باب: مَنْ نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى الْكَعْبَةِ، حديث: ١٦٤٢.

- وَذَهَبَ وَاحِدٌ. قَالَ: فَوَقَّافًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَذْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّقْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ؛ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ"<sup>(١)</sup>.

- استشارة عقل المتلقي للتفكير:

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: سَمِعَ يَحْيَى بْنَ آدَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: "يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: "لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا"<sup>(٢)</sup>.

- مشاركة الطرف المتلقي الخطاب النبوي؛ فيشعر بفاعليته أثناء الحوار:

حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرَفَاتِ" فَقَالُوا: مَا لَنَا بِذُ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: "فَإِذَا أَتَيْتُمْ إِلَى الْمَجَالِسِ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا". قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: "غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ"<sup>(٣)</sup>.

- استنطاق المتلقي: حَدَّثَنَا مُوسَى: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، قِيلَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ، أَفْلَانُ، أَفْلَانُ؟ حَتَّى سُمِّيَ الْيَهُودِيُّ، فَأُؤْمِتَ

(١) البخاري: كتاب: العلم/ باب: مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، حديث: ٦٦، ص ٢٤/ مسلم: كتاب: السَّلام/ باب: مَنْ أَتَى مَجْلِسًا، فَوَجَدَ فُرْجَةً فَجَلَسَ فِيهَا، وَإِلَّا وَرَاءَهُمْ، حديث: ٢١٧٦.

(٢) البخاري: كتاب: الجهاد والسير/ باب: اسم الفرس والحمار، حديث: ٢٨٥٦، ص ٥٧١/ مسلم: كتاب: الإيمان/ باب: الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قِطْعًا، حديث: ٣٠.

(٣) البخاري: كتاب: المَظَالِمُ/ باب: أَفْنِيَةُ الدَّوَرِ وَالْجُلُوسُ فِيهَا وَالْجُلُوسُ عَلَى الصُّعَدَاتِ، حديث: ٢٤٦٥، ص ٤٨٣/ مسلم: كتاب: اللباس والزينة/ باب: التَّهْيِ عَنْ الْجُلُوسِ فِي الطَّرَفَاتِ، وَإِعْطَاءِ الطَّرِيقِ حَقَّهُ، حديث: ٢١٢١.

برأسها، فأخذ اليهودي فاعترف، فأمر به النبي - صلى الله عليه وسلم - فَرَضَ رَأْسَهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ<sup>(١)</sup>.

- طلب معرفة شيء غير معلوم للسائل من جهة الرسول - عليه السلام:

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَيْنِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا الْحَبْلُ؟"، قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لَزَيْبٍ، إِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: "لا، حُلُوهُ، لِيُصَلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ، إِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ"<sup>(٢)</sup>.

- طلب معرفة شيء غير معلوم للسائل من جهة المتلقي:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَا: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: "إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: "حَجٌّ مَبْرُورٌ"<sup>(٣)</sup>.

- التفسير والتوضيح:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ: أَنَّ أَنَسَ ابْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ: أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: "إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَاسْمَعْ بَكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَاتَجَوَّزْ فِي صَلَاتِي، مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ"<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: الخصومات/ باب: ما يُذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي،

حديث: ٢٤١٣، ص ٤٧١/ مسلم: كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والذيات/ باب: ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحدادات والمتقلات، وقتل الرجل بالمرأة، حديث: ١٦٧٢.

(٢) البخاري: كتاب: التهجد/ باب: ما يُكره من التشديد في العبادة، حديث: ١١٥٠، ص ٢٢٦/ مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/ باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر، بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، حديث: ٧٨٤.

(٣) البخاري: كتاب: الإيمان/ باب: مَنْ قَالَ: إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْعَمَلُ، حديث: ٢٦، ص ١٥/ مسلم: كتاب: الإيمان/ باب: بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، حديث: ٨٣.

(٤) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: مَنْ أَخَفَّ الصَّلَاةَ عِنْدَ بَكَاءِ الصَّبِيِّ، حديث: ٧٠٩، ص ١٤٤/ مسلم: كتاب: الصلاة/ باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، حديث: ٤٧٠.

وَحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَشْعَثُ بْنُ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الْإِلْتِقَاتِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: "هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ"<sup>(١)</sup>.

#### ١٠ - طريقة التقرير والإخبار:

- في إخبار الرسول - عليه السلام - بأحوال الناس يوم القيامة؛ لأخذ العظة والعبرة:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ: حَدَّثَنَا أَبِي: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ"<sup>(٢)</sup>، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ<sup>(٣)</sup> وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ، فَيُدْبِحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ"، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾<sup>(٤)</sup> - وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا - ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

- الإخبار عن الله:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُخَرَّبُ الْكَعْبَةُ ذُو السَّوِيقَتَيْنِ"<sup>(٦)</sup> مِنَ الْحَبَشَةِ"<sup>(٧)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: الالتفات في الصلاة، حديث: ٧٥١، ص ١٥١.

(٢) الأملح: الذي بياضه أكثر من سواده.

(٣) يشربون: يمدون أعناقهم للنظر إلى المنادي.

(٤) مريم: ٣٩.

(٥) البخاري: كتاب: التفسير/ باب: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ مريم: ٣٩، حديث: ٤٧٣٠، ص ٩٤٤/ مسلم: كتاب:

الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، حديث: ٢٨٤٩.

(٦) ذو السَّوِيقَتَيْنِ: أي الذي له ساقان ضعيفتان.

(٧) البخاري: كتاب: الحج/ باب: هدم الكعبة، حديث: ١٥٩٦، ص ٣١٤/ مسلم: كتاب: الفتن وأشرط الساعة/

باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان ذلك الميت؛ من البلاء، حديث:

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُغْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، لَهَا يَوْمٌ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكٌ"<sup>(١)</sup>.

- تقرير أحكام شرعية:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَمْرِو الْأَسْلَمِيِّ قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ وَكَانَ كَثِيرَ الصَّيَامِ، فَقَالَ: "إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ"<sup>(٢)</sup>.

- أسلوب الخبر التقريري:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَلَّى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاولُ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكْعَعْتَ؟<sup>(٣)</sup> قَالَ: "إِنِّي أَرَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاولْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُه لَأَكَلْتُ مِنْهَا مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا"<sup>(٤)</sup>.

١١ - طريقة القص<sup>(٥)</sup>:

وذلك بسرد قصة في الخطاب النبوي؛ للتعلُّم منها، وأخذ العبرة والعظة، ويكون أسلوب السرد عادة مقتضياً ومكثفاً وكافياً لتحقيق غاية الرسول - عليه السلام - من القص.

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزُّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الدُّنْبُ، فَذَهَبَ بَابِنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بَابُنِي، وَقَالَتِ الْآخَرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بَابُنِي،

(١) البخاري: كتاب: فضائل المدينة/ باب: لا يَدْخُلُ الدَّجَالُ الْمَدِينَةَ، حديث: ١٨٧٩، ص ٣٦٦/ مسلم: كتاب:

الحج/ باب: صيانة المدينة من دخول الطعون والدَّجَالِ إليها، حديث: ١٣٧٩.

(٢) البخاري: كتاب: الصَّوْمُ/ باب: الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ وَالْإِفْطَارِ، حديث: ١٩٤٣، ص ٣٧٨/ مسلم: كتاب: الصَّيَامُ/

باب: التَّخْيِيرُ فِي الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ فِي السَّفَرِ، حديث: ١١٢١.

(٣) تكعكت: تهيَّبت ورجعت إلى الخلف.

(٤) البخاري: كتاب: الآذان/ باب: رفع البصر إلى الإمام في الصَّلَاةِ، حديث: ٧٤٨، ص ١٥٠/ مسلم: كتاب:

الكسوف/ باب: ما عرض على النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حديث:

(٥) للتوسع في القصة في الخطاب النبوي، انظر الباب الثالث، الفصل الثالث من الدراسة، ص ٢٠١.



فَتَحَاكَمْنَا إِلَى دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجْنَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَأَخْبَرْتَاهُ، فَقَالَ: انْثُونِي بِالسَّكِينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى"، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسَّكِينِ قَطُّ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدْيَةَ<sup>(١)</sup>.

## ١٢ - طريقة ضرب الأمثال<sup>(٢)</sup>:

يضرب الرسول - عليه السلام - مثلاً؛ ليعلم ويوجه ويرشد، وقد استعمل الرسول - عليه السلام - لفظ التكرار في عبارة "ما بال أقوام؟" في خطابه؛ ليدل بها على أقوام ارتكبوا مخالفة شرعية؛ ولكنه لم يشهر بهم أو يفضح أفعالهم، إنما أراد أن يضرب مثالا لو عظم المسلمون.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ: أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ؟" فَاسْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: "لِيَنْتَهِنَ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَنُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ"<sup>(٣)</sup>.

## ١٣ - طريقة الاقتباس البليغ:

كان الرسول - عليه السلام - يلجأ إلى الاقتباس من القرآن الكريم في خطابه النبوي ممثلاً على ما يقول، ومدعماً خطابه ومؤيداً.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا رَوْحٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ عَفْرِيئًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَى الْبَارِحَةِ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَى الصَّلَاةِ، فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ<sup>(٤)</sup> مِنْ

(١) البخاري: كتاب: الفرائض/ باب: إذا ادّعت المرأة ابناً، حديث: ٦٧٦٩، ص ١٣٤٢/ مسلم: كتاب: الأفضية/

باب: بيان اختلاف المجتهدين، حديث: ١٧٢٠.

(٢) للتوسع في المثل في الخطاب النبوي، انظر الباب الثالث، الفصل الثالث من الدراسة، ص ١٩٤.

(٣) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة، حديث: ٧٥٠، ص ١٥١/ مسلم: كتاب:

الصلاة/ باب: التهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، حديث: ٤٢٨.

(٤) سارية: عمود.

سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ<sup>(١)</sup>: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي

إِلَى مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾<sup>(٢)</sup>، قال: رَوْحٌ، فردّه خاسئاً<sup>(٣)</sup>.

#### ١٤ - طريقة التكرار والتأكيد:

إنَّ أسلوب التكرار للفظ في الخطاب النبويّ نابعٌ من معرفته عليه السَّلام بحاجة النفس الإنسانية إلى التأكيد على عناصر لغويّة محدّدة في السياق المتداول، وذلك بتكرار اللفظ بما يعرف بالتوكيد اللفظي في قوله عليه السَّلام: "ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ"، أو التوكيد المعنوي: "وَأَفْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا" في الخطاب النبويّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُثَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَدَّ، وَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ"، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ". ثَلَاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلَّمَنِي، فَقَالَ: "إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَأَفْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا"<sup>(٤)</sup>.

وسمة التكرار تعمل على ترسيخ التعاليم في نفس المتلقّي المسلم.

#### ١٥ - طريقة القصر والطول:

دقة الرّسول - عليه السَّلام - في دراسة سياق الحال اللّغويّ، تتمثّل في حُسْن صَبِّه الفكرة الموجّهة للمتلقّي في قالب مسبوك ومحبوك، ومقتنّ الحجم قصراً أو طويلاً؛ بما يناسب الموضوع

(١) ص: ٣٥.

(٢) البخاريّ: كتاب: الصَّلَاة/ باب: الأسير أو الغريم يُربط في المسجد، حديث: ٤٦١، ص ١٠٠/ مسلم: كتاب: باب: المساجد ومواضع الصَّلَاة/ باب: لعن الشَّيْطَان في أثناء الصَّلَاة، والتَّعوذ منه، وجواز العمل القليل في الصَّلَاة، حديث: ٥٤١.

(٣) خاسئاً: مطروداً ذليلاً.

(٤) البخاريّ: كتاب: الأذان/ باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصَّلوات كُلِّها، في الحَضَر والسَّفر، وما يُجهر فيها وما يُخافت، حديث: ٧٥٧، ص ١٥٢/ مسلم: كتاب: الصَّلَاة/ باب: وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلّمها قرأ ما تيسر له من غيرها، حديث: ٣٩٧.

وطبيعة المتلقي، وسياقي الزمان والمكان المناسبين في إطار التواصل الاجتماعي والنفسي العام للخطاب. ففي خير الكلام المسبوك يقول أسامة بن منقذ<sup>(١)</sup>: "خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"، ويقول القرطاجني<sup>(٢)</sup>: "فإن الكلام إذا خف واعتدل حسن موقعه من النفس، وإذا طال وثقل اشتدت كراهة النفس له".

على أنه عليه السلام إن أوجز في الخطاب أو قصر لم يكن مخلا للفكرة أو باتراً لها، حدّثنا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ كُرَيْبٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَيْثُ أَقَاضَ مِنْ عَرَفَةَ، مَالَ إِلَى الشَّعْبِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ فَنَوَضًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّي؟ فَقَالَ: "الصَّلَاةُ أَمَامُكَ"<sup>(٣)</sup>.

وإن احتاج موقف التواصل الاجتماعي أو النفسي للطول أطل: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ: حَدَّثَنَا أَفْلَحُ بْنُ حَمِيدٍ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، وَلِيَالِي الْحَجِّ، وَحَرُمُ الْحَجِّ، فَزَلْنَا بِسَرْفٍ، قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: "مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَعَهُ هَدْيٌ، فَأَحَبُّ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فليَفْعَلْ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ فَلَا". قَالَتْ: فَلَاخِذُ بِهَا وَالتَّارِكُ لَهَا مِنْ أَصْحَابِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرَجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَكَانُوا أَهْلَ قُوَّةٍ، وَكَانَ مَعَهُمُ الْهَدْيُ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْعُمْرَةِ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: "مَا يُبْكِيكَ يَا هُنْتَاهُ"<sup>(٤)</sup>؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ قَوْلَكَ لِأَصْحَابِكَ، فَمَنَعْتُ الْعُمْرَةَ، قَالَ: "وَمَا شَأْنُكَ؟" قُلْتُ: لَا أَصَلِّي، قَالَ: "فَلَا يَضِيرُكَ"<sup>(٥)</sup>، إِنَّمَا أَنْتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ، كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَا كَتَبَ عَلَيْهِنَّ، فَوُثِنِي فِي حَجَّتِكَ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَكِيهَا". قَالَتْ: فَخَرَجْنَا فِي حَجَّتِهِ حَتَّى قَدِمْنَا مِئِي، فَطَهَرْتُ، ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ مِئِي، فَأَقْضَيْتُ بِالنَّبِيتِ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي النَّفَرِ الْآخِرِ، حَتَّى نَزَلَ

(١) ابن منقذ، أبو المظفر أسامة بن مرشد الشيرازي (ت ٥٨٤ هـ)، البديع في نقد الشعر، د.ط، (تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ومراجعة إبراهيم مصطفى)، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٦٣.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٦٥.

(٣) البخاري: كتاب: الحج/ باب: النزول بين عرفة وجمع، حديث: ١٦٦٧، ص ٣٢٦/ مسلم: كتاب: الحج/ باب: استحباب إدامة الحاج التلبية، حتى يشرع في رمي جمره العقبة يوم النحر، حديث: ١٢٨٠.

(٤) هنتاه: كلمة تطلق للكناية عن شيء لا يذكر باسمه.

(٥) يضيرك: يضررك.

المُحَصَّب<sup>(١)</sup> وَنَزَلْنَا مَعَهُ، فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: "اُخْرُجْ بِأَخِيكَ مِنَ الْحَرَمِ، فَلْتَهْلُ بِعُمْرَةٍ، ثُمَّ افْرُغَا، ثُمَّ انْتِيَا هَاهُنَا، فَإِنِّي أَنْظِرُكُمَا حَتَّى تَأْتِيَانِي". قَالَتْ: فَخَرَجْنَا، حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ، وَفَرَعْتُ مِنَ الطَّوَافِ ثُمَّ جِئْتُهُ بِسَحَر<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ: "هَلْ فَرَعْتُم؟" فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَذِنَ بِالرَّحِيلِ فِي أَصْحَابِهِ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ، فَمَرَّ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَدِينَةِ<sup>(٣)</sup>.

## ١٦ - طريقة اللفظ والحركة<sup>(٤)</sup>:

إنَّ التمثيل على "لغة الحركة" في الخطاب النبويّ لبيان عمق اندغام سيمياء جسد النبيّ الكريم- عليه السّلام- بلفظه في البيان اللّغويّ في مشهد الخطاب المعبر عن الحال الممثلة لإشارات التّواصل النّابعة من شخص الرّسول - عليه السّلام - أو المتلقّي المخاطب في السّياق اللّغويّ.

فالوضع الأصيل لجسد النبيّ النّموذج يجعل منه جسداً خطابياً أو تعبيرياً متكاملاً وفاعلاً ومؤثراً، بما يصدر عنه من إيماءات بالوجه أو الرّأس أو الأيدي أو الأرجل... إلخ، مراعيّاً عليه السّلام مستويات اللفظ اللّسانيّ في التّركيب النّحويّ والصّرفيّ والمعجميّ والصّوتيّ.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَثْبَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خِذْرِهِنَّ<sup>(٥)</sup>.

(١) المُحَصَّب: موضع رمي الجمار بمنى.

(٢) السّحَر: آخر الليل، قبيل الفجر.

(٣) البخاري: كتاب: الحج/ باب: قول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، البقرة: ١٩٧، حديث: ١٥٦٠، ص ٣٠٧/ مسلم: كتاب: الحج/ باب: بيان وجوه الإحرام،

وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، حديث: ١٢١١.

(٤) للتوسع انظر عيد، عريب (٢٠١٠)، علم لغة الحركة بين النّظرية والتّطبيق، ط١، عمّان: دار الثقافة،

(الفصل الثالث) شواهد "لغة الحركة في الحديث النبويّ ودلالاتها"، ص ١٣٨.

(٥) البخاري: كتاب: المناقب/ باب: صفة النبيّ، حديث: ٣٥٦٢، ص ٧٠٧/ مسلم: كتاب: الفضائل/ باب: كثرة

حياته صلى الله عليه وسلم، حديث: ٢٣٢٠.

وحدَّثنا موسى بن إسماعيل قال: حدَّثنا وهيبُ قال: حدَّثنا أيوبُ، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنَّ النَّبيَّ - صَلَّى الله عليه وسلَّم - سُئِلَ في حَجَّتِهِ فقال: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أُرْمِيَ؟ فأومأَ بيده، قال: "لا حرجَ" قال: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ، فأومأَ بيده: "ولا حرجَ"<sup>(١)</sup>.

فللرَّسول - عليه السَّلام - عينٌ تنفذ إلى القلوب؛ فتشعر بما يحسُّ به كلُّ قلب، وله أذن تسمع ما تسرُّه هذه القلوب، فكان لا يسأل أحداً سؤالاً إلا عرف من فوره في جواب المسؤول ما يرمي إليه من نصح أو إنكار أو قبول أو كراهية أو غير ذلك؛ فهذه اللُّغة الحركيَّة (غير اللسانيَّة) التي يمارسها النَّبيُّ - عليه السَّلام - والصَّحابة - رضوان الله عليهم - دليل على تناغم سياق الخطاب، وتتابعه بين لفظ وحركة يتكاملان لإتمام مشهد التَّواصل الاجتماعيِّ والنفسيِّ في الوقت نفسه<sup>(٢)</sup>.

وعليه فطرق الخطاب النَّبويُّ المتباينة تُظهر بجلاء مهارات النَّبيِّ - عليه السَّلام - اللُّغويَّة والإرساليَّة، وكفايته التَّداوليَّة، أو ما يسمِّيهِ البعض "الكفاية التَّواصلية" أو "القدرة التَّواصلية" ضمن المعايير اللُّغويَّة الاجتماعيَّة والنفسيَّة<sup>(٣)</sup>؛ ممَّا يؤكِّد أنَّ كفاية الرَّسول - عليه السَّلام - اللُّغويَّة ملكةٌ فطريَّة ومُكنةٌ لسانیَّة، دفعت إلى صياغة خطابه النَّبويِّ، وتحقيق كفايته التَّداوليَّة بأساليبه المختلفة بين المسلمين الأوَّلين والآخرين.

(١) البخاري: كتاب: العلم/ باب: مَنْ أَجَابَ الْفَتْنَةَ بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ، حديث: ٨٤، ص ٢٨ / مسلم: كتاب: باب:

الحج/ باب: من حلق قبل التَّحَرُّ أو نحر قبل الرَّمي، حديث: ١٣٠٦.

(٢) انظر التَّفصِيل الباب الثاني، الفصل الأوَّل، تأثير لغة الخطاب النَّبويِّ بشقيها: اللسانيِّ وغير اللسانيِّ في المتلقِّي، ص ١٣٧.

(٣) يذكر الشَّهريُّ عن "ديك" أنَّ هذه الكفاية التَّداولية في أنساق متعدِّدة هي: الملكة اللُّغويَّة والملكة المنطقيَّة والملكة المعرفيَّة والملكة الإدراكيَّة والملكة الاجتماعيَّة، انظر الشَّهريُّ، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغويَّة وتداوليَّة، ص ٥٧.

## الباب الثاني

### عناصر الخطاب النبويّ

#### الفصل الأول:

#### عناصر الخطاب النبويّ الرئيسيّة

الخطاب النبويّ نشاطٌ لغويّ كان الرّسول — عليه السّلام — يمارسه في ظروف معيّنة ضمن إطارين: زمنيّ ومكانيّ محدّدين في سياق المجتمع الإسلاميّ؛ لتحقيق أغراضه النبويّة العامّة والخاصّة<sup>(١)</sup>.

والحدث اللّغويّ في الخطاب النبويّ وسيلة لتوصيل أفكار الرّسول المنشئ — عليه السّلام — ورغباته ومعتقداته ورسائله إلى المتلقّي.

وسيتناول هذا الباب بيان العناصر الرئيسيّة في الخطاب النبويّ مفصّلاً كالآتي<sup>(٢)</sup>:

- **المنشئ:** الرّسول — عليه السّلام — الباث رسائله اللّسانية وغير اللّسانية.
- **المتلقّي:** الذي يتلقّى رسالة الرّسول — عليه السّلام — اللّغويّة سواء أكان مخاطباً أم قارئاً خطابه النبويّ أم سامعاً له.
- **الرّسالة:** هي التي تحقّق فعل التّواصل النبويّ بشقيه: اللّسانيّ وغير اللّسانيّ.
- **التّأثير:** هدف الاتّصال، ويتمّ بتغيير معلومات المستقبل أو سلوكه أو اتّجاهاته بما يتّفق وأهداف المنشئ.
- **الاستجابة:** مدى قبول الرّسالة أو رفضها، وقد تكون إيجابيّة أو سلبية أو سريعة أو بطيئة.

وينطوي تحت هذه العناصر الرئيسيّة الحديث في العناصر الفرعيّة المتعلّقة بالأوّل<sup>(٣)</sup>،

وهي:

- **المرجع:** هو ما يتمّ الحديث عنه من موضوعات متباينة في فعل التّواصل.

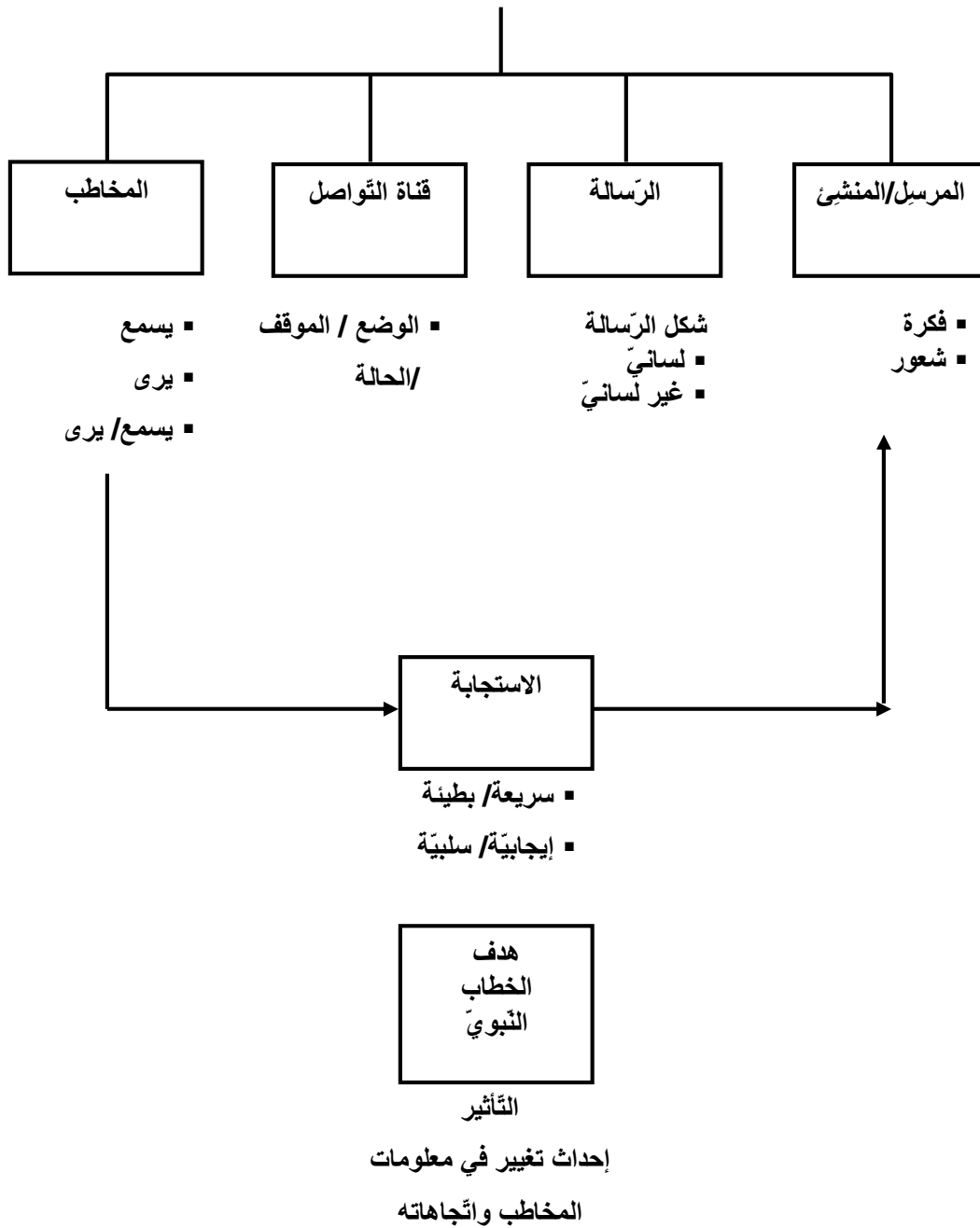
(١) انظر دوافع الخطاب النبويّ العامّة والخاصّة، الباب الأوّل، الفصل الثاني من الدّراسة، ص ٢٦-٣٥.

(٢) انظر خطاطة رقم (٥)، ص ٩٥.

(٣) هذا التقسيم إلى عناصر رئيسيّة وفرعيّة للخطاب من الباحثة مستعينة بأوكان، **اللغة والخطاب**، ص ٤٨.

- **السّنن:** هو نسق القواعد اللّغويّة المعروفة والمشاركة بين الرّسول — عليه السّلام — والمتلقّي، ضمن معايير اجتماعيّة ونفسيّة ودينيّة... إلخ حتى تفهم الرّسالة.
- **القناة:** الموقف أو الحالة أو الوضع الذي يسمح بالتّواصل بين الرّسول — عليه السّلام — والمتلقّي.

### نموذج عناصر الخطاب النّبويّ



## خطاطة رقم (٥)

### المبحث الأول: العنصر الأول

#### منشئ الخطاب النبوي (الرّسول عليه السّلام)

يجب التأكيد قبل السير في ركاب عناصر الخطاب النبوي أنّ هدف الحديث هنا في شخص الرّسول — عليه السّلام — ليس مطلقاً؛ بل هو مقيدٌ بشخصه اللغويّ مبدع الخطاب النبويّ، ومحددٌ بذكر ما يخدم هذه النّاحية من صفاته وثقافته وبيئته المكوّنة لغته والمبلورة خطاباً النبويّ. فالرّسول — عليه السّلام — في خطابه المنشأ؛ يُدرّس في علاقته بنصّ الخطاب والمتلقّي معاً، ولا يُدرّس منفصلاً عن أيّ من هذين الرّكنين في فعل التّواصل، وإذا كانت دورة الخطاب النبويّ ترتكز على الذات المرسلّة، فالرّسول — عليه السّلام — هو المحور في هذا العمل؛ لأنّ معرفة حقيقة الخطاب النبويّ وأهميّته وأبعاده ومقاصده لا تتأتّى إلا من معرفة شخص الرّسول — عليه السّلام — منشئ الخطاب، والعوامل المؤثّرة فيه، فهو الذي يعطي الخطاب النبويّ روحه وحياته<sup>(١)</sup>؛ بما يزخر به من أفكار وصور وأحداث وقائع متنوّعة تبتّ قوتها في المتلقّين، وتحديث فعلها فيهم.

والرّسول — عليه السّلام — يستطيع حمّل المتلقّي على مشاركته الحدث اللغويّ بطريقة مقصودة أو غير مقصودة في الخطاب وتفاعله معه؛ لمراعاته عليه السّلام في مسار التّواصل المستويات الاجتماعيّة والنفسية والثقافية للمتلقّي الذي يُعدّ متممًا المشهد اللغويّ ومستقبلاً له، فضلاً عن أنّ تفاعله عليه السّلام مع نصّ الخطاب النبويّ في إطار سياق لغويّ ما هو الذي يُعطي الخطابَ معناه الحقيقيّ والمؤثّر.

ولتوضيح هذا العنصر من عناصر الخطاب النبويّ في ضوء اللسانيّات الاجتماعيّة، لزم تقسيم أهمّ العوامل المتعلّقة بالمنشئ عليه السّلام إلى عوامل لغويّة داخلية، و غير لغويّة خارجية.

#### أولاً: العوامل اللّغويّة الدّاخلية (في المتن):

ويقصد بها بيانُ لغة الرّسول — عليه السّلام — من قِبَل طبيعة البناء والصّيغة، وتفاعلها مع العنصرين الآخرين: المتلقّي ومنشئ الخطاب النبويّ.

(١) من منطلق أنّ اللغة كائنٌ حيّ ينمو ويتطوّر، ويحيا ويموت.



فقد حبا اللهُ رسوله - عليه السّلام - فصاحة الكليم، وما كانت هذه المنحة إلا توفيقاً من الله، وتوفيقاً عليه - على حدّ تعبير الرّافعي<sup>(١)</sup> - ولا عجب فالرسول - عليه السّلام - من قریش، قومٌ بلغوا في البيان والفصاحة شأواً عظيماً، يقول ابن جني<sup>(٢)</sup>: (حدّثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب، قال: "ارتفعت قریش في الفصاحة عن عنعنّة تميم<sup>(٣)</sup> وكشكشة ربيعة<sup>(٤)</sup>، وكسكسة هوزان<sup>(٥)</sup>، وتضجّع قيس<sup>(٦)</sup>، وعجرفيّة ضبّة<sup>(٧)</sup>، وتلتلة بهراء<sup>(٨)</sup>). وتجتمع صفة الفصاحة النّبويّة في ثلاث<sup>(٩)</sup>: كلام الرّسول - عليه السّلام - وهيئة النّطق بالكلام، وموضوع الكلام. وكيف لا يكون ذلك لرسول الله - عليه السّلام - وقد أوتي جوامع وسلّم نطقه من العيوب<sup>(١٠)</sup>، وقد كوّنّه العليم الحكيم خيراً تكوين.

ومتلقّي خطابه عليه السّلام بلفظه الفصيح لا يحتاج إلى تفسير، فهو يفصح عن معانيه، كما أنّه ليس من كلام العامّة، وهذه من سمات فصاحة اللفظ والمعنى كما بيّنها ابن وهب الكاتب<sup>(١١)</sup>:

(١) انظر إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، ص ٢٢٩.

(٢) الخصائص، ١٣/٢.

(٣) العننّة: لغة لتميم، إبدال العين مكان الهمزة.

(٤) الكشكشة: لغة لربيعة، وفي الصّحاح لبني أسد يجعلون الشين مكان الكاف، وذلك في المؤنث خاصة، فيقولون: عليش وميش وبش، وينشدون: **فَعِينَا شَ عَيْنَاهَا وَجِيْدُ شَ جِيْدَهَا وَلَكِنْ عَظَمَ السَّاقُ مِثْلَ رَقِيْقٍ، وَأَنشَدَ أَيْضًا: تَضْحَكُ مِنِّي أَن رَأَيْتِي أَحْتَرِشُ وَلَوْ حَرَشْتَ لَكَشَقْتُ عَنْ حَرَشٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزِيدُ الشَّيْنَ بَعْدَ الْكَافِ، فَيَقُولُ: عَلِيْكَشُ وَالْيَكِشُ وَبِكِشُ وَمِئْكَشُ، وَذَلِكَ فِي الْوَقْفِ خَاصَّةً.**

(٥) الكسكسة: لغة من لغات العرب تقارب الكشكشة، وفي حديث معاوية ثيأسروا عن كسكسة بكر، يعني إبدالهم السين من كاف الخطاب، تقول: أبوس وأمس، أي أبوك وأمك، وقيل: هو خاصٌ بمخاطبة المؤنث، ومنهم من يدغ الكاف بحالها ويزيد بعدها شيئاً في الوقف: فيقول: مررت عليكس؛ أي عليك.

(٦) تضجع قيس: الإضجاع في باب الحركات مثل الإمالة والخفض.

(٧) عجرفيّة ضبّة: قال ابن سيده: عَجْرَفِيَّةٌ ضَبَّةٌ أَرَاهَا تَقْعُرُهُمْ فِي الْكَلَامِ.

(٨) التّلتلة: كسر حرف المضارعة، مثل: يشرب ويشرب (والشائع فتح حرف المضارعة).

(٩) انظر العقاد، عبّاس محمود (١٩٤٣)، عبقرية محمد، ط ٣، القاهرة: المكتبة التجاريّة الكبرى، ص ٣٧.

(١٠) يقصد جوامع والكلم، بيانه الباب الثاني، الفصل الأوّل من الدّراسة، ص ١٥٠.

(١١) للتوسّع في سلامة نطقه عليه السّلام من عيوب الكلام كاللثغة والفأفة... إلخ، انظر حجازي، أحمد عارف

(٢٠٠٦)، دراسات لسانيّة في الحديث النّبوي، ط ١، ألمينا: دار فرحة، ص ١١ وما بعدها.

(١٢) البرهان في وجوه البيان، ص ٢٠٦.

"فأفصح الكلام ما أفصح عن معانيه، ولم يحوج السامع إلى تفسير له، بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونُ كَلَامًا ساقطًا، ولا بلفظ العامة مشبَّهًا".

ثم إنَّه عليه السَّلام جمع إلى سمة فصاحة الكلام البلاغة، كما يعرفها العسكري<sup>(١)</sup>: "يسمى الكلام فصيحًا بليغًا، إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيّد السبك، غير مستكره فجّ، ولا متكلف وخم"، و تنضاف إلى هذه التّعوت صفتا الفخامة وشدة الجزالة، وإذا كانت صفة البليغ عند ابن رشيّق<sup>(٢)</sup> في قوله: "البليغ من يجتني من الألفاظ نوّارها، ومن المعاني ثمارها"؛ فإنّ البليغ هو الرّسول - عليه السَّلام - يتخيّر لألفاظه في خطابه النّبويّ ما صفا رقة وألقا ورونقا، يمتّع متلقّيه - مخاطبًا أو سامعًا - فألفاظه عليها نورٌ يعلو نُوار ما أتى به قومه، يُرْكَب فيها معاني توتّي ثمارها مذاقا طيبًا، وقد اصطبغت بروح صاحبها، فأخذت سحنته اللّغويّة الخاصّة، ورمزت لشخصه اللّغويّ والأسلوبيّ المميّز الذي يعلن أنّ الخطاب لمنتجه عليه السَّلام أوّلا، وأنّ الخطاب البليغ هو الخطاب النّبويّ ثانيًا.

فصاحته عليه السَّلام فطرة لا علم<sup>(٣)</sup>، وثقافته بعناية إلهيّة، لم يقرأ تاريخ أقوام غابرة أو سياسة دول زائلة، وإنّ جمّع خطابه النّبويّ أحاديث عالم نفس واجتماع وأدب وسياسة وتاريخ. ومع ما سبق فقد أثّر عنه عليه السَّلام أنّه كان قليل الكلام، كمعشر الأنبياء "روى الأصمعيّ وابن الأعرابيّ عن رجالهما - أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلّم قال: "إنّا معشر الأنبياء بُكاء"<sup>(٤)</sup>، فقال ناس: البُكاء: القلّة، وأصل ذلك من اللّبن، فقد جعل صفة الأنبياء قلّة الكلام، ولم يجعله من إثثار الصّمت، ومن التحصيل، وقلّة الفضول<sup>(٥)</sup>."

وهذا يدلّ على أنّ كلام الرّسول - عليه السَّلام - مقنّن ومقيّد، وهو حاجة يستدعيها السّياق اللّغويّ الاجتماعيّ والنّفسيّ في وقتها ومكانها المناسبين، وضرورة لغويّة يتطلّبها فعل التّواصل، ولا يتحقّق إلا بها.

(١) الصّناعتين، ص ١٧.

(٢) العمدة في محاسن الشّعْر وآدابه، ٢١٨/١.

(٣) هذا القول للرّافعيّ، انظر الرّافعيّ، مصطفى صادق (١٩٧٤)، تاريخ آداب العرب، ط ٢، بيروت: دار الكتاب العربيّ، ٣٢١/٢.

(٤) بُكاء أو يكاء (بكسر الباء): مادة (بُكَأ)، يقول ابن منظور: "وفي الحديث: إنّنا معشر النّبيّاء بكاءً - بكسر الباء- وفي رواية: نحن معاشر الأنبياء فينا بُكاءٌ وبُكاءٌ: أي قلّة الكلام، إلا فيما نحتاج إليه، وبُكَوتُ النّاقة: إذا قلّ لبنها".

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢٧/٤، وفي رواية أخرى في المصدر نفسه، ١١٤/١.

ثمَّ إِنَّ الرَّسُولَ - عليه السَّلامُ - لا يَأْلُو جَهْدًا - مع فصاحة لغته وبيانها - في أن يكون مبدعًا ومجددًا في لغته، وطرق تشكيلها وصوغها؛ ليكون مؤثّر الخطاب، يقول القرطاجني في سمة الخطاب الإبداعي<sup>(١)</sup>: "فأما مَنْ لا يستجدّ، ولا يتأنّق فيه، فليس يصدر عن مطبوع برويّة، وأعني بالاستجداد الجهد في ألا يواطئ مَنْ قبله في مجموع عبارة أو جملة معنى، وبالتأنّق طلب الغاية القصوى من الإبداع في وضع بعض أجزاء العبارات والمعاني في بعض، وتحسين هيئات الكلام في جميع ذلك، فإنّ العبارة إذا استجدّت جادَّتْها وتأنّق الناظم في تحسين الهيئة التّأليفية فيها، وقعت من النفوس أحسن موقع، كذلك الحال في المعاني، فتأمل ذلك".

ولا تجد فيمن كتب في فصاحة كَلِمِ الرَّسُولِ - عليه السَّلامُ - وبلاغة نظمه أفضل ممّا ذكر الجاحظ في بيانه، من دقة الوصف والإحاطة بطبيعة لغته عليه السَّلام<sup>(٢)</sup>: "وأنا ذاكرٌ بعد هذا فنّا آخر من كلامه صلى الله عليه وسلّم، وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه<sup>(٣)</sup>، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التّكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمّد: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾"<sup>(٤)</sup>، فكيف وقد عاب التّشديق<sup>(٥)</sup>، وجانب أصحاب التّقييب<sup>(٦)</sup>، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجرَ الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السّوقي، فلم ينطق إلا عن ميراثِ حكمة، ولم يتكلّم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد، ويُسرّ بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبّة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حُسْن الإفهام، وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السّامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٢١٥-٢١٦.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٦/٢-١٨.

(٣) يقصد جوامع والكلم، بيانه الباب الثاني، الفصل الأوّل من الدّراسة، ص ١٥٠.

(٤) ص: ٨٦.

(٥) المُتَشَدِّقُونَ: هم المتوسّعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، وقيل: المُتَشَدِّقُ المُسْتَهْزِئُ بالناس يُلوي شِدْقَه بهم وعليهم، وتَشَدَّقَ في كلامه: فتح فمه واتسع. وقيل: المُتَشَدِّقُ الذي يُلوي شِدْقَه للتّعصُّح، ورجل أَشَدَّقَ إذا كان مُنْقَوِّهاً ذا بيان، ويقال مُتَشَدِّقٌ في منطقهِ إذا كان يتوسّع فيه ويَقْفِيهِق، والأشْدَاقُ جوانب الفم، وإنّما يكون ذلك لِرُحْبِ شِدْقِيهِ، والعرب تَمْتَدِّحُ بذلك، ورجل أَشَدَّقَ: بيّن الشّدق.

(٦) التّقييب كالنّقيير: وهو أن يتكلّم الفرد بأقصى قعر فمه.

ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ<sup>(١)</sup> الخطاب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج<sup>(٢)</sup> إلا بالحق<sup>(٣)</sup>، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز<sup>(٤)</sup>، ولا يُبطئ ولا يعجل، ولا يُسهب ولا يحصر<sup>(٥)</sup>، ثم لا يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى<sup>(٦)</sup> من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً".

والرسول - عليه السلام - قد جمع إلى جانب امتلاكه ناصية اللغة ونصاعة البيان حكمة النبوة.

### ثانياً: العوامل غير اللغوية الخارجية<sup>(٧)</sup>:

هي عوامل لا تتعلق ببناء لغة الرسول - عليه السلام - في تركيبها وصياغتها وأسلوبها من الداخل<sup>(٨)</sup>، إنما هي عوامل ترتبط بشخص المنشئ عليه السلام، وتفاعله مع المحيط الخارجي، وأثر ذلك في خطابه النبوي ومتلقيه، بالنظر إلى مرجع الخطاب النبوي الخارجي المقامي المحكوم بسياق المجتمع الإسلامي وثقافته، ويتجلى في شبكة العلاقات القائمة (بالقوة أو بالفعل) بين أطراف فعل التواصل، ويُعرف هذا بـ (المستوى المرجعي للخطاب)<sup>(٩)</sup>، وهو عند العالم اللساني الاجتماعي "فيرث" (المرجع) أو (الخارج)، وهو عامل غير لغوي، تحيل إليه اللغة في الواقع،

(١) يبذ: بذ القوم يبذهم بذاً: سبقهم وغلبهم، وكلّ غالب بأذ، والعرب تقول: بذ فلان فلانا يبذّه بذاً، إذا ما علاه وفاقه.

(٢) الفلج (الفاء بالفتح وتسكين اللام أو فتحها): الفوز والظفر.

(٣) الهمز: العيب في الغيبة، اللمز: العيب في الحضرة.

(٤) الحصر: عي في الكلام.

(٥) الفحوى: المعنى.

(٦) تقتضي الإشارة إلى أن العوامل غير اللغوية الخارجية المتناولة في هذا الباب متعلقة بالمنشئ عليه السلام، وما سيذكر في العوامل الخارجية المؤثرة في الخطاب النبوي في الفصل الثاني من الباب الثاني هي عوامل تبين تأثيرها في نص الخطاب النبوي خاصة، دون إغفال لتأثير هذه العوامل في المنشئ والمتلقي كذلك؛ لتفاعل هذه العناصر الثلاثة معاً في سياقها اللغوي الاجتماعي والنفسي.

(٧) كما سبق الحديث في العوامل اللغوية الداخلية.

(٨) انظر الحميري، الخطاب والنص "المفهوم والعلامة والسلطة"، ص ١٧٥.

فعلاقة اللغة بالخارج هي علاقة إحالة وإشارة، وليست علاقة دلالة<sup>(١)</sup>، ومن هذه المتغيرات غير اللغوية الاجتماعية مستوى طبقة الرسول - عليه السلام - الاجتماعية في انتمائه إلى قبيلة قريش ذات السيادة والمكانة المميّزة بين قبائل العرب في مختلف المستويات الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية واللغوية، ومركزه عليه السلام الاجتماعي والديني بين من عرفه من الناس، وهذا ما يُعرف عند اللسانيين الاجتماعيين بـ (التشكيل الاجتماعي)<sup>(٢)</sup>، منضاقاً إلى ما ذكر صفاته عليه السلام الخلقية والخلقية؛ وكلّ ذلك له أثرٌ لا يُحيد في المتلقي وتفاعله مع الرسول - عليه السلام - ثم تأثره به، وبخطابه النبوي، وقد ذكر ابن رشيّق عدداً من الشّمائل التي تساعد المبدع على إحداث عنصر التأثير في متلقيه، وهي ممّا ينطبق على الرسول - عليه السلام - اللغوي<sup>(٣)</sup>: "من حكم الشاعر أن يكون حلو الشّمائل، حسن الأخلاق، طلق الوجه، بعيد الغور، مأمون الجانب، سهل الناحية، وطيب الأكناف، فإنّ ذلك ممّا يحبّه إلى الناس، ويزيّنه في عيونهم، ويقربّه من قلوبهم، وليكن مع ذلك شريف النفس، لطيف الحسّ، غروب الهمّة، نظيف البزّة، أنفاً؛ لتهابه العامّة ويدخل في جملة الخاصّة، فلا تمجّه أبصارهم، سمح اليدين".

ومن فضائله عليه السلام أنّه كان دمث الخلق، يتفقّد أصحابه، ويبداً من لقيه بالسلام، ويتجنّب الإساءة، ورحيماً، وناكراً لذاته، ومتواضعاً، يقول الجاحظ في تواضعه عليه السلام بين الناس<sup>(٤)</sup>: "وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأكل على الأرض، ويجلس على الأرض، ويلبس العباء، ويجالس المساكين، ويمشي في الأسواق، ويتوسّد يده، ويُقصّ من نفسه<sup>(٥)</sup>، ويلطّع أصابعه، ولا يأكل متكئاً، ولم يُرَ قطّ ضاحكاً ملء فيه"، وليس الموضع محلّ استقصاء شمائل النبوة؛ فلا أدلّ عليها، وأجمع لها خيراً من قوله تعالى<sup>(٦)</sup>: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

(١) انظر الشّاوش، محمّد (٢٠٠١)، أصول تحليل الخطاب في النّظرية النّحوية العربيّة، تأسيس "نحو النّص"، ط١، تونس: المؤسّسة العربيّة للتوزيع، ٩٥٥/١.

(٢) انظر الموسى، حصاد القرن (المنجزات العلميّة والإنسانيّة في القرن العشرين)، ص ٤٦.

(٣) ابن رشيّق، العمدة في محاسن الشّعْر وآدابه، ١٧١/١.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ٣٠/٢.

(٥) يقصّ من نفسه: يقال أقصه الحاكم يقصّه إذا مكّنه أخذ القصاص، ولعلّ المعنى هنا يحاسب نفسه، والله أعلم.

(٦) القلم: ٤.

ولا شك أنّ الرّبط بين صفات الشّخص ولغته التي تصدر عنه، بوصفها وسيلته في التّواصل وأداة الفكر لديه تعطي صورة عن منتجها في قوّتها وضعفها وموضوعاتها وطرائق سبكها، كما تكشف عن العالم المحيط به، وهذا موضع اهتمام علماء النّفس اليوم<sup>(١)</sup>.

وقد ربط الجرجاني<sup>(٢)</sup> بين سلامة طبع المبدع وخُلقه ولغته: "وإنّما ذلك بحسب اختلاف الطّبائع وتركيب الخلق، فإنّ سلامة اللفظ تتبع سلامة الطّبع، ودمائة الكلام بقدر دماثة الخُلق وتري الجافي الجلف منهم كزّ الألفاظ، معقّد الكلام، وعُرّ الخطاب"، والقول هنا: إنّ كان للخلق شأنٌ في لغة الفرد، ففي تأثير دماثة الخُلق في الكلام شأن آخر؛ فما القول في لغة الجاحظ المميّزة مع قبح في وجهه؟!

ومن العوامل غير اللّغويّة الخارجيّة في الخطاب النّبويّ عاملٌ توجيه دينيّ من الله إلى متلقّي خطاب رسول الله - عليه السّلام - إذ نهى الله - عزّ وجلّ - النّاس أن يخاطبوا الرّسول - عليه السّلام - باسمه كما كانت سائر الأمم تفعل مع أنبيائها، إنّما ندبهم إلى تكنيته بالنّبوة والرّسالة، وهذا من فضل دلائل النّبوة على الرّسول - عليه السّلام، يقول الأصبهاني<sup>(٣)</sup>: "ومن فضائله أن ربّنا - عزّ وجلّ - نهى النّاس أن يخاطبوا رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - باسمه، وأخبر عن سائر الأمم أنّهم كانوا يخاطبون أنبياءهم ورسولهم بأسمائهم كقولهم: ﴿يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا هُمْ إِلَهَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وندبهم الله تعالى إلى تكنيته بالنّبوة والرّسالة ترفيعاً لمنزلته وتشريعاً لمرتبته، وقال<sup>(٥)</sup>: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ يَنْتَكُمُ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾".

(١) لقد قام "سانفورد" - عالم نفس - بدراسة واسعة في العلاقة بين سلوك الكلام والشّخصيّة التي يصدر عنها الكلام، نشرها عام ١٩٤٢م، انظر غنيم، اللّغة والفكر عند الطّفل، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢، عدد (١)، ص ٩٧.  
(٢) الجرجاني، أبو الحسن، علي بن عبد العزيز بن الحسن (٣٩٢ هـ)، الوساطة بين المتنبّي وخصومه، ط ٢، (تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاويّ وشرحهما)، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٩٥١، ص ١٨.

(٣) دلائل النّبوة، ص ٤٥.

(٤) الأعراف: ١٣٨.

(٥) النّور: ٦٣.

وكيف لا يتأدّب الصّحابة مع الرّسول - عليه السّلام - في خطابهم إياه، وقد تفضّل الله على رسوله - عليه السّلام - أن كُنِيَ عنه بالنبوة والرّسالة؛ تبيحاً وإجلالاً قدّر نبيّه، حين خاطبه في كتابه الكريم أو أخبر عنه، كقوله تعالى<sup>(١)</sup>: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾، في حين خاطب غيره من الأنبياء وقومهم وأخبر عنهم بأسمائهم<sup>(٢)</sup>، في مثل قوله تعالى<sup>(٣)</sup>: ﴿يَكَادُمْ أَسْكَنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، وقوله تعالى<sup>(٤)</sup>: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾.

فبهذا الإرشاد الرّبانيّ للعباد كان أدب الصّحابة في خطاب الرّسول - عليه السّلام - فإذا صدر منه عليه السّلام فعلٌ لسانی خفّت الأصوات وأنصتت الأذان، وامتلأت القلوب بالعبرة وسموّ الموعظة الحسنة، وإذا شوهد منه فعلٌ غيرٌ لسانی في سياق تواصله اللّغويّ الاجتماعيّ والنّفسيّ؛ انتبهوا وراقبوا ثمّ حاكوا ما رأوا وتناقلوه؛ وهذا يُظهر تأثير سلطة الله على عباده في قرآنه عاملاً دينياً خارجياً، من قبل أن تأثیر الخطاب النّبويّ في المتلقّي غير منبثق عن منشيّ الخطاب عليه السّلام، ومن نصّه النّبويّ بشكل واضح، بيد أن هذا الإرشاد الخاصّ لمخاطب الرّسول - عليه السّلام - ينسحب على أيّ متلقٍّ يذكر خطابه عليه السّلام محفوظاً أو منقولاً عنه؛ من باب احترام شخص منشيّ الخطاب النّبويّ عليه السّلام، ثمّ إنّ ثمة دافعاً نفسياً خارجياً آخر يدفع إلى التّأثر بالرّسول - عليه السّلام - وخطابه النّبويّ هو شعور المتلقّي أنّه هو الغاية في الخطاب النّبويّ من وجهتين: أنّ دافع الرّسول - عليه السّلام - في إنتاج النصّ النّبويّ هو إرادة الخير للمتلقّين ودعوّهم للحقّ من وجهة، ثمّ إنّ عليه السّلام أقدر النّاس على تفحص ظاهر النّاس وباطنهم، ثمّ الولوج بلبغته النّبويّة إليهم من وجهة ثانية، ولا أدقّ في التّعبير عن هذا الفعل النّبويّ من قول ابن رشيّق - وإنّ لم يكن قيل في الرّسول - عليه السّلام - (٥): "ولكن غايته (٦) معرفة أغراض المخاطب كائنًا من كان؛ ليدخل إليه من بابه، ويدخله من ثيابه".

(١) الأحزاب: ٤٥.

(٢) انظر الأصبهانيّ، دلائل النّبوة، أدب الله في خطاب الرّسول - عليه السّلام، ص ٤١.

(٣) البقرة: ٣٥.

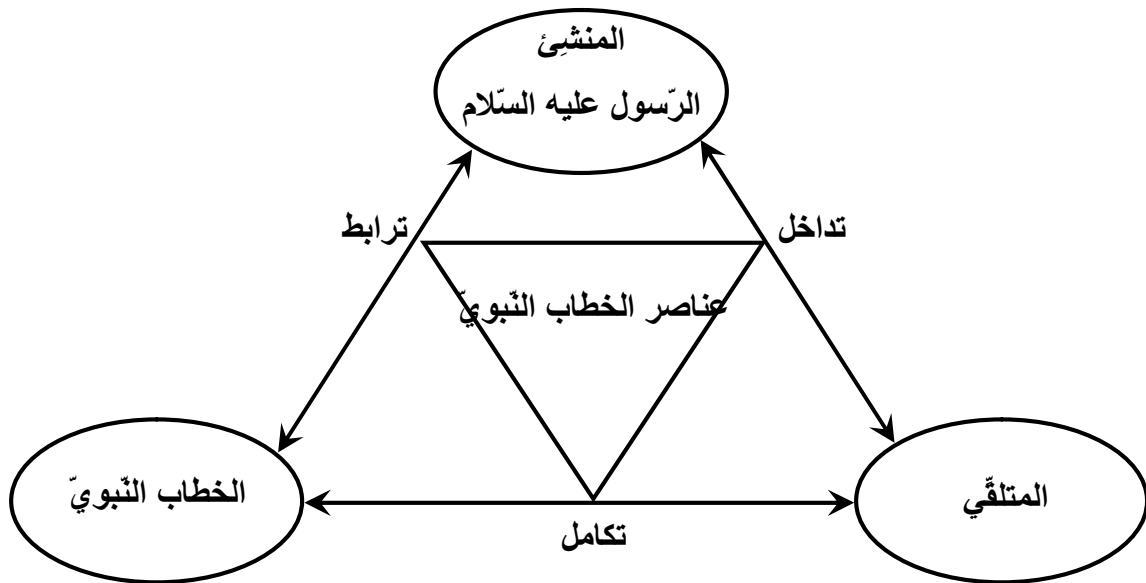
(٤) القصص: ١٥.

(٥) ابن رشيّق، العمدّة في محاسن الشّعور وآدابه، ١/ ١٧٣.

(٦) يقصد المبدع.

ومن العوامل غير اللغوية الخارجية تأثير السياق اللغوي الاجتماعي والنفسي في المنشئ - عليه السلام - نفسه ولغته؛ فهو قادرٌ على التصرف بلغة الخطاب النبوي في جميع المناسبات والمواقف والأحوال التي مرّ فيها، وهذه سمة من سمات المبدع، يقول ابن رشيق<sup>(١)</sup>: "فأول ما يحتاج إليه الشاعر - بعد الجد الذي هو الغاية، وفيه وحده الكفاية وحسن التأني والسياسة وعلم مقاصد القول".

وكما ظهر ممّا سبق أنّ هذه العوامل اللغوية الداخلية وغير اللغوية الخارجية المتعلقة بشخص الرسول - عليه السلام - المنشئ لا يمكن تناولها بعيداً عن المتلقي والنص المبدع؛ فتأثير هذا الثالوث من عناصر الخطاب النبوي بعضه في بعض جليّ وواضح، فثمة تداخل فيه وتكامل وترابط.



خطاطة رقم (٦)

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ١/١٧٣.



## العنصر الثاني: المتلقي:

لقد تعددت المصطلحات الدالة على المتلقي في النظريات التداولية الحديثة، فالمتلقي هو المستجيب للنص أو المستقبل له أو الفاهم أو المرسل إليه أو المخاطب أو السامع أو القارئ أو المتأثر أو النفس (في حديث الذات)؛ فأين يقع متلقي الخطاب النبوي بين هذه المحددات؟ وللإجابة، لا بدّ من تحديد مصطلح "المتلقي"؛ ليغدو الكلام منطقيًا ومعقولًا ومبررًا وأقرب للفهم وأدعى للإقناع.

فالحديث في عناصر الخطاب النبوي يقود إلى متلق تسعى الدراسة إلى ضبط ملامحه، وبيانه حسب تصوّر اللسانيات الاجتماعية؛ لكنّه متلق خرج عن معنى التلقي في نظريات التلقي الحديثة<sup>(١)</sup>، في تأكيدها أنّ المتلقي مؤسس نصّ الخطاب النبويّ أو مساهم في بناء أفقه الجماليّ والدلاليّ - بالمعنى الحرفي للعبارتين - على أنّ ذلك لا ينفي أنّ مخاطب الرسول - عليه السلام - متلقّ حاضر في ذهنه عند إنتاج الخطاب النبويّ سواء أكان حضور عيان أم ذهن، فهو يمنح الرسول المنشئ - عليه السلام - دون قصد - القدرة على اختيار طريقة خطابه، وانتقاء الأدوات اللغوية المناسبة لمراده، فهو طرف الخطاب الثاني في فعل التواصل.

وهذا يقود إلى نتيجة مفادها أنّ الخطاب النبويّ كوّنّه نصًّا دينيًّا له قدسيّته، ومكانته وخصوصيّته وسلطته<sup>(٢)</sup>؛ ليس كأيّ خطاب أدبيّ أو لغويّ يمكن إخضاعه لمقاييس علوم لغويّة حديثة ومعاصرة بكامل مبادئها، واستعمالاتها - وإن انطبق عليه بعضها - كما لا يجب إقحام الخطاب النبويّ في قوالب لغويّة موضوعية للخروج برؤى لغويّة جديدة فيه؛ تعطي الدراسة سبقًا على غيرها من الدراسات أو فتحًا يكون للباحثة الريادة فيه، وأتى لها ذلك؟ وليس ذلك المبتغى، وحذار أن يكون!

وحتى لا تقع الدراسة في مزالق التأويل والشتات، فالأمر ليس هيئًا كما يبدو، فينبغي توضيح مصطلح التلقي النبويّ الذي لا ينجلي إلا ببيان أنّ خطابه عليه السلام يقع ضمن منظومتين: منظومة العلاقات الإنسانية الإسلامية الخاصة التي انبثق الخطاب النبويّ منها في علاقته عليه السلام مع الصحابة وغيرهم، ممّن خاطبه الرسول - عليه السلام - أو لقيه من عامّة الناس؛ فكان خطابه "خطاب الواقع النبويّ المعيش" قبل أربعة عشر قرناً من الزّمان، أمّا الثانية

(١) لقد أصبح لاصطلاح التلقي ألفاظ آخر في مناهج الدراسة الأدبيّة الحديثة مثل "نظرية الاستقبال"، انظر

مبارك، محمّد رضا (١٩٩٩)، استقبال النصّ عند العرب، ط١، عمّان؛ دار الفارس، ص ٢٧.

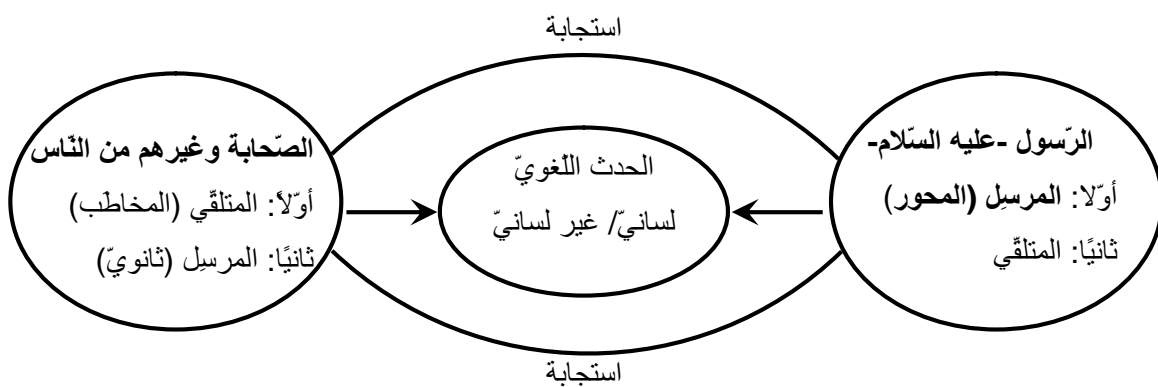
(٢) انظر الباب الأول، الفصل الثاني من الدراسة، ص ٤٣.

فمنظومة العلاقات الإنسانية الإسلامية العامة التي تستقي أحكامها الدينية والدنيوية من الخطاب النبوي بعد القرآن الكريم، فهو "خطاب الواقع الإنساني الإسلامي المحاكي في أحواله ومعاييره وضوابطه واقع الخطاب النبوي" في عهد الرسول - عليه السلام - إلى حد ما، إن لم يكن مطابقاً له مطابقة تامة، فهو قريب منه أو مشابه له.

وعلى ما تقدّم في المنظومتين يمكن تحديد متلقي الخطاب النبوي في نوعين: متلقي "خطاب الواقع النبوي المعيش" الذي يقع في المنظومة الأولى، فهو الدافع الأول لخطابه عليه السلام، والمقصود في مشهد فعل التواصل النبوي، وقد يكون متلقيًا مخاطبًا الرسول - عليه السلام - أو سامعًا حديثه من آخر، فهذا المتلقي مخاطب الرسول - عليه السلام - هو متلقي هذا الباب ومحور حديثه، يتلقى رسالته التي تدفع به إلى القيام بعمل ما أو اختيار ضرب بعينه من السلوك؛ استجابة للرسالة النبوية التي وصلته<sup>(١)</sup>، كأن يردّ المخاطب بحدث لغوي ما: لسانيّ أو غير لسانيّ، وقد يتكرّر هذا العمل غير مرّة في سياق خطاب التواصل بين الرسول - عليه السلام - والمخاطب، يتبادلان الأدوار بين إرسال واستقبال حسب ما يستدعيه الموقف اللغوي؛ ليكتمل المشهد اللغوي في الخطاب النبوي ويحقّق غايته.

والحديث في هذا الباب سيعتني بدور الرسول - عليه السلام - منشئًا الخطاب النبوي، لا متلقيًا خطاب الصحابة أو أيّ من الناس لأمرين: لأنّ الرسول - عليه السلام - منشئ لفظ الحديث النبوي فيما روي عنه في الصحيحين، ولأنّه المرسل الأهم في متن الحديث النبوي في فعل التواصل مع الصحابة المخاطبين وغيرهم.

#### مشهد التواصل اللغوي النبوي



#### خطاطة رقم (٧)

(١) وذلك بعد اللغة سلوكًا؛ فأولمان وغيره يعدّون اللغة نمطًا من السلوك يقع بين مثير واستجابة، انظر أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٢٠.

أمّا متلقي النوع الثاني، فمتلقى "الواقع الإنساني الإسلامي المحايي" الذي يقع في المنظومة الثانية، فهو الدافع الثاني لخطابه عليه السلام في مشهد فعل التواصل النبوي، وقد يكون متلقيًا مسلمًا سامعًا الخطاب النبوي أو قارئًا له في متون الكتب.

وتأثير الخطاب النبوي في هذا النوع من المتلقين نابغ من سلطة الخطاب الدينية والاجتماعية، وقيمه وفاعليته وأصالته كما تقدّم بيانه في الباب الأول.

إذن فالمتلقي المخاطب في الخطاب النبوي هو قصد الباث عليه السلام، وهو الركن الثاني في الخطاب؛ فلا يكتمل المشهد اللغوي إلا بحضوره، فهو عنصر إيجابي وفاعل ومشارك في فعل التواصل النبوي.

وحتى يُؤتي فعل التواصل النبوي أكله كان الرسول - عليه السلام - يراعي خصائص مخاطبه النفسية والاجتماعية والعقلية؛ لإحداث التفاعل الاجتماعي بين طرفي الخطاب، بمفهوم الاستجابة الناتج عن الاتجاهات والمعتقدات والمعايير الاجتماعية والنفسية والدينية التي تعدّ بمنزلة منبهات لعدد كبير من مواقف الحياة الإسلامية في بيئة المخاطبين.

فمراعاة الرسول - عليه السلام - مزاج المخاطب الذهني هو استعداد داخلي<sup>(١)</sup> يدفع لتقبل رسالة الرسول - عليه السلام - اللغوية التي توافق هوياً محبباً في نفس المتلقي المخاطب في قناة التواصل<sup>(٢)</sup>، ويدفع ذلك إلى القبول والارتباط النفسي بين الرسول - عليه السلام - والمخاطب، ثم الاستجابة ضمن محدّدات اجتماعية ودينية مثل: مكانة الرسول - عليه السلام - وصفاته وثقافته التي تفرض مشاعر الألفة والمودة بين طرفي الخطاب.

حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ وَمُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ قَالَا: أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَرَأَ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فَسَجَدَ بِهَا. فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَلَمْ أَرَكَ تَسْجُدُ؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَرَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْجُدُ لَمْ أُسْجُدُ<sup>(٣)</sup>.

(١) الحالة النفسية التي تتجاوب مع قوى داخلية وهمية ضعفاً وقوة، سلبيًا وإيجابيًا تسمى (الاستعداد)، انظر مبارك، استقبال النص عند العرب، ص ٧٣.

(٢) قناة التواصل: الحالة أو الوضع.

(٣) البخاري: كتاب: سجود القرآن/ باب: سجدة: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ الانشقاق: ١، حديث: ١٠٧٤، ص ٢١٣/

مسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة/ باب: سجود التلاوة، حديث: ٥٧٨.

وَحَدَّثَنَا صَدَقَةٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْرَأُ السُّورَةَ الَّتِي فِيهَا السَّجْدَةُ، فَيَسْجُدُ وَتَسْجُدُ، حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُنَا مَكَانًا لِمَوْضِعِ جَبْهَتِهِ<sup>(١)</sup>.

ثم إنَّ التأثيرَ النفسيَّ بخطاب الرسول - عليه السَّلام - للمخاطب المسلم كذلك يرفده الذوق الذي تحدده نشأة كلِّ من الرسول - عليه السَّلام - والمخاطب في بيئة اجتماعية ودينية وثقافية واحدة؛ تجعل هذا المتلقِّي يطرب لكلام الرسول - عليه السَّلام - الفصيح؛ فيهتز له، وذلك **لعاملين: عامل فطري** قائم على سلامة الإحساس والذوق والإدراك السليم لمواطن الجمال في كلام العرب، و**عامل ثقافي** يتعلَّمه مخاطب الرسول - عليه السَّلام - ويكتسبه بالدربة والمران ممَّا يسمعه في بيئته الثقافية العربية؛ فيستطيع التمييز بين غث الكلام وسمينه؛ ليدرك نموذج البلاغة في الخطاب النبوي، وفصاحة الكلم في نظم الهادي - عليه السَّلام.

ومن المسلم به أنَّ الفرد الذي يولد في محيطٍ له ثقافة خاصَّة، سيفكر باعتماد مفرداتٍ تتصلُّ بوسيلة التعبير الشائعة في جماعته، وإنَّ طبيعة تفكيره بالتالي ستكون متأثرة بذلك<sup>(٢)</sup>.

فكلمة "اجدح" مثلاً معلومة لسامعها في خطاب الرسول - عليه السَّلام: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ: سَمِعَ ابْنَ أَبِي أَوْفَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي سَفَرٍ، فَقَالَ لِرَجُلٍ: "انْزِلْ فَاجْدَحْ"<sup>(٣)</sup> لِي. قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، الشَّمْسُ! قَالَ: "انْزِلْ فَاجْدَحْ لِي". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الشَّمْسُ! قَالَ: "انْزِلْ فَاجْدَحْ لِي". فَانْزَلَ فَجَدَحَ لَهُ فَشَرِبَ، ثُمَّ رَمَى بِيَدِهِ هَاهُنَا، ثُمَّ قَالَ: "إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا فَقَدْ أَقْطَرَ الصَّائِمُ"<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: سجود القرآن/ باب: من لم يجد موضعاً للسَّجود من الزحام، حديث: ١٠٧٩، ص ٢١٤/

مسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصَّلاة/ باب: سجود التلاوة، حديث: ٥٧٥.

(٢) انظر أوتولكينبرغ (د.ت)، علم النفس الاجتماعي، د.ط، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، تعريب: حافظ الجمالي، ص ٧٠.

(٣) الجدح: جُدَحَ وَجَدَحَ السَّوِيقَ وَغَيْرَهُ وَاجْتَدَحَهُ: لَنَّهُ وَشَرَبَهُ بِالْمَجْدَحِ، وَالْجَدْحُ أَنْ يَحْرَّكَ السَّوِيقُ بِالْمَاءِ، وَيُخَوِّضَ حَتَّى يَسْتَوِيَ وَكَذَلِكَ اللَّيْنُ. الْمَجْدَحُ: خَشَبَةٌ فِي رَأْسِهَا خَشَبَتَانِ مَعْتَزُضَتَانِ يَتَمَّ بِهِ الْجَدْحُ، وَالسَّوِيقُ: معروف والصَّاد فيه لغة لمكان المضارعة، والجمع أسوقة، والسَّوِيقُ: ما يُتَّخَذُ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ.

(٤) البخاري: كتاب: الصَّوم/ باب: الصَّوم في السَّفر والإفطار، حديث: ١٩٤١، ص ٣٧٨/ مسلم: كتاب: الصَّيام/

باب: بيان وقت انقضاء الصَّوم وخروج النَّهار، حديث: ١١٠١.

ثم إن مخاطب الرسول - عليه السلام - في فعل التواصل يتأثر به؛ لتبينه ثقافة الرسول - عليه السلام - ومعارفه في شتى مجالات الحياة الإنسانية والإسلامية التي يقدمها لمتلقيه غذاءً عقلياً وفكرياً ونفسياً وروحياً في الوقت ذاته.

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ سَمِعْتُ عَطَاءً: أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ الشَّاعِرَ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ يَقُولُ: بَلَغَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنِّي أَسْرُدُ الصَّوْمَ، وَأُصَلِّي اللَّيْلَ، فِيمَا أُرْسِلَ إِلَيَّ وَإِمَّا لَقِيْتُهُ، فَقَالَ: "أَلَمْ أَخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ وَلَا تُفْطِرُ، وَتُصَلِّي وَلَا تَنَامُ؟! فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَتَمْ، فَإِنَّ لَعِينِكَ عَلَيْكَ حَظًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَظًّا". قَالَ: إِنِّي لَأَقْوَى لِذَلِكَ، قَالَ: "فَصُمْ صِيَامَ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ". قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: "كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى". قَالَ: مَنْ لِي بِهِذِهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ عَطَاءٌ: لَا أَدْرِي كَيْفَ ذَكَرَ صِيَامَ الْأَبَدِ، قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ". مَرَّتَيْنِ<sup>(١)</sup>.

وقد كان الرسول - عليه السلام - يراعي حالة مخاطبه ونفسيته؛ فلم يكن خطابه بالممل أو الهذر أو الموجز المخل أو المسهب المستنقل؛ لعلمه عليه السلام أن "الكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال، دعا إلى الاستثقال، وصار سبباً للملال، وذلك هو الهذر والإسهاب والخطل، وهو معيب عند كل لبيب"<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما يحقق لذة التلقي النفسية كما هي واقعة في مخاطب الرسول - عليه السلام - ولتحقيق اللذة والمتعة عند المتلقي، يقول ابن وهب الكاتب<sup>(٣)</sup>: "... وأن يكون الخطيب أو المرسل عارفاً بمواقع القول وأوقاته، واحتمال المخاطبين به، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة، فيقصر عن بلوغ الإرادة، ولا الإطالة في موضع الإيجاز، فيتجاوز في مقدار الحاجة إلى الاضجار والملالة".

فقد كان عليه السلام معلماً في خطابه، وإن صناعة التعليم سرٌّ من أسرار نجاحه في التأثير في مخاطبه، وذلك لوقوفه على الطبائع والتغلغل في بواطن النفوس البشرية على تنوعها، وكشف مواضع الغضب أو الرضا ومواطن الشدة أو اللين حسب سياق الخطاب.

(١) البخاري: كتاب: الصوم/ باب: حقّ الأهل في الصوم، حديث: ١٩٧٧، ص ٣٨٥/ مسلم: كتاب: الصيام/ باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، حديث: ١١٥٩.

(٢) العسكري، الصناعتين، (فصل الإيجاز)، ص ١٩٤.

(٣) البرهان في وجوه البيان، ص ١٩٤.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ الْمَدِينِيُّ، عَنْ رَبِيعَةَ ابْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ يَزِيدَ مَوْلَى الْمُتَّبِعِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللَّقْطَةِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ: "اعْرِفْ وَكَاءَهَا"<sup>(٢)</sup> - أَوْ قَالَ وَعَاءَهَا - وَعِفَاصَهَا<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ عَرَفَهَا سَنَةً، ثُمَّ اسْتَمْتَعَ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدَّهَا إِلَيْهِ" قَالَ: فَضَالَةٌ<sup>(٤)</sup> لِإِبِلٍ؟ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجَنَّتَاهُ - أَوْ قَالَ: احْمَرَّ وَجْهُهُ - فَقَالَ: "وَمَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَجِدَاؤُهَا، تَرُدُّ الْمَاءَ وَتَرَعَى الشَّجَرَ، فَذُرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا". قَالَ: فَضَالَةُ الْغَنَمِ؟ قَالَ: "لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذَّنْبِ"<sup>(٥)</sup>.

ومن سنن الخطاب النبوي مراعاة طباع الناس في الإدراك والتصديق والمعرفة، فثمة نفس متينة، ونفس هشة ونفس جافة وأخرى كافرة فاجرة، وغيرها من نفوس متغايرة، لكل منها خطاب نبوي خاص.

وفي خطاب النفوس الكافرة: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ: أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ نَاسًا - أَوْ رَجَالًا - مِنْ عُكْلٍ وَعَرِينَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ، وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ، وَاسْتَوْخَمُوا<sup>(٦)</sup> الْمَدِينَةَ، فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِذُودٍ<sup>(٧)</sup> وَبِرَاعٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ، فَيَشْرَبُوا مِنَ الْبَانِيَا وَأَبْوَالِهَا، فَانْطَلَفُوا حَتَّى كَانُوا نَاحِيَةَ الْحَرَّةِ، كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَقَتَلُوا رَاعِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاسْتَقُوا الدَّوْدَ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ، وَأَمَرَ بِهِمْ فَسَمَرُوا أَعْيُنَهُمْ<sup>(٨)</sup> وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ، وَتَرَكُوا فِي نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ، حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ<sup>(٩)</sup>.

فمعرفة النفسية بمن حوله المتمثلة في تنوع خطابه النبوي توضح عمق تجربته وحكمته وعراكه أمور الدين والدنيا.

(١) اللقطة: ما يعثر عليه من غير قصد ولا طلب.

(٢) الوكاء: الخيط الذي يربط به.

(٣) عفاصها: وعاءها.

(٤) الضالة: التائهة والضائعة.

(٥) البخاري: كتاب: العلم/ باب: الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، حديث: ٩١، ص ٣٠/ مسلم: كتاب: اللقطة، حديث: ١٧٢٢.

(٦) استوخموا: كرهوا الإقامة بها لمرض أصابهم.

(٧) الذود من الإبل: قطيع الإبل ما بين الاثنين إلى التسعة.

(٨) سمروا أعينهم: كحلوا أعينهم بالمسامير المحمية.

(٩) البخاري: كتاب: الطب/ باب: مَنْ خَرَجَ مِنْ أَرْضٍ لَا تَلِيمُهُ، حديث: ٥٧٢٧، ص ١١٦١/ مسلم: كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات/ باب: حكم المحاربين والمرتدين، حديث: ١٦٧١.

## الخطاب النبوي بين المقام والمقال<sup>(١)</sup>

لقد اهتمّت اللسانيّات الاجتماعيّة بدراسة اللغة بوصفها سمة اجتماعيّة؛ لذا عُنيّت بهذا الجانب الاجتماعيّ للغة، وعدّت المقال جزءاً من عناصر الدلالة، تكمله الاستعانة بالمقام الاجتماعيّ الذي ورد فيه المقال؛ ليصبح المعنى مفهوماً عند متلقّيه في سياقه اللغويّ، وقد عُرف ذلك عند القدماء بقالة: "كلّ مقام مقال"، يقول بشر بن المعتمر<sup>(٢)</sup>: "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصّة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامّة، وإنّما مدار الشّرف على الصّواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال". وهو عند ابن خلدون كذلك "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"<sup>(٣)</sup>، يقول<sup>(٤)</sup>: "ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة على أحوال المتخاطبين والفاعلين، وما يقتضيه حال الفعل، وهو محتاجٌ إلى الدلالة عليه؛ لأنّه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلّم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه، وإذا لم يشتمل على شيء منها، فليس من جنس كلام العرب، فإنّ كلامهم واسعٌ، ولكلّ مقام عندهم مقال يختص به، بعد كمال الإعراب والإبانة"، ويشير ابن خلدون في نهاية القول إلى الاهتمام بالمقال المنسجم مع المقام الملائم له بعد العناية بالكلام من ناحيتين: التركيب التّحويّ، وقدرته على بيان مقصد المتكلّم. و"المقام" عند علماء اللسانيّات الاجتماعيّة المحدثين معروف بـ"سياق الحال"<sup>(٥)</sup>، أو "سياق الموقف" أو "المناسبة"، مضافاً إلى سياق اللغة: وهو جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلاميّ، ومنها: شخصيّة المخاطبَيْن وتكوينهم الثقافيّ والاجتماعيّ وعلاقتهم بعضهم ببعض، والمكان

(١) تمّ الحديث هنا في سياق المقام والمقال لربطه بالعنصر الثّاني للخطاب النبويّ: المتلقّي، وبيان علاقته فيه.

(٢) الجاحظ، البيان والتّبيين، ١/١٣٦.

(٣) مقتضى الحال: ما يدعو إليه الأمر في الواقع، أي ما يستدعيه مقام الكلام وحال المخاطب من كلام على وجه مخصّوص، ولا يمكن أن يطابق الكلام الحال إلا إذا لاءم أذهان المخاطبين، واهتمّ بمستواهم الثقافيّ والاجتماعيّ والنفسيّ، فما يُقال لخاصّة النّاس، لا يُخاطب به مَنْ سواهم. انظر سقال، ديزيرة (١٩٩٧)، علم البيان بين النظريات والأصول، ط١، بيروت: دار الفكر العربيّ، ص١٤٢.

(٤) ابن خلدون، ولي الدّين عبد الرّحمن بن محمّد الحضرميّ (٨٠٨ هـ)، المقدّمة، ط١، (تحقيق علي عبد الواحد وافي وشرحه وضبطه)، لجنة البيان العربيّ، ١٩٦٢، ٤/١٢٦٣.

(٥) اشتهر "سياق الحال" لدى اللسانيّين "فيرث" و"مالينوفسكي"، انظر الموسى، الأعراف، نحو اللسانيّات الاجتماعيّة في العربيّة، المجلّة العربيّة للدراسات اللغويّة (الخرطوم)، ص١٤٨.

والزّمان وموضوع الكلام، وحالة الجو والوضع السياسيّ - إن كان له علاقة- وأثر النصّ الكلاميّ في طرفيّ الخطاب كالألم أو الفرح... إلخ<sup>(١)</sup>.

وقد اهتم الرّسول - عليه السّلام - بمخاطبه الذي هو وجهته ومقصده في الخطاب النبويّ، فراعى جملة ألفاظه بما يتصلّ وواقع الحال، متّصلاً بمقاصد اجتماعيّة ونفسيّة ودينيّة، فكان يخاطب كلا على قدر فهمه وعقله.

ويقول العسكريّ<sup>(٢)</sup>: "ومدار الأمر على إفهام كلّ قوم بقدر طاقتهم، والحمل عليهم على قدر منازلهم، وأنّ تواتيه آله، وتتصرّف معه أداته"، وقد ميّز الرّسول - عليه السّلام - في خطابه النبويّ بين طبقات النّاس ومستوياتهم، وأنزلهم منازلهم، وخاطبهم على قدر عقولهم؛ لذا استطاع عليه السّلام أن يسوس النّاس نفسياً واجتماعياً بملّكة خاصّة، ومنحة ربانيّة وحنكة نبويّة وعبرة لغويّة مميّزة، فكان يعرف كيف يستميل مخاطبه أو ينفره، وكيف يستثيره أو يسكنه حسب المواقف، يقول بشر بن المعتمر<sup>(٣)</sup>: "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً، ولكلّ حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار الحالات".

وقد أشار البلاغيّون القدماء إلى مراعاة أحوال المخاطبين حسب طبقاتهم، وهذا ما يُعرف اليوم بمستويات الخطاب<sup>(٤)</sup>؛ استناداً إلى مستويات المخاطبين الاجتماعيّة، يقول ابن وهب الكاتب<sup>(٥)</sup>: "وينبغي أن تجعل وكدك مداراتهم على طبقاتهم، وإعطاء كلّ صنف منهم من القول ما يرضيه، فإنّ العاقل من دارى أهل زمانه".

ثمّ إنّ الرّسول - عليه السّلام - وافق بين المعاني وأحوال المستمعين الاجتماعيّة؛ فلقى خطابه النبويّ قبولا واستحساناً؛ إذ لا معنى لنصّ جيّد النّظم إن لم يتوافق ومستوى المخاطبين

(١) للتوسّع انظر الموسى، الأعراف، نحو اللسانيّات الاجتماعيّة في العربيّة، ص ١٤٩/ و الموسى، حصاد القرن (المنجزات العلميّة والإنسانيّة في القرن العشرين)، ص ٤٥/ كذلك انظر العناصر المكوّنة للموقف الكلاميّ، خرما، أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة، ص ١٢٢.

(٢) الصّناعتين، ص ٢٩.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٣٨/١-١٣٩.

(٤) أرجى الحديث في مستويات الخطاب من الباب الأوّل إلى هذا الموضوع من الدّراسة خشية التكرار بعنوان:

تنوع الخطاب النبويّ حسب المتلقي من وجهة لسانیّة اجتماعيّة ونفسيّة، ص ١١٤.

(٥) البرهان في وجوه البيان، ص ٢٦٣.



الاجتماعي، يقول ابن طباطبا<sup>(١)</sup>: "ويحضر لبه<sup>(٢)</sup> عند كل مخاطبة ووصف، فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، ويتوقى حظها عن مراتبها، وأن يخلطها بالعامّة، كما يتوقى أن يرفع العامّة إلى درجات الملوك، ويعدّ لكل معنى ما يليق به، ولكل طبقة ما يشاكلها، حتى تكون الاستفادة من قوله في وضعه الكلام مواضعه، أكثر من الاستفادة من قوله في تحسين سجعه وإبداع نظمته".

وكما تخير عليه السّلام اللفظ والمعنى المناسبين لمستوى المخاطب، وقدّر فعل الكلام أو الصّمت حسب حاجة السّياق اللّغويّ كذلك، يقول ابن وهب الكاتب<sup>(٣)</sup>: "ومن الصّواب أن يعرف أوقات الكلام، وأوقات السّكوت وأقدار الألفاظ، وأقدار المعاني، ومراتب القول ومراتب المستمعين له، وحقوق المجالس وحقوق المخاطبات فيها، فيعطي كلّ شيء من ذلك حقه".

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ قَالَ: حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ (ح) وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيَّنَّمَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَّرَهُ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: "أَيْنَ - أَرَاهُ - السَّائِلُ، عَنِ السَّاعَةِ؟" قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: "إِذَا وَسَدَ<sup>(٤)</sup> الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلويّ (ت ٣٢٢ هـ)، عيار الشّعر، د. ط، (تحقيق طه الحاجريّ، ومحمد زغلول سلام)، المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٤.

(٢) يقصد الشّاعر.

(٣) البرهان في وجوه البيان، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٤) وسد: أسند.

(٥) البخاريّ: كتاب: العلم/ باب: مَنْ سئل علماً وهو مشغول في حديثه، فأتمّ الحديث، ثمّ أجاب السّائل، حديث: ٥٩، ص ٢٢.

## مستويات الخطاب النبوي

### تنوع الخطاب النبوي حسب المتلقي من وجهة لسانية اجتماعية ونفسية

للمتلقي مخاطب في التواصل النبوي حالات في المستويين الاجتماعي والنفسي، يمكن تقسيمها كالآتي:

- **المخاطب المنكر:** هو مخاطب عالم بالحق جاحد له.  
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: احْتَبَسَ جَبْرِيلُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ فُرَيْشٍ: أَبْطَأَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ، فَزَلْتُ<sup>(١)</sup>: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ۝٣﴾<sup>(٢)</sup>.
- **المخاطب الخالي الذهن:** حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: "نَعَمْ، صِلِي أُمَّكَ"<sup>(٣)</sup>.
- **المخاطب المتردد:** حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً<sup>(٤)</sup>، فَقَالَ: "ارْكَبْهَا" فَقَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ، فَقَالَ: "ارْكَبْهَا". قَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ، قَالَ: "ارْكَبْهَا" ثلاثاً<sup>(٥)</sup>.
- **المخاطب الضال:** مخاطب في حاجة إلى تقويم، تقدّم إليه الأخبار على سبيل الوعظ والإرشاد<sup>(٦)</sup>.

(١) الضحى: ٣-١.

(٢) البخاري: كتاب: التهجد/ باب: ترك القيام للمريض، حديث: ١١٢٥، ص ٢٢٢/ مسلم: كتاب: الجهاد والسير/ باب: ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - من أذى المشركين والمنافقين، حديث: ١٧٩٧.

(٣) البخاري: كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب: الهدية للمشركين، حديث: ٢٦٢٠، ص ٥١٥/ مسلم: كتاب: الزكاة/ باب: فضل الثقة والصدقة على الأقربين والزّوج والأولاد والوالدين، ولو كانوا مشركين، حديث: ١٠٠٣.

(٤) البُدن: البدنة: تقع على الناقة والبقرة والبعير الذكر ممّا يجوز في الهدى والأضاحي، ولا تقع على الشاة، وسميت بدنة لعظمها وسمنها.

(٥) البخاري: كتاب: الحج/ باب: ركوب البدن، حديث: ١٦٨٩، ص ٣٣٠/ مسلم: كتاب: الحج/ باب: جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها، حديث: ١٣٢٢.

(٦) انظر كتاب أعمال ندوة: قضايا المتكلم في اللغة والخطاب، (القيروان)، بحث (مراعاة أقدار المخاطبين في مقدّمات كتب الأخبار)، ص ٤٥.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكْتُهُ الْقَائِلَةَ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاءِ<sup>(٢)</sup>، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَنْظَلَ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَنْظِلُونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاخْتَرَطُ<sup>(٣)</sup> سَيْفِي، فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، مُخْطَرٌ صَلَافًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ<sup>(٤)</sup> ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا" قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٥)</sup>.

#### ■ المخاطب طالب الفائدة: مخاطب يبحث عن تحصيل علم أو معرفة.

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ الْمُكْتَبِيُّ، عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: "صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ"<sup>(٦)</sup>.

#### ■ المخاطب الذكي الألمي:

حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ: عَنْ يَحْيَى، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ: حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُحَدِّثُ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: "إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقِيلَ لَهُ: مَا سَأَلْنَاكَ؟ تُكَلِّمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرَّحَضَاءُ<sup>(٧)</sup>، فَقَالَ: "أَيْنَ السَّائِلُ؟" وَكَأَنَّهُ حَمْدَهُ فَقَالَ: "إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنْ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعَ يَقْتُلُ، أَوْ يُلِمُّ إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرَاءِ"<sup>(٨)</sup>، أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا<sup>(٩)</sup>، اسْتَقْبَلْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَتَلَطَّطْتُ<sup>(١٠)</sup>، وَبَالَتُ، وَرَتَعْتُ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ خُلُوةٌ، فَنِعَمَ صَاحِبُ

(١) القائلة: منتصف النهار.

(٢) العضاء: شجر عظيم له شوك.

(٣) اخترط: سلَّ السيف وأخرجه من غمده.

(٤) شامه: أدخله في غمده.

(٥) البخاري: كتاب: المغازي/ باب: غزوة بني المصطلق من خزاعة، وهي غزوة المريسيع، حديث: ٤١٣٩،

ص ٨١٥/ مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/ باب: صلاة الخوف، حديث: ٨٣٩.

(٦) البخاري: كتاب: تقصير الصلاة/ باب: إذا لم يُطَقْ قَاعِدًا صَلَّى عَلَى جَنْبٍ، حديث: ١١١٧، ص ٢٢٠.

(٧) الرّحضاء: كثير العرق.

(٨) أكلة الخضراء: المواشي التي تأكل الخضر، وهي تضرب للرجل المقتصد.

(٩) امتدت خاصرتها: شبع.

(١٠) تلططت: ألقط ما في بطنها من الفضلات سهلاً لينا.

المُسْلِمُ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَابْنِ السَّبِيلِ - أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بَعْضُ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (١)

#### ■ المخاطب الحساس الوجداني:

كان الرسول - عليه السلام - يراعي نفسية أصحابه بعد العمل المرهق؛ فيطلب منهم الاغتسال برفق؛ لرائحة العرق التي تخرج منهم: حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُزَيْدٍ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عُمَالٌ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ، فَقِيلَ لَهُمْ: "لَوْ اغْتَسَلْتُمْ" (٢).

#### ■ المخاطب العنيد:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتِنَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ؛ فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ؛ فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَضَى: أَنَّ دِيَةَ (٣) مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ (٤) عَبْدٌ، أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرَمَتْ: كَيْفَ أُغْرِمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَ (٥)؟ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ (٦). فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ" (٧).

(١) البخاري: كتاب: الزكاة/ باب: الصدقة على اليتامى، حديث: ١٤٦٥، ص ٢٨٩/ مسلم: كتاب: الزكاة/ باب:

تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، حديث: ١٠٥٢.

(٢) البخاري: كتاب: البيوع/ باب: كسب الرجل وعمله بيده، حديث: ٢٠٧١، ص ٤٠٥/ مسلم: كتاب: الجمعة/

باب: وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال، وبيان ما أمروا به، حديث: ٨٤٧.

(٣) الدية: تعويض مالي مقدر شرعاً مقابل قتل أو جرح.

(٤) غرة: ما يكون ثمنه عشر الدية، والمراد العبد نفسه أو الأمة.

(٥) استهَلَ: صرخ وهو كناية عن حياة.

(٦) يُطَلُّ: يهدر دمه، ولا يطالب بديته.

(٧) البخاري: كتاب: الطب/ باب: الكهانة، حديث: ٥٧٥٨، ص ١١٦٧/ مسلم: كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص

والديات/ باب: دية الجنين، ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني، حديث: ١٦٨١.

## الخطاب النبويّ ومحور العلاقات في المجتمع الإسلاميّ

المتنبّع الخطاب النبويّ في الصّحيحين يجد أنّ العلاقات في المجتمع الإسلاميّ تسير بين طرفي الخطاب في محورين<sup>(١)</sup>:

### محور العلاقة العموديّة:

بين النّاس في مراتب تصاعديّة داخل بنية المجتمع المسلم في سلم تراتبيّ، يتوزّع بين حاكم ومحكوم، وغنيّ وفقير، ورئيس عمَل ومستخدَم ورئيس ومروّوس... إلخ، وما تهتمّ به الدّراسة في هذا المحور أنّ الرّسول - عليه السّلام - نبّي مرسل، وغيره أتباع؛ وهذا يمنح خطابه عليه السّلام سلطته في نفس المخاطب كما سبق البيان<sup>(٢)</sup>.

### محور العلاقة الأفقيّة:

بين الرّسول - عليه السّلام - ومخاطبه التي تنوّعت مستوياته، وتجلّت في تقسيم المخاطب كما يلي:

#### ١ - خصائص الدّين (المسلم/ غير المسلم):

- المسلم: عناية المسلم برضا والديه تدفعه للاجتهاد في سبل برهما: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أُمِّي افْتَلَنْتْ نَفْسَهَا<sup>(٣)</sup>، وَأَطْنُهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: "نَعَمْ"<sup>(٤)</sup>.

- غير المسلم: حُسنُ معاملة الرّسول - عليه السّلام - لِعَلامٍ يهوديّ كان يخدمه، عاده عليه السّلام في مرضه؛ كان ذلك سببًا في إسلام الغلام وإنقاذه من النّار: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ - عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ عَلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ -

(١) التّقسيم، بالاستعانة بالشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب: مقاربة لغويّة تداوليّة، ص ٨٩.

(٢) انظر سلطة الخطاب النبويّ، الباب الأوّل، الفصل الثاني من الدّراسة، ص ٤٢.

(٣) افتلنت: ماتت فجأة.

(٤) البخاريّ: كتاب: الجنائز/ باب: موت الفجأة البغته، حديث: ١٣٨٨، ص ٢٧٣/ مسلم: كتاب: الزكاة/ باب:

وصول ثواب الصّدقة عن الميّت إليه، حديث: ١٠٠٤.

صلى الله عليه وسلم- فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- يَعُوذُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: "أَسْلِمَ"، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ- صلى الله عليه وسلم- فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَقُولُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ"<sup>(١)</sup>.

ومن خطابه عليه السلام مع فئات الناس:

■ الأنصار:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: "دَعُهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ"<sup>(٢)</sup>.

■ المنافقين:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، سَمِعَهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ قَالَ: أَخْبَرَنِي حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَقَالَ: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً"<sup>(٣)</sup>، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخْذُوهُ مِنْهَا". فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بَنَّا خَيْلَنَا، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَنُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ النَّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا<sup>(٤)</sup>، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: "يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا<sup>(٥)</sup> فِي فُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ، يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا، وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ

(١) البخاري: كتاب: الجنائز/ باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلى عليه، وهل يُعرَض على الصبي الإسلام؟ حديث: ١٣٥٦، ص ٢٦٦.

(٢) البخاري: كتاب: الإيمان/ باب: الحياء من الإيمان، حديث: ٢٤، ص ١٤/ مسلم: كتاب: الإيمان/ باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، حديث: ٣٦.

(٣) الظعينة: المرأة في السفَر.

(٤) عقاصها: العقيصَة: ضفيرة الشعر.

(٥) ملصقا: حليفا لهم وليس منهم.

الإسلام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ صَدَقَكُمْ". فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بِدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"<sup>(١)</sup>.

## ٢ - خصائص الجنس (المرأة/ الرجل):

عُني الرسول - عليه السلام - بخطاب المرأة، واستخدام أدوات خطابه بما يتناسب مع تكوينها العضوي والنفسي في تربيتها تربية إسلامية؛ لتأدية وظائفها الأساسية والفطرية من واجبات الزوجية والأمومة والحضانة ورعاية الصغير... إلخ.

وقد كان الرسول - عليه السلام - يراعي مشاعر المرأة، فكره ضرب النساء وعابه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "لَا يَجِلُّ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جِلْدَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يَجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ"<sup>(٢)</sup>.

والعقوبة التي آثرها الرسول - عليه السلام - هي الهجر الطويل أو القصير بعد العظه والعتاب الجميل، والهجر - ولا سيما في المضاجع - عقوبة نفسية بالغة للمرأة أكثر منها حسية، لما يفوت المرأة من المتعة.

وقد كانت المرأة حاضرة في عهد الرسول - عليه السلام - تأتيه في مجالس خاصة تسأله في أمورها، وتتعلم أحكام الإسلام، وكنّ يشهدن بعض المواسم كصلاة العيد، ويستمعن إلى أحاديثه، وقد قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها: نِعِمَّ النَّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْنَهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَفْقَهُنَّ فِي الدِّينِ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ؟

(١) البخاري: كتاب: الجهاد والسير/ باب: الجاسوس، وقول الله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾

المتحنة: ١، النَّجَّاسُ: التَّبَحُّثُ، حديث: ٣٠٠٧، ص ٥٩٨/ مسلم: كتاب: فضائل الصحابة - رضي الله عنهم/ باب: من فضائل أهل بدر - رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة، حديث: ٢٤٩٤.

(٢) البخاري: كتاب: النكاح/ باب: ما يكره من ضرب النساء، وقول الله تعالى: ﴿وَأَصْرِبُوهُنَّ﴾ النساء: ٣٤

ضرباً غير مبرح، حديث: ٥٢٠٤، ص ١٠٦٤/ مسلم: كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، حديث: ٢٨٥٥.

قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ"، فَعَطَّتْ أُمَّ سَلَمَةَ - تَعْنِي وَجْهَهَا - وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَحْتَلِّمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: "نَعَمْ، تَرَبَّتْ يَمِينُكَ فِيمَ يُشَبِّهُهَا وَلَدُهَا" <sup>(١)</sup>.

وقد كان لأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - فضلٌ كبير في تبليغ الدين ونشر السنة بين نساء المسلمين، فقد كانت بعض النساء يخلطن من سؤال الرسول - عليه السلام - في أمورهن؛ فيجدن الجواب عند زوجاته، مثل السيدة عائشة - رضي الله عنها - لما عرفت به من علم غزير استقته من الرسول - عليه السلام. وأما خطاب الرجل، فكان في شؤون شتى من نواحي الحياة الإسلامية: حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ: أَخْبَرَنَا عَبْدُهُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انْهَكُوا" <sup>(٢)</sup> الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللَّحَى" <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

### ٣- خصائص السنن (الصبي):

كان خطاب الرسول - عليه السلام - صغير السن رقيقاً ومحبتاً إلى نفسه: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَيَّارٍ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صَبِيَّانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَفْعَلُهُ <sup>(٥)</sup>. وكذلك: حَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَّاشِيُّ، زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ: أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ يُوسُفَ: حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ - وَهُوَ ابْنُ عَمَارٍ - قَالَ: قَالَ إِسْحَاقُ: قَالَ أَنَسُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا. فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ. وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صَبِيَّانَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ. فَإِذَا رَسُولُ

(١) البخاري: كتاب: العلم/باب: باب الحياء في العلم، حديث: ١٣٠، ص ٣٧/مسلم: كتاب: الحيض/باب: وجوب الغسل على المرأة، حديث: ٣١٣.

(٢) انهكوا: بالغوا في الأخذ منها.

(٣) أعفوا اللحى: عفا النبت والشعر وغيره يعفو؛ فهو عافٍ: كثير وطال، وإعفاء اللحى هو أن يوقر شعرها ويكثر ولا يقصر كالشوارب، من عفا الشيء إذا كثر وزاد، يقال: أعفَيْته وعَفَيْته لغتان، إذا فعلت به كذلك.

(٤) البخاري: كتاب: اللباس/باب: إعفاء اللحى، حديث: ٥٨٩٣، ص ١١٩٠/مسلم: كتاب: الطهارة/باب: خصال الفطرة، حديث: ٢٥٩.

(٥) البخاري: كتاب: الاستئذان/باب: التسليم على الصبيان، حديث: ٦٢٤٧، ص ١٢٥٠/مسلم: كتاب: السلام/باب: استحباب السلام على الصبيان، حديث: ٢١٦٨.



اللّٰهُ - صَلَّى الله عليه وسلم- قَدْ قَبِضَ بَقَايَ مَنْ وَرَأَى. قَالَ فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ. فَقَالَ: "يَا أَنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ". قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللّٰهِ!<sup>(١)</sup>.

كما كان عليه السّلام يوفر الوسط الآمن للمتعلّمين الصّغار لأحكام الدّين، ممّا يجعلهم يحبّونه ويقبلون عليه، ويزيد من دافعيّتهم نحو التّعلم، فعن ابن عباس قال حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللّٰهِ- صَلَّى الله عليه وسلم- وَقَالَ: "اللّٰهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ"<sup>(٢)</sup>.

فحركة ضم ابن عباس هذه إلى الرّسول - عليه السّلام - لها فعلها المؤثّر والقويّ في نفس ابن عباس طفلاً، وفي معطيات علم النّفس والاجتماع ثمة أفعال تدفع الطّفل نحو مجتمعه؛ ليصبح عضواً فاعلاً فيه، يحسّ بأحاسيسه ويتعاون مع أفرادِهِ، وتُسمّى قوة جاذبة، وأفعال أخرى تحاول منعه عن ذلك؛ ليحتفظ باستقلّاله، وكيانه الشّخصيّ، تسمّى قوة طاردة<sup>(٣)</sup>.

ومن حنوّه عليه السّلام على الصّبيّة، ضمّه بجسده الطّاهر أسامة بن زيد، والحسن بن عليّ - رضي الله عنهما- بعد وضعهما على فخذيه، ثمّ دعا لهما: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا عَارِمٌ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ثَمِيمَةَ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ: يُحَدِّثُهُ أَبُو عُثْمَانَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ- صَلَّى الله عليه وسلم- يَأْخُذْنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخْذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخْذِهِ الْآخَرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: "اللّٰهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحُمُهُمَا"<sup>(٤)</sup>.

وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ- صَلَّى الله عليه وسلم- أَتَى بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ- وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاحُ- فَقَالَ لِلْغُلَامِ: "أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟" فَقَالَ الْغُلَامُ: وَاللّٰهِ يَا رَسُولَ اللّٰهِ، لَا أُوْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّه<sup>(٥)</sup> رَسُولُ اللّٰهِ- صَلَّى الله عليه وسلم- فِي يَدِهِ<sup>(١)</sup>.

(١) مسلم: كتاب: الفضائل/ باب: كان رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلم- أحسن النّاس خلقاً، حديث: ٢٣١٠.

(٢) البخاري: كتاب: العلم/ باب: قول النّبيّ- صَلَّى الله عليه وسلم- "اللّٰهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ"، حديث: ٧٥، ص ٢٦/

مسلم: كتاب: فضائل الصّحابة- رضي الله عنهم/ باب: فضائل عبد الله بن عباس- رضي الله عنه، حديث:

٢٤٧٧.

(٣) انظر لويس، اللّغة في المجتمع، ص ٥.

(٤) البخاري: كتاب: الأدب/ باب: وضع الصّبيّ على الفخذ، حديث: ٦٠٠٣، ص ١٢٠٧.

(٥) فتّله في يده: ألّقه و وضعه في يده.

والرسول يدعو إلى التيامن في حديث سهل بن سعد، وهذه من المعاملات اليومية الدينية في حياة المؤمن الاجتماعية التي تؤطرها حركات معينة في الجلوس والأكل والشرب والنظر واللباس... إلخ؛ ليُشرب عليه السلام أشياء كانوا عن يساره، ولم يمنعه صغر سن فتي عن يمينه أن يستأذنه.

ولكلام الطفل سمة تغلب عليه النزعة الاجتماعية، فإن تحدث بحديث ذاتي قد يظن أنه يركز حول الذات؛ لكن هذا النوع من الحديث لا يخلو من نزوع إلى المجتمع، ورغبة في عقد الصلة مع الآخرين، ثم إن الحديث عن الذات لا يدل على التطبع النفسي؛ لأن نسبة كبيرة من الراشدين يتحدثون عن أنفسهم كذلك.

#### ٤- علاقات ودية (أهل بيت الرسول - عليه السلام - والصحابة):

إن العلاقة بين طرفي التواصل النبوي قد تعتمد درجة القرابة الاجتماعية، فقد يكون المخاطب من آل بيت الرسول - عليه السلام - أو من الأصدقاء المقربين للرسول - عليه السلام - كأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أو أحد الصحابة ممن تربطه بهم علاقة حميمة، وعليها يتم توزيع الأدوار في التواصل، وتحديد الأدوات اللغوية المناسبة.

ففي حديثه عليه السلام لأمتنا فاطمة - رضي الله عنها - في مرضه الذي توفي فيه، حاول التورية عنها، فيخبرها أنه سيغادرها؛ فتبكي، ولكنها تعود فتضحك حين يبشرها أنها سيدة نساء أهل الجنة: حَدَّثَنَا مُوسَى، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ: حَدَّثَنَا فِرَاسٌ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ: حَدَّثَنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادِرْ مِنَّا وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - تَمْشِي، لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مَشْيُهَا مِنْ مَشْيِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ قَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ - أَوْ عَنْ شِمَالِهِ - ثُمَّ سَارَهَا؛ فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَهَا الثَّانِيَةَ، إِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا - أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ -: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالسَّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَأَلْتُهَا: عَمَّا سَارَكَ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سِرَّهُ، فَلَمَّا ثَوَّقِي، قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكَ - بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ - لَمَّا أَخْبَرْتَنِي، قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرْتَنِي، قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ

(١) البخاري: كتاب: الأشربة/ باب: هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب؛ ليعطي الأكبر؟ حديث: ٥٦٢٠،

ص ١٤٢/ مسلم: كتاب: الأشربة/ باب: استحباب إدارة الماء واللين، ونحوهما عن يمين المبتدئ، حديث:

بالقرآن<sup>(١)</sup> كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً: " وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرْ، فَإِنِّي نِعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ" قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتُ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: "يَا فَاطِمَةُ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ"<sup>(٢)</sup>.

ومن خطابه الودود لعمر - رضي الله عنه: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُهَالٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَاجِشُونُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرَّمِيصَاءِ"<sup>(٣)</sup>، امْرَأَةً أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشْفَةً<sup>(٤)</sup>، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظَرَ إِلَيَّ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ". فَقَالَ عُمَرُ: يَا أُمِّي وَأَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارٌ<sup>(٥)</sup>.

وقد حضَّ القرآن الكريم رسوله - عليه السلام - على اللين والرفق في القول في دعوته الناس في قوله<sup>(٦)</sup>: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمْ مَخْرَجًا مِمَّا رَحِمَ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ إِنَّهُ يَهْدِي لِسَبِيلٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وقوله تعالى<sup>(٧)</sup>: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّهُ يَهْدِي لِسَبِيلٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فكان حري بالصَّحَابَةِ التَّزَامُ صِيغَ الثَّادِبِ فِي خُطَابِ الرَّسُولِ - عليه السلام.

(١) يعارضه بالقرآن: يعرضه عليه.

(٢) البخاري: كتاب: الاستئذان/ باب: مَنْ نَاجَى بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ، وَمَنْ لَمْ يَخْبِرْ بِسَرٍّ صَاحِبَهُ، فَإِذَا مَاتَ أَخْبَرَ بِهِ، الحديثان: ٦٢٨٥، ٦٢٨٦، ص ١٢٥٨/ مسلم: كتاب: فضائل الصَّحَابَةِ - رضي الله عنهم/ باب: من فضائل فاطمة بنت النَّبِيِّ - عليه السلام - رضي الله عنها، حديث: ٢٤٥٠.

(٣) الرَّمِيصَاءُ: الرَّمَصُ: وَسَخٌ يَجْتَمِعُ فِي الْمَوْقِ، فَإِنْ سَالَ فَهُوَ غَمَضٌ، وَإِنْ جُمِدَ فَهُوَ رَمَصٌ، وَقِيلَ الرَّمَصُ: صَغَرُ الْعَيْنِ وَلِزَوْقُهَا، وَلِزَوْقُ أَجْفَانِهَا لِكثْرَةِ الدَّمْعِ.

(٤) خَشْفَةٌ: حَرَكَةٌ تَحْدُثُ صَوْتًا، وَالْمُرَادُ صَوْتُ وَقْعِ الْأَقْدَامِ.

(٥) البخاري: كتاب: فضائل الصَّحَابَةِ - رضي الله عنهم / باب: مناقب عُمر بن الخطاب، أبي حفص القرشي العدوي - رضي الله عنه، حديث: ٣٦٧٩، ص ٧٢٨/ مسلم: كتاب: فضائل الصَّحَابَةِ - رضي الله عنهم/ باب: من فضائل عمر - رضي الله عنه، حديث: ٢٣٩٤.

(٦) النَّحْلُ: ١٢٥.

(٧) آل عمران: ١٥٩.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ: أَخْبَرَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي النَّجَّاشِيِّ، مَوْلَى رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ: سَمِعْتُ رَافِعَ بْنَ خَدِيجِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ عَمِّهِ ظَهْرٍ بْنِ رَافِعٍ: قَالَ ظَهْرٌ: لَقَدْ نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ أَمْرٍ كَانَ بِنَا رَافِقًا، قُلْتُ: مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَهُوَ حَقٌّ، قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "مَا تَصْنَعُونَ بِمَحَاقِلِكُمْ"<sup>(١)</sup> قُلْتُ: نُوَاجِرُهَا عَلَى الرَّيِّعِ، وَعَلَى الْأَوْسُقِ<sup>(٢)</sup> مِنَ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ قَالَ: "لَا تَفْعَلُوا، ازْرَعُوهَا، أَوْ ازْرَعُوهَا، أَوْ امْسِكُوهَا"<sup>(٣)</sup>. قَالَ رَافِعٌ: قُلْتُ: سَمِعًا وَطَاعَةً<sup>(٤)</sup>.

##### ٥- الحالة الاجتماعية (المتزوج/العزب):

حدث عليه السلام في مواقف كثيرة على الزواج: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ: أَخْبَرَنَا عَمْرُو، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَلْ نَكَحْتَ يَا جَابِرُ؟" قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "مَاذَا أَبْكَرًا أَمْ ثَيِّبًا؟" قُلْتُ: لَا بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: "فَهَلَا جَارِيَةٌ ثَلَاثُ عَشْرَةَ؟" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أَحُدٍ، وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ، كُنَّ لِي تِسْعَ أَخَوَاتٍ، فَكْرَهْتُ أَنْ أَجْمَعَ إِلَيْهِنَّ جَارِيَةً خَرَقَاءَ مِثْلَهُنَّ، وَلَكِنْ امْرَأَةٌ تَمْشُطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: "أَصَبْتَ"<sup>(٥)</sup>.

ورغب الرسول - عليه السلام - العزب بالزواج: حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: "مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ"<sup>(٦)</sup> فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَعْضٌ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ<sup>(٧)</sup>"<sup>(١)</sup>.

(١) محافلكم: مزارعكم.

(٢) الوسق: مكيّلة معلومة، وقيل: هو حمل بعير، وهو ستون صاعاً.

(٣) امسكوها: اتركوها معطلة.

(٤) البخاري: كتاب: الحرث والمزارعة/ باب: مَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُؤَاسِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الزَّرَاعَةِ وَالتَّمْرِ، حديث: ٢٣٣٩، ص ٤٥٦ / مسلم: كتاب: البيوع/ باب: كراء الأرض بالطعام، حديث: ١٥٤٨.

(٥) البخاري: كتاب: المغازي/ باب: إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ آل

عمران: ١٢٢، حديث: ٤٠٥٣، ص ٧٩٩ / مسلم: كتاب: الرضاع/ باب: استحباب نكاح البكر، حديث: ٧١٥.

(٦) الباءة: تكاليف الزواج والقدرة عليه.

(٧) وجاء: الوقاية والمنع من الزلل.

## ٦- فئات المستضعفين ( العامل/ الفقير/ الأرملة/ المولى):

المستضعفون الذين رحمهم الله برسالة الرسول - عليه السلام - لم يكونوا من جنس معين، أو وطن محدّد، إنّما كانوا أمة من شتات الخلق وأنحاء الأرض؛ اجتمع فيهم العربيّ والفارسيّ والرّوميّ والبربريّ والحبشيّ على شرع واحد هو الإسلام، مثل: بلال الحبشيّ وسلمان الفارسيّ وغيرهما.

فمن خطابه المستضعفين: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ، أَوْ امْرَأَةً سَوْدَاءَ - كَانَ يَقُمُ<sup>(١)</sup> الْمَسْجِدَ، فَمَاتَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: "أَفَلَا كُنْتُمْ أَذْنُومُونِي<sup>(٢)</sup> بِهِ؟ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ - أَوْ قَالَ: "قَبْرَهَا". فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

ولعنايته بالفقير والمحتاج حظ في مشهد الخطاب: حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ بْنُ إِبرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ". فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْقَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ"<sup>(٤)</sup>. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ، عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ"<sup>(٥)</sup>.

وفي اهتمامه بشأن الأرملة: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمَزٍ الْأَعْرَجِ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ زَيْنَبَ ابْنَةَ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ، عَنْ أُمِّهَا أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَسْلَمَ، يُقَالُ لَهَا: سُبَيْعَةَ، كَانَتْ تَحْتَ زَوْجِهَا، تُؤْفَى عَنْهَا وَهِيَ حُبْلَى، فَخَطَبَهَا أَبُو السَّائِلِ بْنُ بَعْكُكٍ، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَقَالَ:

(١) البخاري: كتاب: الصّوم/ باب: الصّوم لمن خاف على نفسه العزوبة، حديث: ١٩٠٥، ص ٣٧١/ مسلم: كتاب:

النكاح/ باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤونة، واشتغل من عجز عن المؤن بالصّوم، حديث: ١٤٠٠.

(٢) يقيم: يكنس.

(٣) أذن: أخير وأعلم.

(٤) البخاري: كتاب: الصّلاة/ باب: كنس المسجد والنقاط الخرق والقذى والعيذان، حديث: ٤٥٨، ص ١٠٠/ مسلم: كتاب: الجنائز/ باب: الصّلاة على القبر، حديث: ٩٥٦.

(٥) الملهوف: المكروب الذي وقع في ضائقة.

(٦) البخاري: كتاب: الزّكاة/ باب: على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، حديث: ١٤٤٥، ص

٢٨٤/ مسلم: كتاب: الزّكاة/ باب: بيان أنّ اسم الصّدقة يقع على كلّ نوع من المعروف، حديث: ١٠٠٨.

وَاللَّهُ مَا يَصْلُحُ أَنْ تَنْكِحِيهِ حَتَّى تَعْتَدِي آخَرَ الْأَجْلَيْنِ، فَمَكَثَتْ قَرِيبًا مِنْ عَشْرِ لَيَالٍ، ثُمَّ جَاءَتْ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: "اُنْكِحِي"<sup>(١)</sup>.

وفي حسن معاملته عليه السلام مولاه: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ: عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي، فَأَنْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ<sup>(٢)</sup> فَلْيَخْذُمَكَ، قَالَ: فَخَذَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لَمْ صَنَعْتُ هَذَا هَكَذَا، وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: لَمْ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا<sup>(٣)</sup>.

ولقد أعتق الرسول - عليه السلام - زيدًا بن حارثة - رضي الله عنه - وراه أهلاً للزواج بعقيلة من أقرب قريباته، هي زينب بنت جحش، ثم رآها بعد ذلك أهلاً لزواجه منها؛ فهو لم يعطه الحرية والمساواة في العيش وكفى؛ بل رفعه عليه السلام بزواجه من السيدة زينب إلى منزلة اجتماعية رفيعة بشرف هذه المصاهرة. وقد كان زيد "حب رسول الله - عليه السلام": حَدَّثَنَا يَحْيَى ابْنُ قَزَعَةَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ قَائِفٌ<sup>(٤)</sup>، وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَاهِدٌ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مُضْطَجِعَانِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، قَالَ: فَسَرَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَعْجَبَهُ، فَأَخْبَرَ بِهِ عَائِشَةَ<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: الطلاق/ باب: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَمْحَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ﴾ الطلاق: ٤، حديث: ٥٣١٨،

ص ١٠٨٧/ مسلم: كتاب: الطلاق/ باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها، بوضع الحمل، حديث: ١٤٨٥.

(٢) كئيس: نشيط، جاد في العمل.

(٣) البخاري: كتاب: الوصايا/ باب: استخدام اليتيم في السفر والحضر، إذا كان صلاحاً له، ونظر الأم وزوجها لليتيم، حديث: ٢٧٦٨، ص ٥٥٤/ مسلم: كتاب: الفضائل/ باب: كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أحسن الناس خلقاً، حديث: ٢٣٠٩.

(٤) قائف: الذي يتتبع الأثر، ويعرف النسب من الشبه.

(٥) البخاري: كتاب: فضائل الصحابة/ باب: مناقب زيد بن حارثة، مولى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، حديث: ٣٧٣١، ص ٧٣٨/ مسلم: كتاب: الرضاع/ باب: العمل بالحق القائف الولد، حديث: ١٤٥٩.

## ٧- خصائص آخر (الأعرابي/ اليهودي):

لقد خاطب الرسول - عليه السلام - متلقيه المخاطب بما يدركه، فكان يفهم الأعرابي الجافي بما يناسب جفائه وقوته، والحضري بما يلائم حياته وبيئته ومداركه وقدرته على الفهم بالتلميح أو التصريح، يقول بشر بن المعتمر<sup>(١)</sup>: "وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً، وساقطاً سوقياً، فكذا لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً، إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات".

ومن ذلك خطابه عليه السلام أعرابياً: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ، فَقَالَ: "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "مَا أَلْوَأَتْهَا؟" قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: "هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟"<sup>(٢)</sup> قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَأَتَى ذَلِكَ؟"، قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: "فَلَعَلَّ ابْنُكَ هَذَا نَزَعَهُ"<sup>(٣)</sup>.

فقد كانت وسيلة الرسول - عليه السلام - لإقناع الأعرابي بصفة ما أنكره أن يقيس على ما اعتاده الأعرابي في بيئته، مخاطباً عليه السلام العقل والوجدان بحكمة وأناة. وفي حديث آخر: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ قَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاولَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ دُنُوبًا"<sup>(٤)</sup> مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ"<sup>(٥)</sup>.

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/١٤٤.

(٢) أَوْرَقٌ: الذي لونه بين السواد والغبرة.

(٣) البخاري: كتاب: الطلاق/ باب: إذا عرض بنفي الولد، حديث: ٥٣٠٥، ص ١٠٨٤/ مسلم: كتاب: اللعان/ حديث: ١٥٠٠.

(٤) الدُّنُوبُ: الدلو العظيمة.

(٥) البخاري: كتاب: الوضوء/ باب: صب الماء على البول في المسجد، حديث: ٢٢٠، ص ٥٤/ مسلم: كتاب: الطهارة/ باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، حديث: ٢٨٤.

فقد عالج الرسول - عليه السلام - موضوع الخطاب ببسر، فقد كان يسلك أسهل السبل، وأقربها إلى النفوس، ويبتعد عن التشديد والتعقيد، كما في قوله عليه السلام في الحديث السابق: "فإنما بُعِثْتُمْ مُيسِّرينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرينَ".

ويقول العسكري في مخاطبة كلِّ حسب قدر فهمه<sup>(١)</sup>: "وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوق، والبدوي بكلام البدو ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتُعدم منفعة الخطاب".

وفي خطاب اليهودي: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا وَهَبٌ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: "مَنْ؟" قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: "ادْعُوهُ". فَقَالَ: "أَضْرَبْتَهُ؟" قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ: وَالَّذِي اصْطَقَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، قُلْتُ: أَيَّ خَبِيثٍ، عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَخَذْتَنِي غَضَبَةً ضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْغَفُونَ"<sup>(٢)</sup> يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكُنَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى"<sup>(٣)</sup>.

#### ٨- الوضع السياسي (الأسير/ الوفود/ العدو):

كان عليه السلام يخاطب كلَّ حسب المستوى السياسي، والاجتماعي والاقتصادي بألفاظ مناسبة، ويقول ابن وهب الكاتب في الخطيب<sup>(٤)</sup>: "ولا يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة، ولا كلام الملوك مع السوق؛ بل يعطي لكلِّ قومٍ من القول مقدارهم، ويزنهم بوزنهم".

(١) العسكري، الصناعتين، ص ٢٩.

(٢) يَصْغَفُونَ: يَصْنَعُ الْخَلْقُ: أَي يَمُوتُونَ، وَالصَّعِقُ: الشَّدِيدُ الصَّوْتِ.

(٣) البخاري: كتاب: الخصومات/ باب: ما يُذكر في الأشخاص والمُلَازمة والخصومة بين المسلم واليهودي،

حديث: ٢٤١٢، ص ٤٧٠/ مسلم: كتاب: الفضائل/ باب: من فضائل موسى - عليه الصَّلَاة والسلام، حديث:

٢٣٧٣.

(٤) البرهان في وجوه البيان، ص ١٩٤.



**الأسير:** قَالَ إِبْرَاهِيمُ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَجَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي، فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي، وَقَادَيْتُ عَقِيلًا فَقَالَ: "خُذْ". فَأَعْطَاهُ فِي ثَوْبِهِ<sup>(١)</sup>.

وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَتَّوْرٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "فُكُّوا الْعَانِي - يَعْنِي الْأَسِيرَ - وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَغُودُوا الْمَرِيضَ"<sup>(٢)</sup>.

**الوفود:** حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا<sup>(٣)</sup> مِنْ مَالِي، فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "مَنْ الْقَوْمُ، أَوْ مَنْ الْوَفْدُ؟" قَالُوا: رَبِيعَةٌ، قَالَ: "مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ - غَيْرَ خَزَايَا، وَلَا نَدَامَى"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصَلِّ<sup>(٤)</sup>، نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَسَلَّوَهُ عَنِ الْأَشْرَبَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ"، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الْحَنْثَمِ<sup>(٥)</sup>، وَالذُّبَاءِ<sup>(٦)</sup>، وَالنَّقِيرِ<sup>(٧)</sup>، وَالْمَرْفَتِ<sup>(٨)</sup>، وَرَبَّمَا قَالَ: "الْمُقَيْرِ"<sup>(٩)</sup>، وَقَالَ: "احْفَظُوهُمْ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ"<sup>(١٠)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: الجهاد والسير/ باب: فداء المشركين، حديث: ٣٠٤٩، ص ٦٠٧.

(٢) البخاري: كتاب: الجهاد والسير/ باب: فكاك الأسير، حديث: ٣٠٤٦، ص ٦٠٧.

(٣) سهمًا: التصيب المقدّر من الغنيمة.

(٤) فصل: البيان الواضح القاطع.

(٥) الحنثم: إناء يصنع من طين وماء ودم.

(٦) الذبأ: القرع، وهنا إناء يصنع من القرع.

(٧) النقير: جذع الشجر ينقر ويتخذ إناءً.

(٨) المرفت: إناء يطلى بالزفت أو القار.

(٩) المقير: إناء يطلى بالقار.

**العدو:** حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا: السَّامُ<sup>(٢)</sup> عَلَيْكَ، فَلَعَنَهُمْ، فَقَالَ: "مَا لَكُمْ؟" قُلْتُ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: "فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"<sup>(٣)</sup>.

#### ٩- خصائص ثقافية (العالم/ الجاهل):

**خطاب عالم الدين:** حَدَّثَنَا مُوسَى: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَّانَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَقْمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالْأَنْهَارَ عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ<sup>(٤)</sup>: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

**خطاب الجاهل:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ: أَخْبَرَنَا مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ ثَابَ<sup>(١)</sup> مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابُ<sup>(٢)</sup>، فَكَسَعَ<sup>(٣)</sup> أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ

(١) البخاري: كتاب: الإيمان/ باب: أداء الخمس من الإيمان، حديث: ٥٣، ص ٢٠-٢١/ مسلم: كتاب: الإيمان/ باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وشرائع الدين، والدعاية إليه، والسؤال عنه، وحفه، وتبليغه من لم يبلغه، حديث: ١٧.

(٢) السَّامُ: الموت.

(٣) البخاري: كتاب: الجهاد والسير/ باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، حديث: ٢٩٣٥، ص ٥٨٥/ مسلم: كتاب: السلام/ باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم، حديث: ٢١٦٥.

(٤) الزمر: ٦٧.

(٥) البخاري: كتاب: التوحيد/ باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ فاطر: ٤١، حديث:

٧٤٥١، ص ١٤٧٧/ مسلم: كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، حديث: ٢٧٨٦.

(١) ثاب: رجع أو اجتمع.

(٢) لَعَابُ: يلعب بالحراب.

(٣) الْكَسَعَ: الضرب على المؤخرة.

المُهَاجِرِيُّ: يَا لِمُهِاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: "مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟"، ثُمَّ قَالَ: "مَا شَأْنُهُمْ؟". فَأُخْبِرَ بِكُسْعَةِ الْمُهِاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "دَعُوها فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ". وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سُلُولٍ: أَقْدُ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا؟ لِيُنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ" (١).

وعليه، فإنّ البنّيات اللّغويّة المتعدّدة في الخطاب النبويّ مع تعدّد مستويات المتلقّي، ببنيّته: السّطحية والعميقة تنقسم إلى مستويين بنيويّين من وجهة الخطاب اللّسانيّ الاجتماعيّ والنّفسيّ: فأما المستوى الأوّل فهو البنية الخارجيّة، وتمثّل ثنائيّة: (الرّسول - عليه السّلام - / المخاطب)، في المفهوم الضيق للحديث النبويّ في عصر النّبوة، أو (الرّسول/ المسلم) في المفهوم الأعم والأشمل (٢).

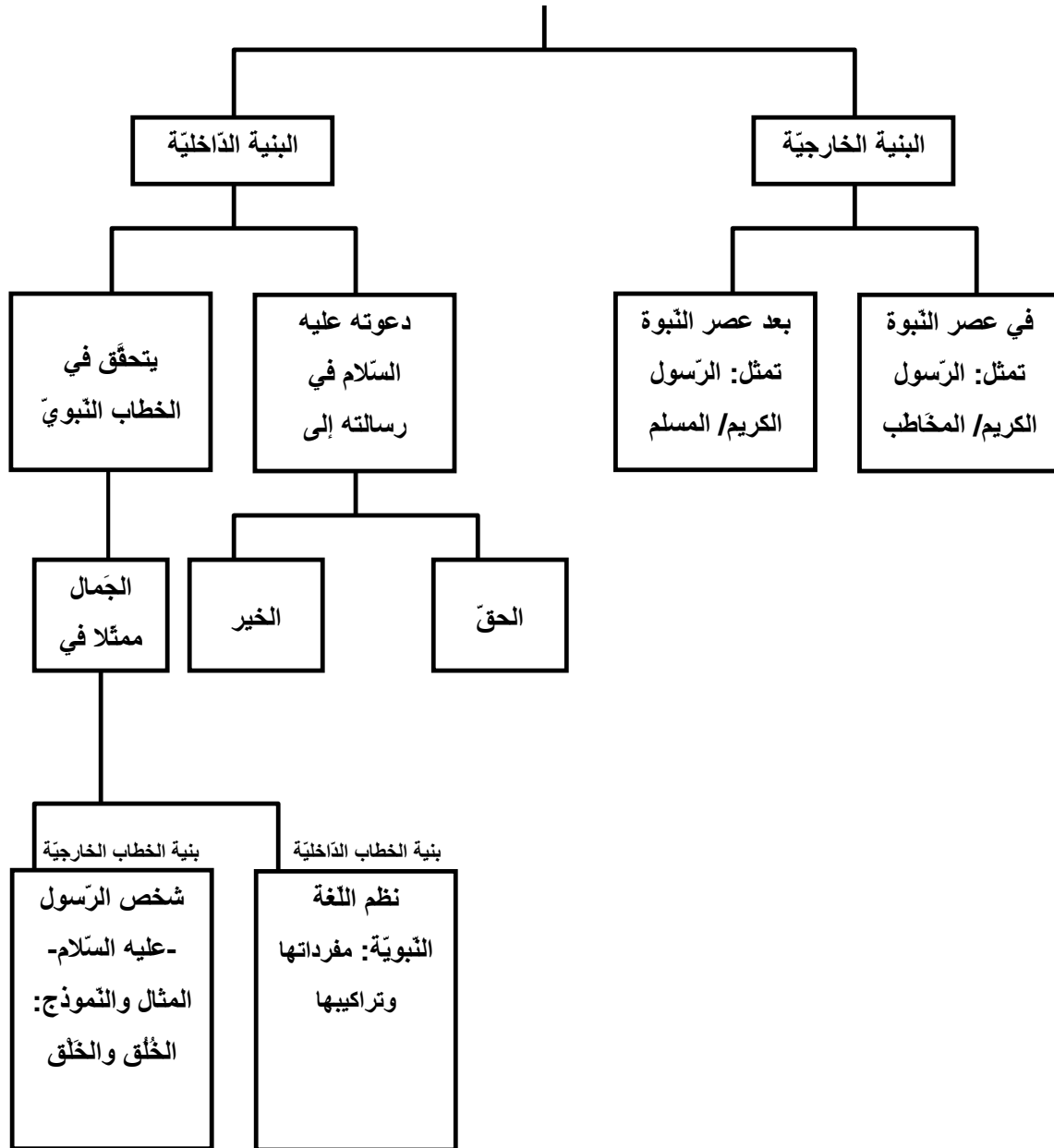
وأما المستوى الثّاني، فهو البنية الدّاخلية، وتمثّل ثلاثيّة: (الحقّ/ الخير/ الجمال)؛ فمضمون الخطاب النبويّ يدعو إلى الحقّ والخير في رسالته المؤيّدّة، ويمثّل جمال اللّغة في بنية الخطاب اللّغويّة الدّاخلية في مفرداته وتراكيبه ونظمه، ويمثّل جمال الخلق والخلق في بنية الخطاب اللّغويّة الخارجيّة الممثّلة في شخص نبي الله - عليه السّلام - النّمودج الذي كان في فعله وقوله محقّقاً كلام الله على الأرض وعاملاً به.

(١) البخاريّ: كتاب: المناقب/ باب: مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، حديث: ٣٥١٨، ص ٧٠١/ مسلم: كتاب: البر

والصلّة والآداب/ باب: نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث: ٢٥٨٤.

(٢) انظر بيان ذلك في العنصر الثّاني من عناصر الخطاب (المتلقّي) من الدّراسة، ص ١٠٥-١٠٦.

## بنية الخطاب النبوي من وجهة لسانية اجتماعية ونفسية



### العنصر الثالث: نصّ الخطاب النبوي:

"إذا أراك القرآن أنه خطاب السّماء للأرض، أراك هذا<sup>(١)</sup> أنه كلام الأرض بعد السّماء"<sup>(٢)</sup>. ولما كان فعل التّواصل الإنسانيّ يعتمد اعتماداً بيّناً الرّموز الاجتماعيّة<sup>(٣)</sup> المتداولة بين مستخدميه، فإنّ لغة خطاب الرّسول - عليه السّلام - بوصفها رمزاً اجتماعيّاً في واقع الحياة الإنسانيّ - تنوّعت بين دلالة المنطوق اللّغويّ والدّلالة السّيميائيّة، بفعله غير اللّسانيّ في سياقات لغويّة معينة في تفاعله مع المخاطب في فعل التّواصل النبويّ<sup>(٤)</sup>.

فنصّ الخطاب النبويّ هو العنصر الثالث من عناصر الخطاب النبويّ ورسالته التي تتحقّق بوسائل لغويّة متنوّعة بين طرفي التّواصل، وهو إمّا لفظ لسانيّ أو فعلٌ غير لسانيّ كإشارة باليد أو الرّأس أو الأرجل... إلخ، أو إقرار فعل ما بالصّمت أو بحركة معيّنة.

**وفي إقرار فعل ما بحركة منه عليه السّلام:** حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: دَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أُرْمِيَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، قَالَ: "لَا حَرَجَ"، وَقَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أُذْبَحَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: "لَا حَرَجَ"<sup>(٥)</sup>.

فقلّب الرّسول - عليه السّلام - يده إلى الخارج فعلٌ يعني به المتابعة، أو البدء فيه لمن لا يعرف الحُكم الشرعيّ في المسألة.

**وفي إقرار فعل ما بالصّمت من جهة المخاطب:** حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "لَا تُنْكَحُ الْأَيْمُ

(١) بيان الرّسول.

(٢) الرّافعيّ، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص ٢٢٧.

(٣) تعدّ الرّموز الاجتماعيّة أهمّ من المنتجات الحضاريّة من وجهة نظر "علم النّفس الاجتماعيّ"، والرّمز مساو للعلامة إذا تمّ بناءً على مواضع اجتماعيّة، لا بناءً على علاقة طبيعيّة بينه وبين المرموز إليه، وكثير من حركاتنا التّعبيريّة رموز، انظر أوتولكينبرغ، علم النّفس الاجتماعيّ، ص ٨.

(٤) للتّوسّع في فعل التّواصل الحركيّ النبويّ، انظر عيد، علم لغة الحركة بين النّظريّة والتّطبيق، الفصل الثالث، ص ١٣٨ - ١٩٦.

(٥) البخاريّ: كتاب: العلم/ باب: من أجاب الفتيا بإشارة اليد أو الرّأس، حديث: ٨٤، ص ٢٨ / مسلم: كتاب: الحج/ باب: مَنْ حَلَقَ قَبْلَ التَّحَرِّ، أو نَحَرَ قَبْلَ الرَّمْيِ، حديث: ١٣٠٦.

حَتَّى تُسْتَأْمَرَ<sup>(١)</sup>، وَلَا تُنْكَحُ الْبُكَرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: "أَنْ تَسْكُتَ"<sup>(٢)</sup>؛ فَصَمَّتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ لَهَا الزَّوْاجُ خَجَلًا، جَوَابٌ يَشِي بِالْمُوَافَقَةِ.

### الخطاب النبوي في الصحيحين يمكن تقسيمه إلى الأنواع التالية:

الأول: نص الحديث النبوي صورة لفظية خالصة لرسول الله - عليه السلام.

كقوله عليه السلام: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ: أَنَّهُ سَمِعَ عَقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"<sup>(٣)</sup>.

وقوله: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو النَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْقِرُوا"<sup>(٤)</sup>.

الثاني: نص الحديث النبوي مشهد تواصل لغوي غير لسانی حسب، متداول بين طرفي الخطاب: الرسول - عليه السلام - والمتلقي المخاطب الذي يشارك في الفعل غير اللساني.

حَدَّثَنَا مُوسَى: حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قُمْتُ لَيْلَةً أُصَلِّي عَنْ يَسَارِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخَذَ بِيَدِي، أَوْ بَعْضُدِي، حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، وَقَالَ بِيَدِهِ مَنْ وَرَائِي<sup>(٥)</sup>.

الثالث: نص الحديث النبوي يمثل مشهداً لغوياً غير لسانی، المنشئ الرسول - عليه السلام - وحده، دون إشراك المتلقي في فعل التواصل غير اللساني.

(١) تستأمر: طلب الأمر، فلا يُعقد عليها حتى يطلب الأمر منها.

(٢) البخاري: كتاب: النكاح/ باب: لا يُنْكَحُ الْأَبُ وَغَيْرُهُ الْبُكَرَ وَالْثِيْبَ إِلَّا بِرِضَاهُمَا، حديث: ٥١٣٦، ص ١٠٥٠.

(٣) البخاري: كتاب: الوحي/ باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، حديث: ١، ص ٧/ مسلم: كتاب: الإمارة/ باب: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"، وأنه يدخل في الغزو وغيره من الأعمال، حديث: ١٩٠٧.

(٤) البخاري: كتاب: العلم/ باب: ما كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، حديث: ٦٩، ص ٢٥/ مسلم: كتاب: الجهاد والسير/ باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير، حديث: ١٧٣٢.

(٥) البخاري: كتاب: الآذان/ باب: ميمنة المسجد والإمام، حديث: ٧٢٨، ص ١٤٧/ مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/ باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث: ٧٦٣.

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يُسَبِّحُ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ، يَوْمَئِذٍ بِرَأْسِهِ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ<sup>(١)</sup>.

**الرَّابِع:** نصّ الحديث النبويّ مشهد تواصل لغويّ (لسانيّ - غير لسانيّ)، متداول بين طرفي الخطاب (الرّسول - عليه السّلام- والمخاطب).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقُ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: لَمَّا بُنِيَتْ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَبَّاسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْحَجَّارَةُ، فَقَالَ عَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقْبِكَ مِنَ الْحَجَّارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ<sup>(٢)</sup> إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَقْبَقَ فَقَالَ: "إِزَارِي إِزَارِي". فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ<sup>(٣)</sup>.

**الخامس:** نصّ الحديث النبويّ مشهد تواصل لغويّ (لسانيّ - غير لسانيّ)، صادر عن الرّسول - عليه السّلام - حسب، دون مشاركة المخاطب.

حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ<sup>(٤)</sup>.

وأيّ نصّ للحديث النبويّ من الأنواع المذكورة موجّه لمخاطبين اثنين: المخاطب العينيّ الخاصّ: المقصود به المشاهد الرّسول - عليه السّلام - أو السّامع له في فعل التّواصل النبويّ في الدّائرة المحدودة والضّيقة، والمخاطب الذهنيّ العامّ: المقصود به المسلم الحاضر في ذهن الرّسول - عليه السّلام - في الدّائرة الأبعد والأشمل والأعمّ لفعل التّواصل النبويّ.

(١) البخاريّ: كتاب: تقصير الصّلاة/ باب: مَنْ تَطَوَّعَ فِي السَّفَرِ، فِي غَيْرِ دُبُرِ الصَّلَاةِ وَقَبْلَهَا، حديث: ١١٠٥، ص ٢١٨/ مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/ باب: جواز صلاة النافلة على الدّابة في السّفَر حيث توجّهت به، حديث: ٧٠٠.

(٢) طَمَحَتْ عَيْنَاهُ: ارتفعت ونظرت.

(٣) البخاريّ: كتاب: مناقب الأنصار/ باب: بنيان الكعبة، حديث: ٣٨٢٩، ص ٧٥٤/ مسلم: كتاب: الحيض/ باب: الاعتناء بحفظ العورة، حديث: ٣٤٠.

(٤) البخاريّ: كتاب: الصّلاة/ باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث: ٤٨١، ص ١٠٤/ مسلم: كتاب: البر والصّلة والأدب/ باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث: ٢٥٨٥.

وتجدر الإشارة إلى أنّ أفعال الرّسول - عليه السّلام - غير اللّسانيّة واقعة موقع البيان، وهي بمنزلة الخطاب كما يبيّن ابن عقيل<sup>(١)</sup>: "اعلم أنّ أصول الفقه مرتّبة، فأولّها الخطاب الوارد في كتاب الله وسنّة رسوله، وثانيها الكلام في أحكام أفعال الرّسول الواقعة موقع البيان المجمل في كتاب أو سنّة أو ابتداء إثبات حكم بها؛ لأنّها إذا وقعت موقع البيان صارت بمنزلة الخطاب، وربّما كان البيان بها لمن علّمها وشاهدها أبلغ منه القول".

### تأثير لغة الخطاب النبويّ بشقيها: اللّسانيّ وغير اللّسانيّ في المتلقّي:

---

(١) ابن عقيل، أبو الوفاء عليّ بن عقيل بن محمّد بن عقيل الحنبليّ البغداديّ الظفريّ، الفقيه الواعظ الأصوليّ (ت ٥١٣ هـ)، الواضح في أصول الفقه، ط ١، (حقّقه جورج المقدسيّ وقَدّم له وعلّق عليه)، بيروت، ١٩٩٦، ١٤٥/١.



لقد عُني الرسول - عليه السلام - في خطابه النبوي بالمتلقي، فغرضه عليه السلام تحقيق التأثير الذي يعطي خطابه فاعليته، مستنداً في ذلك إلى تنوع إجراءات التعبير بين اللساني وغير اللساني، ومستعيناً بالعاملين الاجتماعيين والنفسيين اللذين يعدّان عاملين حاسمين في إحداث التفاعل بين أطراف الخطاب.

وتتحقق وظيفة الخطاب النبوي، بالنظر إليه في إطار عوامل رئيسية ثلاثة ينتظمها الموقف اللغوي، وهي: المنشئ والمخاطب وعناصر الموقف بين كلام و أوضاع حسية، وتعدّ هذه العوامل الرئيسية هي موضوع الخطاب النبوي. والرموز اللغوية في سياقها اللغوي تتواءم مع هذه العوامل الثلاثة؛ ويُقصد بالتواءم أنه إذا اختلف المنشئ<sup>(١)</sup>، أو المخاطب أو عناصر الموقف وأحواله اختلف الرمز اللغوي وفقاً لذلك.

### المؤثرات اللغوية غير اللسانية:

كان عليه السلام يعي أهمية التعبير لكثير من الجوانب الصوتية في كلامه وأسلوب نطقه؛ لما يحدثه ذلك من تأثير في حواس المستمع ومشاعره ومزاجه، فانظر إلى دخوله على زوجه زينب بنت جحش فرعاً؛ لما عرفه من فتح ردم يأجوج ومأجوج.

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ زَيْنَبَ ابْنَةَ أَبِي سَلَمَةَ حَدَّثَتْهُ: أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ حَدَّثَتْهَا، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَخَلَ عَلَيْهَا فَرَعًا يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلِّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ<sup>(٢)</sup> يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذَا". وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ وَبِالَّتِي تَلِيهَا، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: "نَعَمْ إِذَا كَثَرَ الْخَبَثُ"<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

فمشهد التواصل يبين فعل الرسول - عليه السلام - غير اللساني البادي في سيمياء وجهه عند دخوله فرعاً على مخاطبيه، ثم قوله: "لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، يتخيّل القارئ ملامحه عليه السلام ونبرة

(١) والتركيز - كما سبقت الإشارة - على الرسول - عليه السلام - منشئاً أكثر منه مستقبلاً.

(٢) ردم: سد.

(٣) الْخَبَثُ: الفسق والمعاصي والتفارق.

(٤) البخاري: كتاب المناقب/باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث: ٣٥٩٨، ص ٧١٣/مسلم: كتاب: الفتن

وأشراط الساعة/باب: اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج، حديث: ٢٨٨٠.

صوته عند القول الذي يسانده فعله غير اللساني في تحليقه بإصبعه الإبهام والتي تليها<sup>(١)</sup>؛ فما كان من زوجه زينب - رضي الله عنها - إلا أن تسأل سؤالا استنكارياً: "أنهلك وفينا الصالحون؟". فيلاحظ من الرد أن القيم التعبيرية عند زوج الرسول - عليه السلام - متعلقة بالمحتوى النفسي الذي وصل إلى أوجه في خطاب الرسول - عليه السلام - لاستخدامه مؤثرات لغوية غير لسانية بدت أولاً في صوت الفزع، وثانياً بحركة تحليق الأصابع التي ساندتها.

### بين حاستي السمع والبصر:

إن الجمع بين حاستي السمع والبصر في فعل التواصل النبوي تتضافران في إحداث التأثير في المخاطب، فخطابه عليه السلام يفهمه مستمع لفظه ومشاهد فعله؛ لوضوحه ومناسبته السياق اللغوي الذي ورد فيه؛ فحركات الرسول - عليه السلام - وإيماءاته التي لها دلالاتها النبوية الإيحائية الخاصة، وفعلها المؤثر الذي لا يغفل عنه كما في حديث أبي هريرة: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الْفُذَيْكِ، عَنْ ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ، عَنِ الْمُقْبَرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ مِنْكَ كَثِيرًا فَأَنْسَاهُ، قَالَ: "ابْسُطْ رِدْءَكَ"؛ فَبَسَطْتُ، فَغَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: "ضُمَّهُ". فَضَمَّمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدُ<sup>(٢)</sup>.

فحركة الضم للرداء، بمعنى الجمع، وهي من معجزات النبوة.

### الإشارات التلقينية غير اللسانية:

تعدّ الإشارات التلقينية غير اللسانية الصادرة عن العين من أكثر الحركات دلالة في بنية الخطاب النبوي؛ وذلك من جهة التناوب في الحديث أو إعطاء إشارة البدء أو كف أحدهم عن فعل ما أو طلب الخروج أو الموافقة إلى غير ذلك.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمْرُو: أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَسَدِيَّ حَدَّثَهُ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ، تُغَيَّيَانِ بَغْنَاءَ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوْلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَنْتَهَرَنِي، وَقَالَ: مِزْمَارُهُ

(١) تسمى حركة التحليق بالإصبع الإبهام والتي تليها بعقد التسعين.

(٢) البخاري: كتاب المناقب/ باب: "الخیل معقود في نواصيها الخير"، حديث: ٣٦٤٨، ص ٧٢١/ مسلم: كتاب:

فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أبي هريرة الدوسي- رضي الله عنه، حديث: ٢٤٩٢.

الشَّيْطَانُ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ: "دَعُوهمَا". فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزَتْهُمَا فَخَرَجَتَا<sup>(١)</sup>.

حركة السيدة عائشة - رضي الله عنها - إلى الجاريتين أمر لهما، بمغادرة المكان؛ ولعل إصدارها هذا الفعل عن غفلة من أبيها، نابغ من طاعة له؛ لأنه انتهرها عند المغنيتين؛ ظناً منه أن ذلك قد يزعج الرسول - عليه السلام - إلا أنه عليه السلام أقر ذلك الغناء مرتين في مشهد التواصل: عندما اضطجع على الفراش، وحول وجهه، فهذا الفعل يدل على أنه أقر فعل الغناء، ولكنه غض البصر بتحويل وجهه عن الجاريتين والله أعلم، ثم إنه أقر غناء المغنيتين مرة ثانية عندما قال لأبي بكر: "دعهما"، فكان إقراره الفعل لفظياً.

### المسافة المادية بين الأفراد:

من أوضح جوانب السلوك اللغوي غير اللساني التي تساعد على فهم علامات القوة والتضامن دراسة المسافة التي تفصل شخصاً ما عن آخر، وقد تطورت الدراسات الحديثة في ذلك الموضوع حتى صار لها اسم خاص هو "علم التجاورات" الذي يبحث في المسافة المادية التي تفصل بين شخصين، وهي تتناسب مع المسافة الاجتماعية في كل الثقافات<sup>(٢)</sup>.

فوضع الرسول - عليه السلام - رأسه على فخذ زوجه عائشة - رضي الله عنها - يبين قرب المسافة المادية بين الزوجين في مشهد فعل التواصل الذي ثالثه أبوها أبو بكر - رضي الله عنه - الذي يطعنها في خاصرته معاتباً إياها كما في المشهد التالي:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: عَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلَا يَمْتَنِعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرَأْسُهُ عَلَيَّ فَخِذِي<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: العيدين/ باب: الحراب والدرق يوم العيد، حديث: ٩٤٩، ص ١٨٨/ مسلم: كتاب: صلاة

العيدين/ باب: الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه، في أيام العيد، حديث: ٨٩٢.

(٢) انظر هـدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص ٢٢٨.

(٣) البخاري: كتاب: النكاح/ باب: قول الرجل لصاحبه هل أعزمت الليلة؟ وطعن الرجل ابنته في الخاصرة عند

العتاب، حديث: ٥٢٥٠، ص ١٠٧٢/ مسلم: كتاب: الحيض/ باب: التيمم، حديث: ٣٦٧.

## احترام إنسانية الإنسان:

تقديم العون للآخرين فضيلة دعا إليها الرسول - عليه السلام - ولكن المعين لأخيه المسلم قد تفوته أمورٌ لا يغفل عنها عليه السلام، فقد رأى عليه السلام أحدهم يطوف بالكعبة، وقد ربط يده بأخر بخيط أو ما شابه، فما كان من الرسول - عليه السلام - إلا أن قطعه؛ ليردفع فعله الحركي قائلاً: "قَدَّه بيده"، فلقد غفلَ القائد عن أمر نَبَّه عليه الرسول - عليه السلام - وهو ضرورة احترام إنسانية المقود، ومراعاة نفسيته، فهو يرتفع عن مرتبة الدواب التي تقاد بالحبْل أو بالخيط، فعلى القائد أن يقود غيره بيده لا بوسيلة مادية تربطهما معاً، وتُلَمِّح هنا الدعوة إلى التماسك والترابط بين الأفراد في المجتمع الإسلامي.

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى: حَدَّثَنَا هِشَامٌ: أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ أَخْبَرَهُمْ قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ الْأَحْوَلُ: أَنَّ طَاوُوسًا أَخْبَرَهُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ بِإِنْسَانٍ، رَبَطَ يَدَهُ إِلَى إِنْسَانٍ بِسَيْرٍ؛ أَوْ بِخَيْطٍ، أَوْ بِشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَطَّعَهُ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: "قَدَّه بِيَدِهِ"<sup>(١)</sup>.

## المدخل الحسي دافعاً للتأثير النفسي:

قد يكون المدخل الحسي أحد الفضاءات المهمة التي تؤدي بالمخاطب إلى تقبل خطاب الرسول - عليه السلام - اللغوي غير اللساني، وثم إحداث التأثير النفسي المطلوب في المتلقي في فعل التواصل الذي يدفع باستجابة المتلقي الفورية لفعل ما، وهو يحقق بها وظيفة الخطاب النبوي، كما في فعل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الذي شقَّ حُلَّةَ سَيِّرَاءِ<sup>(٢)</sup> بين نسائه كان الرسول - عليه السلام - أعطاهَا له<sup>(٣)</sup> - وقد أهديت إليه عليه السلام - لما رأى - رضي الله عنه - الغضب في سيماء وجهه عليه السلام عندما لبسها، فعلي - رضي الله عنه - تبيّن بهذه الحركة غير الإرادية كراهة لبس الحُلَّةِ السَّيِّرَاءِ؛ وفي ذلك دعوة المؤمن للامتناع عن ارتداء ما حرّم الله عليه في لباسه، وكراهة لبس الحرير والذهب والفضة للرجال.

(١) البخاري: كتاب: الحج/ باب: الكلام في الطواف، حديث: ١٦٢٠، ص ٣١٧.

(٢) الحُلَّةُ السَّيِّرَاءُ: ضربٌ من الثُّرُود فيه خطوط صفراء، ثوب فيه خطوط القزّ أو الذهب الصّافي الخالص.

(٣) نساء علي بن أبي طالب - رضي الله عنه.

حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَيْسَرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَى إِلَيَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حُلَّةً سِيرَاءَ فَلَبِسْتُهَا، فَرَأَيْتُ الْعُضْبَ فِي وَجْهِهِ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي <sup>(١)</sup>.

### بلاغة الفعل غير اللساني (الحركي):

كما في فعل كلام الرسول - عليه السلام - قوة بلاغة تؤثر في متلقي كلمته، ففي فعله غير اللساني قوة بلاغة قد تكون أبلغ من القول في سياقها اللغوي النفسي والاجتماعي المناسب؛ فالحركة تطبق المفصل <sup>(٢)</sup> - إن جاز التعبير - وتصيب الهدف وتحدث تأثيرها النفسي بأقصر طريق لغوي، كإشارة التقليل بالأصابع في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه:

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ عُلْقَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ، لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَسَأَلَ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ". وَقَالَ بِيَدِهِ، وَوَضَعَ أُنْمُلَتَهُ <sup>(٣)</sup> عَلَى بَطْنِ الْوُسْطَى وَالْخِنْصَرِ <sup>(٤)</sup>، قُلْنَا: يُزَهِّدُهَا <sup>(٥)</sup>.

فوضع الرسول - عليه السلام - عقدة إصبعه الشريفة على بطن إصبعيه الوسطى والخنصر هي فعلٌ بمنزلة القول، وقوله: "وقال بيده" فيها إشارة إلى ساعة يقللها من يوم الجمعة إذا وافقها المسلم وسأل الله خيرًا، أعطاه سؤاله بإذن الله، حركة نفسية تدفع المسلم إلى الاجتهاد في الدعاء والعبادة؛ ليوافق هذه الساعة المستجابة.

(١) البخاري: كتاب: النفقات/ باب: كسوة المرأة بالمعروف، حديث: ٥٣٦٦، ص ١٠٩٦/ مسلم: كتاب: اللباس

والزينة/ باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء. وإباحة العلم ونحوه للرجل، ما لم يزد على أربع أصابع، حديث: ٢٠٧١.

(٢) يقول الأصمعي: "البليغ من طبق المفصل، وأغناك عن المفسر"، الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ١٠٦، طبق المفصل: أي أصابه إصابة مُحكمة، فأبان العضو من العضو، ثم جعل لحسن الإصابة في القول، ومن ذلك قولهم: "فلان يقلل الحز"، ويصيب المفصل"، الجاحظ، المصدر نفسه، ١/ ١٤٧.

(٣) الأئمة (بفتح الهمزة): المفصل الأعلى الذي فيه الظفر من الإصبع، والجمع أنامل وأنملات: وهي رؤوس الأصابع.

(٤) الخنصر: بكسر الخاء والصاد، والخنصر: الإصبع الصغرى، وقيل: الوسطى أثنى، والجمع خناصر.

(٥) البخاري: كتاب: الطلاق/ باب: الإشارة في الطلاق والأمور، حديث: ٥٢٩٤، ص ١٠٨٢/ مسلم: كتاب: الجمعة/ باب: في الساعة التي في يوم الجمعة، حديث: ٨٥٢.

إذن فلفعل الحركة النبوية وظيفة كامنة يمكن تحديدها بتدبر الفعل ذاته، وعلاقته بمعتقدات المسلم السائدة في المجتمع الإسلامي.

### الاستهلال الجيد والتلقي:

الابتداء هو وحدة البناء اللغوية الأولى في النص، وهي تفتح قناة التواصل للخطاب، وقد أورد الجاحظ عن عبد الله بن المقفع أنه جعل البلاغة اسمًا جامعًا لمعان تجري في وجوه كثيرة، ذكر منها "ما يكون في الابتداء"<sup>(١)</sup>.

إن الاستهلال الجيد في الخطاب النبوي يبغي وظيفة التلقي قائمة إلى أقصاها<sup>(٢)</sup>، والرسول - عليه السلام - في خطابه التالي يبدأ بأسلوب استفهام يحمل في ثناياه عنصر التشويق لمعرفة الجواب من قبل المخاطب "ألا أخبركم بخير دور الأنصار؟": حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ؟". قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ "بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو سَاعِدَةَ" ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَقَبَضَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالرَّامِي بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: "وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ"<sup>(٣)</sup>.

صورة ذهنية تدرك بالحواس والتصور العقلي، وينضاف إليها ارتباطات خارجية تعطيها جواً خاصاً<sup>(٤)</sup>، كما في عبارة الرسول - عليه السلام: "ألا أخبركم بخير دور الأنصار؟"؛ فهي مشحونة بقيم مرتبطة بمعنى الاستفهام، ولكنها تحمل في ثناياها فهماً دقيقاً لنفسية المخاطب كما يعرفها الرسول - عليه السلام - فهو عندما يعدد غير دار من خير دور الأنصار في الحديث، يعلم ما في نفس مخاطبه، ولا سيما الأنصار من الحضور؛ إذ سيتمنى كلٌ منهم أن يعده الرسول - عليه السلام - مع مَنْ عدَّ، فبحنكته اللغوية عليه السلام، يستدرك بفعل غير لساني على قوله، ثم يتبعه بعبارة شافية وكافية، لها وقعها في نفس سامعها؛ تريحه وتوافق هوى نفسه، يقول: "وفي كل دور الأنصار خير"، فهذه العبارة في سياقها اللغوي الاجتماعي والنفسي خير وصف لها قول ابن

(١) انظر الجاحظ، البيان والتبيين، ١١٥/١.

(٢) ويسمى ابن الأثير الابتداءات، مثل بدايات السور "ألم، حم، طه..."، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، النوع الثاني والعشرون: في المبادئ والافتتاحات، ٩٨/٣.

(٣) البخاري: كتاب: الطلاق/ باب: اللعان، حديث: ٥٣٠٠، ص ١٠٨٣/ مسلم: كتاب: فضائل الصحابة/ باب: في

خير دور الأنصار خير، حديث: ٢٥١١.

(٤) وهذا ما يمكن تسميته بالتأثير الحركي للكلمة.

طباطبا<sup>(١)</sup>: "والنفس تسكن إلى كل ما وافق هواها، وتقلق مما يخالفها، ولها أحوال تتصرف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها، اهتزت له، وحدثت لها أريحية وطرب، فإذا ورد عليها ما يخالفها خلقت واستوحشت".

كما أن حركة يد الرسول - عليه السلام - بقبض أصابعه، ثم بسطها للتعميم والله أعلم.

### تجليات الحوادث النفسية في السلوك غير اللساني:

إن قياس الحوادث النفسية على صعوبتها من التجليات والآثار تدرك بظهورها في الحواس، فلجانِب الصوتي من الكلام علاقة بنفسيّة المتكلم، فوتيرة الصوت وقوّته وتوتره وجرسه معبرٌ عن الحالة النفسيّة للمتكلم؛ فهي توضّح مزاجه، وتعطي انطباعاً عن شخصه، فالنشّاط اللغويّ مرتبط بظواهر جسديّة تعبر عفويّاً عن نواح شعوريّة وإراديّة تؤثر في المتكلم، ومن المعلوم أن دراسة الجانب النفسيّ في الأصوات ممّا يُعنى بها "علم النفس التجريبيّ" و"سيكولوجيّة اللغة"<sup>(٢)</sup>.

وإن رفع الصوت بالصراخ الذي يدلّ على غضب صاحبه، ممّا لا يجب في حضرة الرسول - عليه السلام - كما فعل أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - قبل نزول الآية<sup>(٣)</sup>: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾: حَدَّثَنَا يَسْرَةُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ جَمِيلٍ اللَّحْمِيُّ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عَمْرٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: كَادَ الْخَيْرَانُ أَنْ يَهْلِكََا<sup>(٤)</sup> - أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ ابْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ - قَالَ نَافِعٌ: لَا أَحْفَظُ اسْمَهُ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَأَرْتَفَعْتُ أَصْوَاتَهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ<sup>(٥)</sup>: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾. قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ<sup>(٦)</sup>.

(١) عيار الشعر، ص ١٥.

(٢) انظر عيسى، حنفي (١٩٨٠)، محاضرات في علم النفس اللغوي، ط ٢، الجزائر، الشركة الوطنية، ص ١٠٤.

(٣) الحجرات: ٢.

(٤) يَهْلِكَا: يقعا في الإثم.

(٥) الحجرات: ٢.

(٦) البخاري: كتاب: التفسير/ باب: قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ﴾ الحجرات: ٢، حديث: ٤٨٤٥،

## التأثير الحركي للكلمة:

الوجه أفضل جهاز لقياس مزاج الإنسان، فإحشاءات الوجه تبوح بما يختلج أعضاء صاحبها بطريقة عفوية، ويظهر ذلك بجلاء في ارتفاع درجة حرارة الشخص واحمرار وجهه وانتفاخ أوداجه التي تعبّر عن استجابته من أمر ما، والرّسول - عليه السّلام - يتمعر وجهه غضباً من تعريض أحد المنافقين من الأنصار في قسمة الرّسول - عليه السّلام - بقول هذا الأوّل: "مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ"، ومع ذلك فعليه السّلام يكظم الغيظ بحلم وأناة، ولا يكون بلفظه وبيانه إلا مثلاً للخلق السّامي في ترفعه عن الرّد الذي لا يليق بشخصه عليه السّلام، ونموذجاً في الصّبر على الأذى يُمثّل به ويحتذى؛ وذلك بقوله: "رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ".

حَدَّثَنَا قَبِيصَةَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا قَسَمَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قِسْمَةَ حُنَيْنٍ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: "رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ" <sup>(١)</sup>.

وهذه القوّة في تحمّل الرّسول - عليه السّلام - نفسيّة مخاطبه، تنسحب على قوّة بيانه في الرّد على من أساء إليه في خطابه النّبوي؛ ليفحم مخاطبه ويسكته ويخجله، وفي هذا تأكيد فلسفة البيان النّبوي التي تمتدّ إلى الحياة، وتنبع من النّفس كما يقول الرّافعي <sup>(٢)</sup>: "ولهذه القوّة النّادرة كان بيانه قوياً على مزج معانيه بالنّفس بما فيه من صنعة الحياة، وإثما فلسفة البيان الفنيّ أن تمتدّ إلى الحياة، ومن النّفس إلى اللفظ".

ويبين عليه السّلام للمسلم علاجاً لتخفيف الغضب والانفعال، بكلمات لو قالها الغاضب؛ لذهب عنه ما يجد: حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرَجُلَانِ يَسْتَبْئَانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّتْ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ <sup>(٣)</sup>، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ:

(١) البخاري: كتاب: المغازي/ باب: غزوة الطائف، حديث: ٤٣٣٥، ص ٨٤٩/ مسلم: كتاب: الزّكاة/ باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه، حديث: ١٠٦٢.

(٢) الرّافعي، مصطفى (٢٠٠٥)، وحي القلم، ط١، بيروت: دار ابن حزم، بعناية: بسام عبد الوهّاب الجابيّ ٧٥٧/٣.

(٣) أوداجه: عروق تكتنف الحُقوم.



أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ". فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ"، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ؟<sup>(١)</sup>.

### بثّ الأمن والثقة بالله:

لقد كان عليه السلام في خطاب الصحابة يبيث فيهم الأمن والثقة، فالله حليف المؤمنين، فهذا أبو بكر يتلقى خطاب الرسول - عليه السلام - وهما في غار ثور مطمئناً ومنصتاً لعبارته التي تحدث في نفسه تأثير البلسم بقوله عليه السلام: "اسْكُتْ يَا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما".

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْغَارِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصْرَهُ رَأَى، قَالَ: "اسْكُتْ يَا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما"<sup>(٢)</sup>.

يبين أصحاب نظرية التلقي<sup>(٣)</sup> أن عنصر التأثير في المتلقي نابع من إعادة العقل البشري اكتشاف "الأنا" في "الأنثى"؛ وذلك أن معرفة الذات تتوقف على إسقاط الحياة الباطنية الخاصة بالمتلقي على موضوعات حوله؛ ليشعر بانعكاس التجربة فيه، ثم إن فهمه الآخر يتم من جملة التعبيرات التي تُنقل إليه عن طريق تأثير إشارات الآخر وأفعاله في حواس المتلقي<sup>(٤)</sup>.

### الودّ والعطف بين الأزواج:

كتب تصدّر تعلم الأزواج كيف يعامل بعضهم بعضاً في مناحي الحياة الاجتماعية والنفسية المختلفة، فأين هم من خطاب الرسول - عليه السلام - في مراعاة أهل بيته، وتعليم حق الزوجة على زوجها؟ فهو في الخطاب التالي يبدي لزوجته عائشة - رضي الله عنها - تعاطفاً وحباً، ويضع خذه الكريم على خدها، وهي تراقب فتنية الحبشة وهم يلعبون.

(١) البخاري: كتاب: بدء الخلق/ باب: صفة إبليس وجنوده، حديث: ٣٢٨٢، ص ٦٥٣/ مسلم: كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: مَنْ يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب، حديث: ٢٦١٠.

(٢) البخاري: كتاب: مناقب الأنصار/ باب: هجرة النبي - عليه السلام - وأصحابه، حديث: ٣٩٢٢، ص ٧٧٤/ مسلم: كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه، حديث: ٢٣٨١.

(٣) منهم الفيلسوف هانس وغادامير.

(٤) انظر صالح، بشرى (٢٠٠١)، نظرية التلقي أصول ... وتطبيقات، ط ١، المغرب: المركز الثقافي العربي، ص ٣٨ - ٣٩.

وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالْدَّرَقِ وَالْحَرَابِ، فِيمَا سَأَلْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِمَامًا قَالَ: "تَشْتَهِيْنَ تَنْظَرِينَ؟" فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدَّيْ عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: "دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ". حَتَّى إِذَا مَلَلْتُ، قَالَ: "حَسْبُكَ؟" قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "فَاذْهَبِي" <sup>(١)</sup>.

### قارئ النفس البشرية:

قدرته عليه السلام في الولوج إلى نفسية مخاطبه في خطابه النبوي يصدق عليه وصف قارئ النفس البشرية؛ لمعرفته كوامن النفس التي يتواصل معها، فالرسول - عليه السلام - يستطيع أن يقرأ مخاطبه من قوله وحركاته وإيماءاته، فيعرف مزاجه وطباعه، وبم يفكر، فهو يعلم في الخطاب التالي متى تكون السيدة عائشة - رضي الله عنها - راضية عنه، والوقت الذي تكون عليه غضبي.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتَ عَلَيَّ غَضْبَى". قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: "أَمَّا إِذَا كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبَّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتَ غَضْبَى، قُلْتُ: لَا وَرَبَّ إِبْرَاهِيمَ". قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ <sup>(٢)</sup>.

### اعتذار لبق:

الرسول - عليه السلام - حريصٌ على المحافظة على مشاعر الآخرين في مشهد التواصل الاجتماعي، وبحسبه النبوي وحصافته يقرأ علامات الوجوه، فقد رأى استياءً في ملامح صاحب هدية قدّمت له، وهو في الأبواء أو بودّان، عندما رفضها، فما كان من الرسول - عليه السلام - إلا أن أسرع بتقديم اعتذار شفهي، بشكل مهذب ولائق ولبق.

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَنَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ -

(١) البخاري: كتاب: العيدين/ باب: الحراب والدرق يوم العيد، حديث: ٩٥٠، ص ١٨٨/ مسلم: كتاب: / باب:

الرخصة في اللعب، الذي لا معصية فيه، في أيام العيد، حديث: ٨٩٢.

(٢) البخاري: كتاب: النكاح/ باب: غيره النساء ووجدهن، حديث: ٥٢٢٨، ص ١٠٦٨/ مسلم: كتاب: فضائل

الصحابه/ باب: في فضل عائشة - رضي الله عنها، حديث: ٢٤٣٩.

صلى الله عليه وسلم- جَمَارًا وَحَشِيًّا، وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بَوْدَانَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: "أَمَّا إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ"<sup>(١)</sup>.

### بين حركة ولفظ يعلم الرسول -عليه السلام- المسلم درساً:

إذا أتى عليه السلام بطعام أكل منه إن كان هدية، أما إذا كان صدقة؛ امتنع عن الأكل، مبيّناً السبب، كما تصرف مع أحد حفيديه عندما أكل ثمرة من مال الصدقة.

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ: حَدَّثَنَا أَبِي: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدٍ ابْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُؤْتِي بِالثَّمَرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ<sup>(٢)</sup>، فَيَجِيءُ هَذَا بِثَمَرِهِ، وَهَذَا مِنْ ثَمَرِهِ، حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ ثَمَرٍ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ الثَّمَرِ. فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا ثَمَرَةً فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ، فَقَالَ: "أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ؟"<sup>(٣)</sup>

### حنو على الصغير:

مشهد التواصل الاجتماعي المتمثل في لقاء أغيلمة بني عبد المطلب للرسول - عليه السلام - عند عودته إلى مكة يبيّن حنوه عليه السلام على الصغار المبتهجين في ودّ وصفاء، فهو حريص على مراعاة نفسيّة الكبير والصغير.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَكَّةَ، اسْتَقْبَلَهُ أُغَيْلِمَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَحَمَلَ وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَآخَرَ خَلْفَهُ<sup>(٤)</sup>.

وتقبيل الأب ابنه يعبر عن المحبة والودّ بينهما، وهي علاقة إنسانية فطرية، يدعو الرسول- عليه السلام- إليها من قسا قلبه على أولاده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامٍ، عَنْ

(١) البخاري: كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب: قبول الهدية، حديث: ٢٥٧٣، ص ٥٠٦/ مسلم: كتاب: الحج/ باب: تحريم الصيد للمحرم، حديث: ١١٩٣.

(٢) صِرَامِ النَّخْلِ: وقت قطف الثمر.

(٣) البخاري: كتاب: الزكاة/ باب: أخذ صدقة الثمر عند صرام النخل، وهل يُترك الصبي فيمسّ ثمر الصدقة؟ حديث: ١٤٨٥، ص ٢٩٤/ مسلم: كتاب: الزكاة/ باب: تحريم الزكاة على رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعلى آله، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وغيرهم، حديث: ١٠٦٩.

(٤) البخاري: كتاب: اللباس/ باب: الثلاثة على الدابة، حديث: ٥٩٦٥، ص ١٢٠٠.

عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصَّبِيَّانَ؟ فَمَا تُقَبِّلُهُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟"<sup>(١)</sup>. فتقبيل الأبناء كما يبين الرسول-عليه السلام- رحمة وضعها الله في صدور الآباء.

### بشّروا ولا تنفروا:

بُعث الرسول - عليه السلام - مبشّراً للناس، وميسراً عليهم، وهو يدعو الصحابة إلى ذلك عندما قام أعرابيٌّ؛ فبال في المسجد، فتناوله الناس بالإساءة، فأمرهم الرسول - عليه السلام - بتركه وإراقة الماء على بوله؛ ليظهر المكان مراعيًا نفسيّة المتلقّي في مشهد التواصل النبويّ. حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ- أَوْ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ- فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"<sup>(٢)(٣)</sup>.

### الشّعور الجمعيّ:

ثمّة ما يسمّى بـ"الشّعور الجمعيّ" أو "الإرادة الجمعيّة"<sup>(٤)</sup> في علم النفس: وهو خصيصة في سلوك الجماهير، ومبعثها نفسيّ، هو المشاركة الوجدانيّة الفطريّة لفعل ما، وهي تسري بين مجموعة من الناس بتلقائيّة، كأنّ يبدأ أحدهم بالضحك، ثمّ يبدأ الباقون بالابتسام، ثمّ الضحك أحياناً عند من بدأه.

ومن ذلك فعل الرسول - عليه السلام - في التواصل اللغويّ الاجتماعيّ، يبكي أحد الصحابة، وهو في غاشية أهله، مريضاً يحتضر، فلما رأى القوم بكاء النبي - عليه السلام - بكوا لبكائه.

(١) البخاريّ: كتاب: الأدب/ باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث: ٥٩٩٨، ص ١٢٠٧/ مسلم: كتاب:

الفضائل/ باب: رحمة صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث: ٢٣١٧.

(٢) البخاريّ: كتاب: الوضوء/ باب: صبّ الماء على البول في المسجد، حديث: ٢٢٠، ص ٥٤/ مسلم: كتاب:

الطهارة/ باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأنّ الأرض تطهر بالماء من

غير حاجة إلى حفرها، حديث: ٢٨٤.

(٣) تكرر الشاهد سابقاً في الدراسة، ص ١٢٨.

(٤) انظر بيرت، علم النفس الدينيّ، ص ٤٦.

حَدَّثَنَا أَصْبَغُ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: اسْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ: "قَدْ قَضَى؟" قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبَكَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَكَوْا، فَقَالَ: "أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهِذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذِّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ". وَكَانَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا، وَيَرْمِي بِالْحَجَارَةِ، وَيَحْتِي بِالتَّرَابِ (٥).

### المحتوى الاجتماعي للألفاظ:

تبيّن الألفاظ الخصائص الاجتماعية والنفسية للمتكلّم أو المخاطب مثل: الجنس والعمر والمحصلة الثقافية.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقُ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمُ رَبَّكَ، وَضَيُّ رَبِّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلَيَقُلْ سَيِّدِي مُوَلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أُمِّي، وَلَيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغَلَامِي" (٦).

في الحديث عبارات اجتماعية دارجة، ألفها المجتمع وتداولها مثل القول: "فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغَلَامِي"، بدل: "عَبْدِي أُمِّي".

ولفظ "لكع" في الحديث التالي: للدلالة على الصّغير: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي طَائِفَةِ النَّهَارِ، لَا يُكَلِّمُنِي، وَلَا أَكَلُمُهُ حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِي

(٥) البخاري: كتاب الجنائز/ باب: البكاء عند المريض، حديث: ١٣٠٤، ص ٢٥٧/ مسلم: كتاب الجنائز/ باب: البكاء على الميت، حديث: ٩٢٤.

(٦) البخاري: كتاب العتق/ باب: كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمّي، حديث: ٢٥٥٢، ص ٥٠١/ مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها/ باب: حُكْمُ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْعَبْدِ وَالْأَمَةِ وَالْمَوْلَى وَالسَّيِّدِ، حديث: ٢٢٤٩.

فَيُنْقَاعُ، فَجَلَسَ بِفَنَاءِ بَيْتِ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: "أَتَمَّ لَكُمُ<sup>(١)</sup>، أَتَمَّ لَكُمُ". فَحَبَسَتْهُ سَيِّئًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تُلْبِسُهُ سِخَابًا<sup>(٢)</sup>، أَوْ تُغَسِّلُهُ، فَجَاءَ يَسْتَدُّ حَتَّى عَانَقَهُ وَقَبَّلَهُ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ أَحَبِّهِ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) اللُّكْعُ: كلمة تقال للصَّغِيرِ، وقول أبي هريرة: أتم لكع، يعني الحسن والحسين- رضي الله عنهما.

(٢) سِخَابًا: خيط يُنْظَمُ فيه خرز، ويلبسه الصِّبْيَانُ والجَوَارِي.

(٣) البخاري: كتاب: البيوع/ باب: ما ذكر في الأسواق، حديث: ٢١٢٢، ص ٤١٤ / مسلم: كتاب: فضائل

الصَّحَابَةِ/ باب: فضائل الحسن والحسين، حديث: ٢٤٢١.

## تأثير الرسول - عليه السلام - في لغة الخطاب النبوي من الوجهتين الاجتماعية والنفسية

لم يقصد من هذا المبحث بيان تأثير الرسول - عليه السلام - في اللغة عموماً، من قبل إضافته عليه السلام ألفاظاً كثيرة؛ ممّا لم تسمع بها العرب أو ابتكاره عبارات لم تأت على مثال سابق، أو ما عُرف بـ "جوامع الكلم" أو أسلوب نظمه في بلاغته، وفصاحة كلمه الذي صار ميراً خالداً في البيان العربي، فهذا وغيره قد تَمَّت الإشارة إليه في ثنايا الدراسة؛ لكن البغية هنا الخروج بتصوّر لغوي لتأثير الرسول - عليه السلام - في لغة الخطاب النبوي من الوجهة اللسانية الاجتماعية والنفسية.

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ"<sup>(١)</sup>، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَتَيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنْتُمْ تَنْتَبِلُونَهَا<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

فخطابه عليه السلام التّمودج لم يقف عند حدّ الإبلاغ؛ بلّ تجاوزه إلى تحقيق دور البلاغية أو الشعريّة في أقصى حدودها - إن أمكن التعبير - وهذه لا يمكن تحقيقها إلا من الاهتمام الجلي بمختلف عناصر فعل التواصل اللغويّ النبويّ.

(١) يقول الجاحظ: "قول النبيّ- صلى الله عليه وسلم: "ونصرت بالرّعب وأعطيت جوامع الكلم، وهو القليل الجامع للكثير"، البيان والتبيين، ٢٩/١، ويقول ابن الأثير في جوامع الكلم: "وهو عندي ينقسم إلى قسمين: القسم الأوّل منهما هو ما استخرجته، ونبّهت عليه، ولم يكن لأحدٍ فيه قول سابق، وهو أنّ لنا ألفاظاً تتضمّن من المعنى ما لا تتضمّن أخواتها، ممّا يجوز أن يستعمل في مكانها، فمن ذلك ما يأتي على حكم المجاز، ومنه ما يأتي على حكم الحقيقة... وأمّا القسم الثاني من جوامع الكلم، فالمراد به الإيجاز الذي يدلّ به بالألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة؛ أي أنّ ألفاظه - صلوات الله عليه - جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها".

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٩٧/١ - ٩٩.

(٢) تَنْتَبِلُونَهَا: تستخرجونها.

(٣) البخاريّ: كتاب: الجهاد والسير/ باب: قول النبيّ- صلى الله عليه وسلم: "نصرت بالرّعب مسيرة شهر"، حديث: ٢٩٧٧، ص ٥٩٤/ مسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصّلاة، حديث: ٥٣٢.

ويُسم الخطاب النبويّ بالجودة والحُسن، ولا يكمن ذلك في المعنى واللفظ والنسج والسبك حسب؛ بل يتجاوزهُ إلى تضافر وحدات خارجيّة لها علاقة بسياق التواصل اللغويّ، تساعد في إضفاء هذه السمة على الخطاب النبويّ، كعنصري الزّمان والمكان وثقافة المخاطب وبيئته وجنسه ومزاجه وهيئته وفنّه الاجتماعيّة إلى غير ذلك.

ثم إن نص الخطاب النبويّ ذو مظهرين: لغويّ ووجدانيّ، فنصّه عليه السّلام مزيج من الملفوظات المتجدّدة والحركات الدّالة التي تُتناوَب بين متداوليها بالرجوع إلى سياق النصّ اللغويّ الداخليّ الخاصّ والنصّ اللغويّ العامّ للمعارف الخارجيّة المتعلّقة بطرفي الخطاب، وكلّ ذلك لا ينفك يرتبط ببعد وجدانيّ يتمثّل في علاقته عليه السّلام بمتلقّيه في إطار المجتمع الإسلاميّ من منطلق مكانة المنشئ الاجتماعيّة والدينيّة التي تحدّث قوّة التأثير في متلقّي الخطاب النبويّ في مختلف المستويات، ناهيك عن الجو النّفسيّ المريح الذي يبثّه الرّسول - عليه السّلام - في لغته، وفي سياق الحدث اللغويّ الذي يوجّهه عليه السّلام الوجهة الأمثل بما ينسجم وحاجات المتلقّي ضمن الإطارين: الاجتماعيّ والنّفسيّ اللذين يوافقان البعد الدينيّ.

كما أنّ للغة خطابه عليه السّلام تأثيراً روحياً له سلطة على الجوانب الماديّة التي يحياها المسلم؛ إذ أنّ هذا الأخير لا يفتأ يردّد الخطاب النبويّ، ويستشهد به في المواقف النّفسيّة والاجتماعيّة والدينيّة ويحفظه، إن لم يكن لفظاً فبالمعنى.

وأظهر ما يكون تأثير الرّسول - عليه السّلام - في لغة الخطاب النبويّ من الوجهة اللسانيّة النّفسيّة فيما تركه عليه السّلام من أذكار وأدعية يحفظها متلقّيه، ويستعين بها على عواهن الدّهر ودرء البلاء وفتح أبواب الخير في مختلف مجالات حياته الاجتماعيّة.

فالجانب الرّوحيّ في لغة الخطاب النبويّ تكون بالدّالة المقصودة المتفاعلة في نفس المتلقّي مع خشوعه وإيمانه الصّادق ويقينه بخصوصيّة هذه اللّغة النّبويّة بكلمها وعباراتها التي لا تُنطقُ عن الهوى.

ويكمن تأثير الخطاب النبويّ الفعّال في أنّه عليه السّلام جعل اللّغة ملكاً لمنشئها وتحت تصرفه وإن كانت مشاعاً بين النّاس؛ فأبدع بها نصّاً عظيماً، ليس فيه صورة لنفسيّة فرد؛ إنّما هو مرآة تكشف نفس كلّ فرد.

فلقد قاد النّاس بالكلمة، فانقادت له طواعية وسُخرت لخدمته، فحملت أفكاره ومواقفه ومبادئه السّامية؛ فتحدّث بذلك ملامحها النّبويّة واستوعبت مع معناها المعجميّ قيم الدّالة النّفسيّة والاجتماعيّة والدينيّة في خطاب النّبوة، فصارت للكلمة به حياة؛ وسيبقى لها سبب الوجود.



## الفصل الثاني:

### العوامل الخارجية المؤثرة في الخطاب النبوي (السياق الخارجي)

لقد رأى الفقهاء والأصوليون أنّ المعنى يتحدّد من أطر اجتماعيّة بالدرجة الأولى، فالألفاظ أشبه ما تكون بالأدوات، والمعاني هي الاستعمالات أو الوظائف الاجتماعية التي تؤدّيها تلك الألفاظ، فصار المعنى يُدرس في الموقف أو السياق أو الاستعمال، وهي مظاهر خارجيّة وارتباطات قابلة للملاحظة العامّة<sup>(١)</sup>.

لعلّ هذا التحوّل في النظرة إلى اللغة بعدّها أداة تعبير عن أفكار إلى عدّها سلوكًا يؤكّد تغييرًا في منهج الدّراسات اللّغويّة التي نَبّهت عليه اللّسانيّات الاجتماعيّة الحديثة، ودعت إليه. ومن هنا فإنّ العوامل غير اللّغويّة المؤثرة في الخطاب النبويّ في ضوء اللّسانيّات الاجتماعيّة تقع ضمن محيطين: المحيط الضيق الذي يُلَفّ فعل التّواصل النبويّ، وما يحويه من عناصر لسانية وغير لسانية، وهو ما تمّ الحديث عنه في "سياق المقام أو الحال"<sup>(٢)</sup>، والمحيط الخارجي الأوسع، ويتمثّل في المحيط الاجتماعيّ الذي ينتمي إليه طرفا الخطاب<sup>(٣)</sup>، ومنه يستقيان الكلام والمعارف والعادات والطّقوس والثّقافة... إلخ، ويمكن تسميته بـ"السياق الخارجي" أو "السياق المرجعي" للموقف الكلامي.

وممّا لا شكّ فيه أنّه لا يمكن تناول الخطاب النبويّ - أو أيّ خطاب - بعزل السياق اللّغويّ النبويّ: اللّسانيّ أو غير اللّسانيّ عن السّياقين غير اللّغويّين: سياق المقام والسياق الخارجي الأوسع، فجميعها تتعاقد في تشكيل لغة الخطاب النبويّ التي تعدّ أصدق سجلّ يبيّن واقع المجتمع الإسلاميّ في عهد النّبوة بنظمها وتقاليدها وعقائدها واتّجاهاتها العقليّة وشؤونها الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، وبيئتها الجغرافيّة... إلخ.

(١) انظر خليفات، سحبان (٢٠٠٤)، منهج التحليل اللّغويّ - المنطقيّ في الفكر العربيّ الإسلاميّ (النظريّة

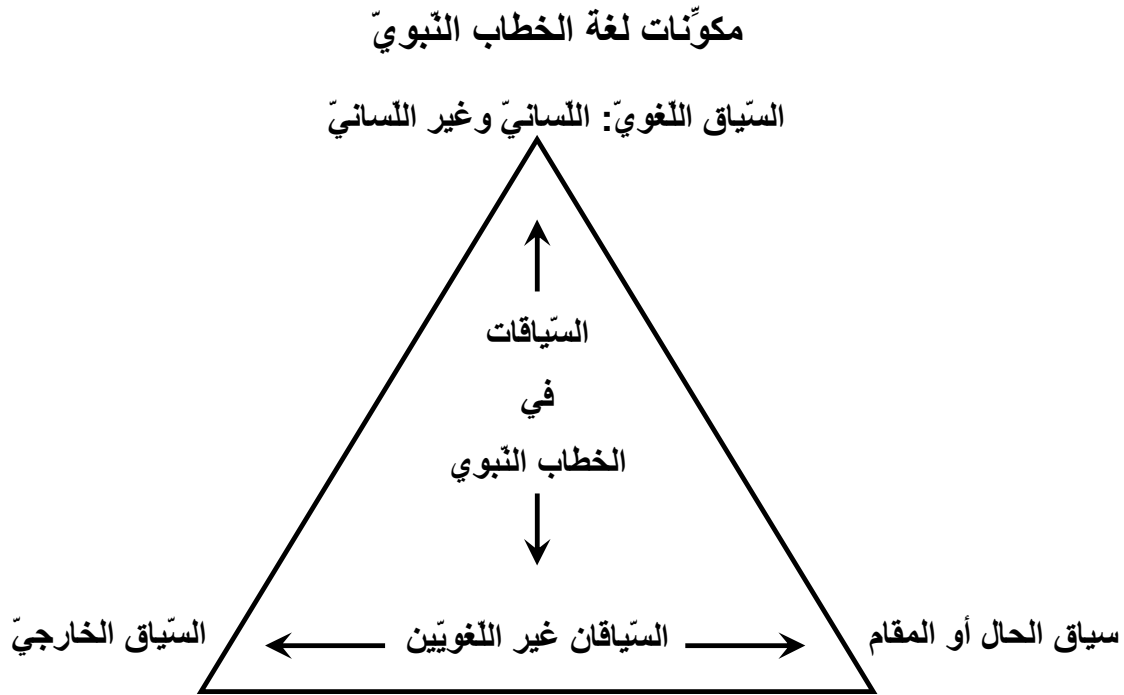
والنّطبيق)، ط١، منشورات الجامعة العلميّة، عمادة البحث العلميّ، تحت عنوان (المعنى والاستعمال)، ٧٨/١.

(٢) انظر الدّراسة، ص ١١١.

(٣) تُسمّى مجموعة العوامل الخارجيّة التي يمكن أن تؤثر في نشاط الفرد: اجتماعيّة وثقافيّة واقتصاديّة وسياسيّة

"البيئة الواقعيّة"، وثمة "بيئة نفسيّة" وهي البيئة كما تبدو للفرد، وكما يشعر بها ويدركها ويستجيب لها، انظر

انظر أحمد عزت (١٩٧٠)، أصول علم النّفس، ط٨، الإسكندريّة: المكتب المصريّ الحديث، ص ١٨.



#### خطاطة رقم (٩)

إنّ الثروة اللفظيّة في الخطاب النبويّ — على خصوصيّتها- ليست إلا من جملة رصيد الألفاظ الجارية بين المتخاطبين في عهد النبوة، وإنّ هذه المفردات ترجع إلى العُرف اللغويّ الذي يكتسب مع الزّمن ما يشبه القداسة، في حين أنّ أعرافاً لغويّة أخرى تتغيّر في تجذرها المكانيّ وامتدادها الزّمنيّ بما يعرف بـ "حياة اللغة ومواتها".

ولمّا أتى الإسلام انتقلت الأمّة إلى الحضارة الإسلاميّة؛ فتهذبت اتجاهاتها التّفسيّة والاجتماعيّة والعقدية؛ فاكتست لغتها حلّة إسلاميّة جديدة، وسمت أساليبها، ودخلتها مفردات دينيّة جديدة، ودقت بعض معاني مفرداتها القديمة أو تغيرت مثل: تغيّر مفهوم الصّلاة بمعنى الدّعاء عموماً إلى الصّلاة بعدّها ركناً من أركان الإسلام الخمسة وعمود الدّين، وكذلك مفاهيم الصّوم والزّكاة والحج ... إلخ.

ومن اللّطيف ما ذكر في أثر طبيعة البيئة في اللغة ما فطن إليه التّحويون، في بيان أنّ المنزل التي تحتلها الصّيغة الفعلية مستمدة من مرحلة معناه في القِدَم، فرأوا أنّ المنزل السّامية للفعل في العربيّة تعبّر عن العناية والاهتمام في ظلّ ظروف اجتماعيّة وتاريخيّة معيّنة، فصار تقديم الفعل على الفاعل هو الأصل؛ فالمرء يهتمّ بالحدث أولاً ثمّ يتّجه إلى محدّثه؛ لأنّ الحدث هو

الأمر الجديد الذي يعنيه، ولعلّ معيشة العرب في الصّحراء وسط المخاوف هي أساس هذه الظاهرة اللغويّة<sup>(١)</sup>.

وما يؤكّد تأثير البيئة الجغرافيّة كذلك في لغة العرب ما أبدعوا من الخيال في الصوّر الفنيّة والتشبيه أو المجاز المستمدّ من طبيعة البيئة العربيّة في الحجاز على تنوّعها بين هدوء أو صخب، تقلّب أو ثبات، رخاوة أو خمول، خشونة أو نعيم ... إلخ، ويشير القرطاجنيّ إلى أثر البيئة في الملكة الشعريّة<sup>(٢)</sup>: "لما كان الشّعْر لا يتأتّى نظمه على أكمل ما يمكن فيه إلاّ بحصول ثلاثة أشياء، وهي: المهيّئات والأدوات والبواعث، وكانت هذه المهيّئات تحصل من جهتين:

- النّشء في بقعة معتدلة الهواء، حسنة الوضع، طيبة المطاعم، أنيقة المناظر، مُمتعة في كلّ ما للأغراض الإنسانيّة به علقه.
- والترعرع بين الفصحاء الألسنة المستعملين للأناشيد المقيمين للأوزان، وكان المهيّئ الأوّل، موجّهاً طبع الناشئ إلى الكمال في صحّة اعتبار الكلام وحسن الرويّة في تفصيله وتقديره ومطابقة ما خارج الذهن به".

كما يبيّن الخطاب النبويّ ما بين حضارة الأمّة العربيّة الإسلاميّة ولغتها من توائم وتوافق وانسجام، فإنّه يُجلي مظاهر بيئة المخاطب الجغرافيّة التي تنطبع في لغته التي تبين إذا ما كان من سكان الصّحراء أو سكان الأوديّة أو المناطق الجبليّة.

قال أيّوب بن سُلَيْمَانَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْمَاشِيَّةُ، هَلَكَ الْعِيَالُ، هَلَكَ النَّاسُ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدَيْهِ يَدْعُو، وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ مَعَهُ يَدْعُونَ. قَالَ: فَمَا خَرَجْنَا مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى مُطَرَّنًا، فَمَا زِلْنَا نُمَطِّرُ حَتَّى كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْآخَرَى، فَأَتَى الرَّجُلُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِشَقِّ الْمُسَافِرِ<sup>(٣)</sup> وَمَنْعِ الطَّرِيقِ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر خليفات، منهج التحليل اللغوي، ص ٧٤.

(٢) القرطاجنيّ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٤٠.

(٣) بِشَقِّ الْمُسَافِرِ: انسَدَّ، وقال ابن دريد: بِشَقَّ أَي أَسْرَعَ مِثْلَ بِشَقِّكَ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ تَأَخَّرَ، وَقِيلَ حُبْسٌ، وَقِيلَ مَلٌّ، وَقِيلَ ضَعْفٌ.

(٤) البخاريّ: كتاب: الاستسقاء/ باب: رَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ مَعَ الْإِمَامِ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ، حديث: ١٠٢٩، ص ٢٠٤/ مسلم: كتاب: صلاة الاستسقاء/ باب: الدّعاء في الاستسقاء، حديث: ٨٩٧.

ثم إن كلام مخاطب الرسول - عليه السلام - يبين لهجة صاحبه، فمعلوم أن اللغة العربية انبثقت عنها لهجات تباينت بين مدينة وقرية، وبين الأفراد حسب تنوع الأقاليم الجغرافية أو بسبب عوامل آخر<sup>(١)</sup>؛ وكان هذا الاختلاف حافزاً على قيام الائتلاف الذي حفظه القرآن الكريم بلغته الفصيحة وإن تعددت القراءات.

على أن أوجه الشبه الأساسية أكثر بكثير من أوجه الاختلاف في هذه اللهجات الفردية، ولولا ذلك لما أمكن التفاهم بين أفراد المجتمع الإسلامي<sup>(٢)</sup>.

وثمة ميز بين الكنة واللهجة، فالكنة عجمة في اللسان وعي، يقال رجل أكن: بين أكن، والأكن عند ابن سيده الذي لا يُقيم العربية من عجمة في لسانه، وأما اللهجة فاللغة التي جُبل عليها الفرد واعتادها<sup>(٣)(٤)</sup>.

ويمكن تقسيم اللهجات إلى مستويات يمثل عليها في الخطاب النبوي:

#### ■ لهجة جغرافية:

لفظ (آري): مرتبط الدابة، سمي آري خراسان وسجستان: وَيَذْكُرُ عَنْ الْعَدَاءِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: كَتَبَ لِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْعَدَاءِ بْنِ خَالِدٍ، بَيْعَ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِ، لَا دَاءَ، وَلَا خَبْثَةَ"<sup>(٥)</sup>. وَلَا غَابِلَةَ". وَقَالَ قَتَادَةُ: الْغَابِلَةُ الزَّئِنَا وَالسَّرْقَةُ وَالْإِبَاقُ<sup>(٦)</sup>. وَقِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ: إِنَّ بَعْضَ النَّخَاسِينَ<sup>(٧)</sup> يُسَمِّي آرِي<sup>(٨)</sup> خُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ، فَيَقُولُ: جَاءَ أَمْسٌ مِنْ خُرَاسَانَ، جَاءَ الْيَوْمَ مِنْ سِجِسْتَانَ، فَكَرَهُهُ كَرَاهِيَةً شَدِيدَةً<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر العوامل الرئيسية في تفرع اللغة إلى لهجات ولغات اجتماعية وسياسية وجغرافية وشعبية... إلخ، وافي، علم اللغة، ص ١٦١-١٦٢.

(٢) انظر خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٢٢٤.

(٣) تفسير الكنة واللهجة، لسان العرب.

(٤) يبين هدسون أن الكنة للدلالة على الاختلافات في النطق حسب، وأما اللهجة فللدلالة على مختلف أوجه الاختلاف اللغوية، ومن بينها النطق، انظر علم اللغة الاجتماعي، ص ٨٠.

(٥) خبثة: غير طيب.

(٦) الإباق: هرب العبد من سيده.

(٧) النخاسين: النخاس: بائع الدواب، وسمي بذلك لنخسه إياها حتى تنشط، وجرفته النخاسة والنخاسة، وقد يسمى يسمى بائع الرقيق نخاساً، والأول هو الأصل.

(٨) آري: مرتبط الدابة، والمراد أنهم يسمونه بأسماء البلاد؛ ليدلوا على المشتري، سمي آري خراسان وسجستان، هو بهمة مفتوحة ممدودة، وراء مكسورة وباء مشددة، كذا ضبطه الجرجاني، وهو مرتبط الدابة، وقيل معلقها، وقيل حبل يدفن في الأرض؛ لتربط فيه الدابة والمعنى أن الدلال كان يسمى مرتبط دوابه هذا الاسم ليوهم أن الدابة جلبت من تلك البلدة؛ ليرغب فيها، وكأن المضاف سقط من الأصل، وكأن الأصل آري دوابه، أو كان معرقاً، فسقطت آلة التعريف، كأنه كان فيه يسمى: الآري واللام فيه للجنس. العسقلاني، أحمد =

### ■ لهجة حرفية<sup>(٢)</sup>:

من المفاهيم الحرفية كما في الحديث: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَهَى عَنِ الْمُنَابَذَةِ، وَهِيَ: طَرْحُ الرَّجُلِ ثَوْبَهُ بِالْبَيْعِ إِلَى الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ يُقْلَبَهُ، أَوْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَنَهَى عَنِ الْمُلَامَسَةِ، وَالْمُلَامَسَةُ: لَمْسُ الثَّوْبِ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَلْقُوا الرُّكْبَانَ، وَلَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟" قَالَ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَا قَوْلُهُ: "لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ". قَالَ: لَا يَكُونُ لَهُ سِمَسَارًا<sup>(٤)</sup>.

■ لهجة اجتماعية طبقية: في الخطاب النبوي ما يدل على استعمال غير العرب في الخدمة: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ: حَدَّثَنَا يَحْيَى: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو النَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ، كَانَ رَأْسُهُ زَبِيبَةً"<sup>(٥)</sup>.

■ الرطانات: رَطَنَ الْعَجَمِيَّ يَرْطُنُ رَطْنًا؛ تَكَلَّمَ بِلُغَتِهِ، وَالرَّطَانَةُ وَالرَّطَانَةُ وَالْمُرَاطِنَةُ التَّكَلُّمُ بِالْعَجَمِيَّةِ، وَقَدْ ثَرَّاطْنَا، تَقُولُ: رَأَيْتُ أَعْجَمِيَّ يَتَرَطَّانُ، وَهُوَ كَلَامٌ لَا يَفْهَمُهُ الْعَرَبُ<sup>(٦)</sup>:

حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ - وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ - قَالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

= ابن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (أخرجه محب الدين الخطيب وصححه)، د. ط، المكتبة السلفية، د. ت، ١ - فصل ٧٨/٥.

(١) البخاري: كتاب: البيوع/ باب: إِذَا بَيْنَ الْبَيْعَانِ وَلَمْ يَكْتُمَا وَتَصَحَّاحًا، حديث: ٢٠٧٨، ص ٤٠٦.

(٢) انظر وافي، علم اللغة، ص ١٧٤.

(٣) البخاري: كتاب: البيوع/ باب: يَبِيعُ الْمُلَامَسَةَ، حديث: ٢١٤٤، ص ٤١٧.

(٤) البخاري: كتاب: البيوع/ باب: هل يبيع حاضر لبادٍ بغير أجر؟ وهل يعينه أو ينصحه؟ حديث: ٢١٥٨، ص ٤١٩/مسلم: كتاب: البيوع/ باب: تحريم بيع الحاضر للبادي، حديث: ١٥٢١.

(٥) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: إمارة العبد والمولى، حديث: ٦٩٣، ص ١٤١/ كَانَ رَأْسُهُ زَبِيبَةً لَصْغَرُ رَأْسِهِ، وذلك معروف بالحبشة، وقيل لقصر شعر رأسه وتقلفه، ووجه الدلالة على صحّة إطاعة العبد أنّه إذا أمّر تجب طاعته، والصلاة خلفه.

(٦) الرطانة (يفتح الراء وكسرهما) والثراطن: كلام لا يفهمه الجمهور، وإنما هو موضة بين اثنين أو جماعة، والعرب تخص بها غالباً كلام العجم، لسان العرب.

وسلم- قال: "لا عدوى"<sup>(١)</sup>. ويحدث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يورد ممرضٌ على مصحٍّ"<sup>(٢)</sup>. قال أبو سلمة: كان أبو هريرة يُحدثهما كلتيهما<sup>(٣)</sup> عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ثم صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله: "لا عدوى". وأقام على "أن لا يورد ممرضٌ على مصحٍّ". قال: فقال الحارث بن أبي ذباب - وهو ابن عم أبي هريرة -: قد كنت أسمعك يا أبا هريرة تُحدثنا مع هذا الحديث حديثاً آخر، قد سكّته عنه، كنت تقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "لا عدوى". فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك، وقال: "لا يورد ممرضٌ على مصحٍّ". فما رآه الحارث في ذلك حتى غضب أبو هريرة، فرطن بالحشيشة، فقال للحارث: أتدري ماذا قلت؟ قال: لا. قال أبو هريرة: قلت: أبيت. قال أبو سلمة: ولعمري! لقد كان أبو هريرة يُحدثنا: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: "لا عدوى". فلا أدري أنسى أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر؟<sup>(٤)</sup>.

كما توجد مظاهر لغوية خاصة بفئات اجتماعية معينة تستقرى من الخطاب النبوي مثل: -  
 - لغة الصبي في قول الرسول- عليه السلام: "كخ كخ" للحسن ليلفظ الثمرة من فيه، كما يلي: حَدَّثَنَا آدَمُ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- ثَمْرَةً مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كخ كخ" - لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: "أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟"<sup>(٥)</sup>. كخ كخ: يقال عند زجر الصبي عند تناول شيء، وعند التقذر من شيء.  
 - لغة البيان: وتظهر في لغة الخطباء والعلماء والفقهاء وغيرهم:

(١) لا عدوى: نهى عن اعتقاد أن الممرض يعدي بنفسه؛ لا بقدر الله.  
 (٢) لا يورد ممرضٌ على مصحٍّ: قال العلماء: الممرض: صاحب الإبل المريضة، والمصح: صاحب الإبل الصّاح، معنى الحديث: لا يورد صاحب الإبل المريض إبله على إبل صاحب الإبل الصّاح/ صحيح مسلم: حاشية (٣)، ٤/ ١٧٤٣.  
 (٣) كلتيهما: الضمير عائد على الكلمتين أو القصتين أو غيرهما.  
 (٤) مسلم: كتاب: السلام/ باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، ولا نوء ولا غول، ولا يورد ممرضٌ على مصحٍّ، حديث: ٢٢٢١/ البخاري: كتاب: الطب/ باب: لا هامة، حديث: ٥٧٧١، ص ١١٦٩- ١١٧٠.  
 (٥) البخاري: كتاب: الزكاة/ باب: ما يذكر في الصدقة للنبّي- صلى الله عليه وسلم، حديث: ١٤٩١، ص ٢٩٥/ مسلم: كتاب: الزكاة/ باب: تحريم الزكاة على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعلى آله، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وغيرهم، حديث: ١٠٦٩.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا؛ فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لُسِحْرًا، أَوْ: إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لُسِحْرٌ"<sup>(١)</sup>.

- لغة الغمز بالإصبع بين الشَّباب وغيرهم: فهذان غلامان من الأنصار يستخدمان حركة الغمز في الحوار التالي؛ فيومئ الغلام لأخيه؛ ليعطيه إشارة الاستعداد، ثم البدء لقتل أبي جهل: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ الْمَاجِشُونِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَقِفٌّ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَتَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَأْتُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أَخْبَرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَتَسَبَّ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا، إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَأَبْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرْبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: "أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟" قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: "هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟" قَالَا: لَا، فَتَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: "كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلْبُهُ"<sup>(٢)</sup> لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ". وَكَانَا مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو وَمُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت تظهر الفوارق بين الطبقات في الجاهلية، وكان العرب في خطابهم يستعملون ضمير المفرد، ولم تظهر مظاهر المبالغة في التبجيل كما هي الآن مثل "تفضل سيدنا"، و"حضرتكم"<sup>(٤)</sup>، فلمَّا جاء الإسلام دعا إلى المساواة بين الناس، وألغى مظاهر العبودية والرق،

(١) البخاري: كتاب: الطب/ باب: إنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، حديث: ٥٧٦٧، ص ١١٦٩.

(٢) السلب: ما يُسَلَبُ، والجمع أسلاب، وكلَّ شيء على الإنسان من اللباس فهو سلب، سلبه: ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه، ممَّا يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة.

(٣) البخاري: كتاب: فرض الخمس/ باب: مَنْ لَمْ يُخَمَّسْ الْأَسْلَابُ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمَّسَ، وحُكْمُ الْإِمَامِ فِيهِ، حديث: ٣١٤١، ص ٦٢٦-٦٢٧/ مسلم: كتاب: الجهاد والسير/ باب: استحقاق القتيل سلب القتيل، حديث: ١٧٥٢.

(٤) انظر وافي، علم اللغة، ص ٢٣٧.

وجعل مقياس التفاصل بين الناس التقوى، في قوله تعالى <sup>(١)</sup>: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ

وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾ .

ولا غرو أن الطبقة الاجتماعية تؤثر في مظاهر الحياة الاقتصادية فتتوَّعت فئات المخاطبين في الخطاب النبوي، وظهر ذلك في لغتهم في فعل التواصل النبوي <sup>(٢)</sup>، ثم إن في أي مجتمع يتجنب أبناؤه حسب التقاليد والأعراف استعمال ألفاظ أو تراكيب تحظر اجتماعيًا، مثل عزل كلمات تتعلق بأمور طبيعية كالجماع والتبول والأعضاء التناسلية ... إلخ، وقد استبدل الإسلام بهذه المسميات ألفاظاً أدنى إلى الحشمة والأدب في التعبير عن هذه الشؤون، فلجأ إلى المجاز في اللفظ واستبدال الكناية بصريح القول: لامس النساء، الغائط، القبل، الدبر، ... إلخ، كاستخدام كلمة الغائط في الخطاب النبوي التالي: حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطُ <sup>(٣)</sup>، فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، وَلَا يُولِّهَا ظَهْرَهُ شَرَّفُوا، أَوْ غَرَّبُوا" <sup>(٤)</sup>.

#### (١) الحجرات: ١٢.

(٢) انظر الباب الثاني، الفصل الأول في الدراسة، المتلقي في عناصر الخطاب النبوي، فئات المستضعفين:

العامل/ الفقير/ الأرملة/ المولى، ص ١٢٥.

(٣) الغائط: يقال أتى فلان الغائط، والغائط: المطمئن من الأرض الواسع، والتغويط كناية عن الحدث، والغائط

اسم العذرة نفسها؛ لأنهم كانوا يُلْقُونَهَا بِالْغَيْطَانِ، وقيل لأنهم كانوا إذا أرادوا ذلك أتوا الغائط وقضوا الحاجة؛

ف قيل لكل من قضى حاجته قد أتى الغائط، يُكْنَى به عن العذرة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَجَىٰ أَوْ عَلَىٰ

سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ۝﴾ النساء: ٤٣، وكان الرجل

إذا أراد التبرُّز ارتاد غائطاً من الأرض، يَغِيبُ فيه عن أعين الناس، ثم قيل للبراز نفسه، وهو الحدث غائط كناية عنه.

(٤) البخاري: كتاب: الوضوء/ باب: لا تُسْتَقْبَلُ الْقِبْلَةُ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، إلا عُذَّ الْبِنَاءُ جَذَارٍ أَوْ نَحْوِهِ، حديث:

١٤٤، ص ٤١/ مسلم: كتاب: الطهارة/ باب: الاستطابة، حديث: ٢٦٤.



وفي القرآن: قوله تعالى<sup>(١)</sup>: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾، وقوله<sup>(٢)</sup>: ﴿أَوَلَمْ نَسْمَعْ

النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾.

ومن هذه التراكيب: قُضِيَ حَاجَتُهُ، وَوَقَعَ عَلَى امْرَأَتِهِ كَمَا فِي الْحَدِيثَيْنِ التَّالِيَيْنِ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ سَلَامٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ كُرَيْبِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا أَقَاضَ مِنْ عَرَفَةَ، عَدَلَ إِلَى الشَّعْبِ<sup>(٣)</sup>، فَقَضَى حَاجَتَهُ، قَالَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ: فَجَعَلْتُ أُصَبُّ عَلَيْهِ وَيَتَوَضَّأُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّي؟ فَقَالَ: "الْمُصَلَّى أَمَامَكَ"<sup>(٤)</sup>.

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: إِنَّ الْآخَرَ وَقَعَ عَلَى امْرَأَتِهِ فِي رَمَضَانَ، فَقَالَ: "أَتَجِدُ مَا تُحَرِّرُ رَقَبَةً؟" قَالَ: لَا. قَالَ: "أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟" قَالَ: لَا. قَالَ: "أَفَتَجِدُ مَا تُطْعِمُ بِهِ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟" قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِعَرَقٍ<sup>(٥)</sup> فِيهِ تَمْرٌ، وَهُوَ الزَّبِيلُ، قَالَ: "أَطْعِمْ هَذَا عَنكَ؟". قَالَ: عَلَى أَحْوَجَ مِنَّا؟ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا<sup>(٦)</sup> أَهْلٌ بَيْنَ أَحْوَجَ مِنَّا، قَالَ: "فَأَطْعِمْ أَهْلَكَ"<sup>(٧)</sup>.

(١) البقرة: ٢٢٣.

(٢) النساء: ٤٣.

(٣) الشعب: الطريق في الجبل.

(٤) البخاري: كتاب: الوضوء/ باب: الرجل يوضئ صاحبه، حديث: ١٨١، ص ٤٧/ مسلم: كتاب: الحج/ باب: استحباب إقامة الحاج التلبية، حتى يشرع في رمي جمره العقبة يوم النحر، حديث: ١٢٨٠.

(٥) عَرَقٌ: وعاء من سعف النخل، يسمّى زبيلا.

(٦) اللَّابَةُ وَاللُّوبَةُ: الحَرَّةُ، والجمع لَابٌ وَلُوبٌ وَلَابَاتٌ، وهي الجَرَارُ، قال الأصمعي: هي الأرضُ التي قد ألبسَتْها ألبسَتْها حجارةٌ سود.

(٧) البخاري: كتاب: الصوم/ باب: المُجَامِعُ فِي رَمَضَانَ، هَلْ يُطْعِمُ أَهْلُهُ مِنَ الْكِفَارَةِ إِذَا كَانُوا مَحَاوِجَ؟ حديث: ١٩٣٧، ص ٣٧٧/ مسلم: كتاب: الصَّيَامُ/ باب: تغليظ الجماع في نهار رمضان على الصَّائِمِ، ووجوب الكفارة الكبرى فيه وبيانها، وأنها تجب على الموسر والمعسر، وتنبيت في ذمة المعسر حتى يستطيع، حديث: ١١١١.



## تأثير الأعراف والتقاليد الاجتماعية في لغة الخطاب النبوي؛ ولغة المخاطب وأسلوبه وسلوكه، يشي بها فعل التواصل:

■ **علاقة الأب بابنته/ ابنه:** كما في تقبيل أبي بكر- رضي الله عنه-ابنته عائشة أم المؤمنين: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَانَ: حَدَّثَنَا شَرِيحُ بْنُ مَسْلَمَةَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَوْسُفَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يُحَدِّثُ قَالَ: ابْتِاعَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ عَازِبٍ رَحْلاً، فَحَمَلَتْهُ مَعَهُ قَالَ: فَسَأَلَهُ عَازِبٌ عَنْ مَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: أَخَذَ عَلَيْنَا بِالرَّصَدِ فَخَرَجْنَا لَيْلاً، فَأَحْتَنَّا<sup>(١)</sup> لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، ثُمَّ رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ فَأَتَيْنَاهَا وَلَهَا شَيْءٌ مِنْ ظِلٍّ، قَالَ: فَفَرَشْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَرَوْهَ مَعِيَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَنْطَلَقْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ قَدْ أَقْبَلَ فِي غَنِيمَةٍ؛ يُرِيدُ مِنَ الصَّخْرَةِ مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ: أَنَا لِفُلَانٍ، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ لَهُ: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاءَ مِنْ غَنَمِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضِ الضَّرْعَ، قَالَ: فَحَلَبْتُ كُثْبَةً<sup>(٢)</sup> مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ<sup>(٣)</sup> مِنْ مَاءٍ عَلَيْهَا خِرْقَةٌ، قَدْ رَوَّاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَشَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى رَضِيْتُ، ثُمَّ ارْتَحَلْنَا وَالطَّلَبُ فِي إِثْرِنَا. قَالَ الْبَرَاءُ: فَدَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ؛ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَرَأَيْتُ أَبَاهَا، فَقَبَّلَ خَدَّهَا وَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا بُنَيَّةُ؟<sup>(٤)</sup>.

■ **الغناء في المناسبات الاجتماعية والدينية واستخدام الموسيقى وضرب الدفوف:**  
حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ، فِي أَيَّامٍ مَنِيٍّ، تُدَقِّقَانِ وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُتَغَشٍّ بِتَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: "دَعُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامٌ عِيدٍ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ أَيَّامُ مَنِيٍّ"<sup>(٥)(٦)</sup>.

(١) أَحْتَنَّا: أَسْرَعْنَا السَّيْرَ.

(٢) كُثْبَةٌ: كَمِيَّةٌ قَلِيلَةٌ.

(٣) إِدَاوَةٌ: إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ.

(٤) البخاري: كتاب: مناقب الأنصار/ باب: هجرة النبي- عليه السلام- وأصحابه إلى المدينة، حديث: ٣٩١٨، ص

ص ٧٧٣/ مسلم: كتاب: الزهد والرقائق/ باب: حديث الهجرة، ويقال له: حديث الرِّحْلِ، حديث: ٢٠٠٩.

(٥) البخاري: كتاب: العيدين/ باب: إذا فاته العيد يصلي ركعتين، وكذلك النساء، ومن كان في البيوت والقرى،

حديث: ٩٨٧، ص ١٩٥/ مسلم: كتاب: صلاة العيدين/ باب: الرخصة في اللعب، الذي لا معصية فيه، في أيام

العيد، حديث: ٨٩٢.

(٦) ورد الحديث برواية أخرى في الدراسة، ص ١٣٩.

#### ■ الأعراس ومواسم الأعياد:

حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَعْقُوبَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا زَقَّتْ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؟ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ"<sup>(١)</sup>.

#### ■ موائد الطعام:

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ - هُوَ ابْنُ زَيْدٍ - عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَثَرَ صُفْرَةٍ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟" قَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: "بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ"<sup>(٢)</sup>.

#### ■ عيادة المريض:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ، فَجَحِشَتْ سَاقُهُ<sup>(٣)</sup>، أَوْ كَتَفُهُ، وَآلَى<sup>(٤)</sup> مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا، فَجَلَسَ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ<sup>(٥)</sup>، دَرَجَتُهَا مِنْ جُدُوعٍ، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ، فَصَلَّى بِهِمْ جَالِسًا وَهُمْ قِيَامٌ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: "إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا". وَنَزَلَ لِتِسْعِ وَعِشْرِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ آلَيْتَ شَهْرًا؟ فَقَالَ: "إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعَ وَعِشْرُونَ"<sup>(٦)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: النكاح/ باب: النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها، ودعائهن بالبركة، حديث: ٥١٦٢، ص ١٠٥٥.

(٢) البخاري: كتاب: النكاح/ باب: كيف يدعى للمتزوج؟ حديث: ٥١٥٥، ص ١٠٥٤/ مسلم: كتاب: النكاح/ باب: الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير، واستحباب كونه خمسمئة درهم لمن لا يجحف به، حديث: ١٤٢٧.

(٣) جَحِشَتْ سَاقُهُ: خُدِشَتْ.

(٤) آلَى: حلف، وهنا حلف ألا يدخل على نساءه شهرًا.

(٥) مشربة: الغرفة المرتفعة.

(٦) البخاري: كتاب: الصلاة/ باب: الصلاة في السطوح، والمنبر، والخشب، حديث: ٣٧٨، ص ٨٦/ مسلم: كتاب: الصلاة/ باب: ائتمام المأموم بالإمام، حديث: ٤١١.

## ■ صلة الأرحام:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ الْكَرْمَانِيُّ: حَدَّثَنَا حَسَّانُ: حَدَّثَنَا يُونُسُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ، أَوْ يُسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"<sup>(١)</sup>.

## ■ زيارات السمر:

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي: حَدَّثَنَا أَبُو عُمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّقَّةِ كَانُوا أَنَاسًا فَقَرَاءَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعَ فْخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ". وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، فَأَنْطَلَقَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِعَشْرَةٍ، قَالَ: فَهُوَ أَنَا وَأَبِي وَأُمِّي- فَلَا أُدْرِي- قَالَ: وَأَمْرَاتِي- وَخَادِمٌ، بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ لَبِثَ حَيْثُ صَلَّيْتُ الْعِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: وَمَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ، أَوْ قَالَتْ ضَيْفُكَ؟ قَالَ: أَوْ مَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، قَدْ عُرِضُوا فَأَبَوْا، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ<sup>(٢)</sup>، فَجَدَّعَ<sup>(٣)</sup> وَسَبَّ، وَقَالَ: كُلُوا لَا هَنِيئًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، وَإِنَّمِ اللَّهُ، مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبًّا<sup>(٤)</sup> مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا، قَالَ: يَعْنِي: حَتَّى شَبِعُوا، وَصَارَتْ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ، فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتُ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لَا، وَقَرَّةٌ عَيْنِي لَهِيَ الْآنَ أَكْثَرَ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مَرَّاتٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، يَعْنِي يَمِينُهُ، ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ، وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ، فَمَضَى الْأَجَلَ، فَفَرَّقْنَا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنَاسٌ، اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ، أَوْ كَمَا قَالَ<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: البيوع/ باب: مَنْ أَحَبَّ الْبَسْطَ فِي الرِّزْقِ، حديث: ٢٠٦٧، ص ٤٠٤/ مسلم: كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: صلة الرَّحِمِ وتحريم قطيعتها، حديث: ٢٥٥٧.

(٢) غُنْثَر (بفتح الغين وضمها): كلمة زجر واحتقار وشتيم، أي: يا جاهل، أحمق، ثقيل، سفيه، لئيم.

(٣) جَدَّعَ: دعا عليه بقطع الأنف أو الأذن أو الشفة.

(٤) رَبًّا: نما.

(٥) البخاري: كتاب: مواقيت الصلاة/ باب: السمر مع الضيف والأهل، حديث: ٦٠٢، ص ١٢٥/ مسلم: كتاب:

الأشربة/ باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث: ٢٠٥٧.

## ■ الخُطْبَةُ والزَّوْاج والطلاق:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ: أَنَّ مَعْقَلَ ابْنَ بَسَارٍ كَانَتْ أُخْتُهُ تَحْتَ رَجُلٍ، فَطَلَّقَهَا ثُمَّ خَلَى عَنْهَا، حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، ثُمَّ خَطَبَهَا، فَحَمِيَ مَعْقَلٌ مِنْ ذَلِكَ أَنْفًا، فَقَالَ: خَلَى عَنْهَا، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَخْطُبُهَا، فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ<sup>(١)</sup>: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَرَأَ عَلَيْهِ، فَتَرَكَ الْحَمِيَّةَ وَاسْتَقَادَ لِأَمْرِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَكَ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ رَجُلٌ: زَوَّجْنِيهَا، قَالَ: "قَدْ زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ"<sup>(٣)</sup>.

## ■ العادات الاجتماعية:

من العادات الاجتماعية ما ارتبطت بالدين السمح، وصارت موجّهة منه في كلّ أمر في حياة المسلم: كالمأكل والمشرب واللباس وإفشاء السلام ومساعدة الضعيف وإمطة الأذى عن الطريق وغضّ البصر وتسريحة الشعر... إلخ.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: "تَطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"<sup>(٤)</sup>.

(١) البقرة: ٢٣٢.

(٢) البخاري: كتاب: الطلاق/ باب: ﴿وَعُولُهُنَّ أَحَقُّ بِرِيحَيْنِ﴾ البقرة: ٢٢٨، حديث: ٥٣٣١، ص ١٠٨٩.

(٣) البخاري: كتاب: الوكالة/ باب: وكالة المرأة الإمام في النكاح، حديث: ٢٣١٠، ص ٤٤٩/ مسلم: كتاب: النكاح/ باب: الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير، واستحباب كونه خمسمئة درهم لمن لا يجحف به، حديث: ١٤٢٥.

(٤) البخاري: كتاب: الإيمان/ باب: إفشاء السلام من الإسلام، حديث: ٢٨، ص ١٥/ مسلم: كتاب: الإيمان/ باب: بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، حديث: ٣٩.

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَشْعَثِ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ سُؤَيْدِ بْنِ مِقْرَنَ، عَنِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَمَرَنَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَتَصَرُّ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالْحَرِيرِ، وَالذِّيْبَاجِ، وَالْقَسِيِّ<sup>(١)</sup>، وَالْإِسْتَبْرَقِ<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

#### ■ المكان:

للمكان رمز حاضر في سياقه الخارجي، ولا يُنظر إليه بوصفه وحدة منفصلة قائمة بذاتها؛ إنما بوصفه ممثلاً لنظام أو قانون أو هيئة معينة، ويتبع أعرافاً وتقاليد لا يجوز الخروج عليها، فالمسجد مثلاً له مكانة دينية لدى المسلم، تفرض عليه احترام قدسية المكان دينياً، والابتعاد عن محظورات يفرضها المكان مثل: التهي عن التبول أو البصق على أرض المسجد الطاهر، ولا سيما في موضع الصلاة.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: "إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ - أَوْ إِنْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ - فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدَكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ"، ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ، فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: "أَوْ يَفْعَلْ هَكَذَا"<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك نهى الرسول - عليه السلام - عن استقبال القبلة أو استدبارها عند الغائط. حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا، وَلَكِنْ شَرِّقُوا، أَوْ غَرِّبُوا". قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَقَدِمْنَا الشَّامَ، فَوَجَدْنَا مَرَايِضَ بُنِيَتْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، فَتَنَحَّرَفُ، وَتَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى. وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أَيُّوبَ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِثْلَهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) القسي: ثياب مخططة بالحرير.

(٢) الإستبرق: ما غلظ من الحرير.

(٣) البخاري: كتاب الجنائز/ باب: الأمر باتِّباع الجنائز، حديث: ١٢٣٩، ص ٢٤٤/ مسلم: كتاب اللباس والزينة/ باب: استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء. وإباحة العلم ونحوه للرجل، ما لم يزد على أربع أصابع، حديث: ٢٠٦٦.

(٤) البخاري: كتاب الصلاة/ باب: حك البزاق باليد من المسجد، حديث: ٤٠٥، ص ٩١.

(٥) البخاري: كتاب الصلاة/ باب: قبلة أهل المدينة وأهل الشام والمشرق، حديث: ٣٩٤، ص ٨٩/ مسلم: كتاب الطهارة/ باب: الاستطابة، حديث: ٢٦٢.

## بعض ما يدل على مظاهر النشاط الاقتصادي في لغة الخطاب النبوي:

كانت مكة ذات شأن؛ فهي ملتقى التجار والحجيج، وهي سوق بلاد العرب، ومحجة الشعراء والأدباء، والمركز التجاري بين الهند والشام ومصر وغيرها.

حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup>: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا<sup>(٢)</sup> إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا<sup>(٣)</sup>﴾.

كما يظهر في بعض المفردات والمعاني والتركيب الخاصة ما يبين نظم الاقتصاد وشؤون الحياة المادية، والمهن الساندة في المجتمع الإسلامي مثل: التجارة والاحتطاب ورعي الغنم والسمسرة والزراعة والصناعة والتجارة والصيد والحرف اليدوية ... إلخ.

- التجارة: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِي الْقُرَشِيُّ الْإِسْكَندَرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ بْنُ دِينَارٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَوْا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَقَدْ امْتَرَوْا<sup>(٤)</sup> فِي الْمُبَرِّ مِمَّ عُوْدُهُ، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مِمَّا هُوَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَوَّلَ يَوْمٍ وَضِعَ، وَأَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى فُلَانَةٍ - امْرَأَةٍ قَدْ سَمَاهَا سَهْلٌ - "مُرِّي غُلَامَكَ النَّجَّارَ، أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا، أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ"<sup>(٥)</sup>، فَأَمَرْتُهُ فَعَمِلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ<sup>(٦)</sup>، ثُمَّ جَاءَ بِهَا،

(١) الجمعة: ١١.

(٢) انفَضُوا: قاموا وتفرقوا.

(٣) البخاري: كتاب: الجمعة/ باب: إِذَا نَفَرَ النَّاسُ، عَنِ الْإِمَامِ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فَصَلَاةُ الْإِمَامِ، وَمَنْ بَقِيَ جَائِزَةً،

حديث: ٩٣٦، ص ١٨٤/ مسلم: كتاب: الجمعة/ باب: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾

الجمعة: ١١، حديث: ٨٣٦.

(٤) امْتَرَوْا: تجادلوا.

(٥) انظر التجارة، الكتاني، محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي (ت ١٣٨٢هـ)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ط ٢، (تحقيق عبد الله الخالدي)، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت، د.ت، ٤٣/٢ - ٤٤.

(٦) طَرْفَاءُ: في الحديث إن مِثْبَرَ سيدنا رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - كان من أثل الغابَةِ، وفي رواية من طَرْفَاءِ الغابَةِ، قال ابن الأثير: الأثل شجر شبيهة بالطَرْفَاءِ إلا أنه أعظم منه.



فَأُرْسِلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ هَاهُنَا، ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى عَلَيْهَا وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَى، فَسَجَدَ فِي أَصْلِ الْمُبْنَرِ، ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتُمُوا وَلِتَعْلَمُوا صَلَاتِي"<sup>(١)</sup>.

- **الاحتطاب:** حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ، أُعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ"<sup>(٢)</sup>.

- **رَعَى الْغَنَمَ:** حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَجْنِي الْكَبَاثَ<sup>(٣)</sup> وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ"، قَالُوا: أَكُنْتَ تَرَعَى الْغَنَمَ؟ قَالَ: "وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا؟"<sup>(٤)</sup>.

- **السَّمْسَرَة:** حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُتْلَى الرُّكْبَانُ، وَلَا يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ. قُلْتُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا قَوْلُهُ: "لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟" قَالَ: لَا يَكُونُ لَهُ سَيْمَسَارًا<sup>(٥)(٦)</sup>.

- وكذلك تقاليد البيع والشراء مثل الإيجار والشراكة... الخ:

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عُمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ

(١) البخاري: كتاب: الجمعة/ باب: الخطبة على المئبر، حديث: ٩١٧، ص ١٨١/ مسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة/ باب: جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، حديث: ٥٤٤.

(٢) البخاري: كتاب: الزكاة/ باب: الاستعفاف عن المسألة، حديث: ١٤٧٠، ص ٢٩٠/ مسلم: كتاب: الزكاة/ باب: كراهة المسألة للناس، حديث: ١٠٤٢.

(٣) الكَبَاث: ثمر الأراك إذا اسود.

(٤) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ﴾ الأعراف: ١٣٨، حديث: ٣٤٠٦، ص ٦٨٠.

(٥) البخاري: كتاب: الإجارة/ باب: أجر السَّمْسَرَة، حديث: ٢٢٧٤، ص ٤٤١/ مسلم: كتاب: البيوع/ باب: تحريم تحريم بيع الحاضر للبادي، حديث: ١٥٢٢.

(٦) تكرر الشاهد سابقاً في الدراسة، ص ١٥٦.

مُسْنَعَانٌ<sup>(١)</sup> طَوِيلٌ، بَعَثَ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً؟" أَوْ قَالَ أَمْ هِبَةً" قَالَ: لَا، بَلْ بَيْعٌ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً<sup>(٢)</sup>.

وفي لغة الخطاب النبوي ما يبين مبادئ من نواحي السياسة في ألفاظ: الحرب وآلاته والسلم والتشريع والقضاء ... إلخ.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: قُلْتُ لِعَمْرٍو: أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: مَرَّ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ سِيَاهٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمْسِكْ بِنَصَالِهَا؟"<sup>(٣)</sup>.  
حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو يَعْقُوبَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ: أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَالَ: غَشِيَنَا اللَّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِقَنَا يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْفُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ، وَيَسْفُطُ وَآخُذُهُ<sup>(٤)</sup>.

---

(١) مُسْنَعَانٌ: منتفش الشعر.

(٢) البخاري: كتاب: البيوع/ باب: الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، حديث: ٢٢١٦، ص ٤٢٨/ مسلم: كتاب: الأشربة/ باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث: ٢٠٥٦.

(٣) البخاري: كتاب: الصلاة/ باب: يأخذ بنصول الثبل إذا مرَّ في المسجد، حديث: ٤٥١، ص ٩٩/ مسلم: كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: أمر من مرَّ بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها، حديث: ٢٦١٤.

(٤) البخاري: كتاب: التفسير/ باب: ﴿أَمْنَةُ نَعَسَا﴾ آل عمران: ١٥٤، حديث: ٤٥٦٢، ص ٨٩٦.

## الباب الثالث

### البيان في الخطاب النبويّ

#### الفصل الأول:

#### الخطاب النبويّ بين العقل والوجدان

إنّ التعامل مع الخطاب النبويّ وفق منظور نفسيّ يمنح الدّراسة قراءة خاصّة في صياغته الفنيّة التي تحمل في طيّاتها رؤية العالم الإنسانيّ، واستدعاء تجلّيات الشّعور واللاشعور الجمعي<sup>(١)</sup>.

وإذا سلّم أنّ منطلق الخطاب النبويّ ونشأته الأولى تنفذ من عقل منشئه عليه السّلام ووجدانه<sup>(٢)</sup>؛ لتلامس أعماق الشّعور<sup>(٣)</sup> في متلقّيه وفق ما تقتضيه التجربة الوجدانيّة الإنسانيّة المشتركة، ومنطق العقل في الدّعوة إلى الله؛ فخطاب التّبوّة خطاب وجدان وعقل في الوقت ذاته<sup>(٤)</sup>؛ ذلك أنّ لغته عليه السّلام تحفل بما تقول فيما يخاطب العقل من إشارات في حقائق الكون

---

(١) ذلك أنّ الوجدان في السلوك اللغويّ للفرد يتكوّن من توارّد المعلومات من الشّعور عندما تفتتح "الأنا" كذات فاعلة ومتفاعلة، ومن الإشارات والتّوجيهات التي يتلقاها من اللاشعور، والإنسان في تصرفاته اليوميّة يكتفي بالاستماع إلى صوت شعوره؛ لكنّه في الملمّات، وعند اضطراره لاثّخاذ قرار مُهمّ لا يعتمد ذلك الصّوت وحده؛ بل يصغي إلى ذلك الصّوت الخفي الذي يُسمى تارة الضّمير وتارة الوجدان. انظر عيسى، محاضرات في علم النّفس اللّغويّ، ص ٢٨٥.

(٢) إنّ النّشأطين: العقليّ والوجدانيّ باطنيّان وذاتيّان، يشعر بهما صاحبهما ويدركهما دون غيره من النّاس، انظر راجح، أصول علم النّفس، ص ١٠.

(٣) من مظاهر الشّعور كما يراها علماء النّفس أنّه وجدان إذا صحبه إحساس باللّذة والألم، فالحبّ والبغض والحزن والرّجاء... إلخ كلّها وجدانات تتصلّ بالنّفس، وهو تفكير إذا كان بحثاً عن حقائق الوجود، وهو إرادة إذا حقّز المرء على العمل ودفع إليه، وهذه مظاهر بينها اتصال وثيق، انظر بدوي، أحمد (١٩٥٠)، من بلاغة القرآن، ص ١٠.

(٤) في تسمية العقل، يقول الماورديّ: "وسمي بذلك تشبيهاً بعقل النّاقة: لأنّ العقل يمنع الإنسان من الإقدام على شهواته إذا قُبِحَتْ، كما يمنع العقّال النّاقة من الشّروء إذا نفرت؛ ولذلك قال عامر بن عبد الغني: إذا عقّك عما

وقضاياه الموضوعية من جهة، و بشعور المتلقي نحو ما يُقال في الجوانب الانفعالية، مع الاتصال بالجانب الأول، ودون انفصال من جهة ثانية<sup>(١)</sup>.

فبخطاب النبوة ترجمان للسان وجدان ولسان تفكير معاً؛ لأنه نتاج عقله عليه السلام ووجدانه الممتد إلى النفس الإنسانية المتلقية بنوازعها وطموحها غير المحدود.

والتلقي في فعل التواصل النبوي يختلف من مخاطب لآخر، وذلك حسب ثقافته، وحضوره الذهني والنفسي أثناء الخطاب، ويترتب على ذلك اختلاف في درجة التأثير والاستجابة والانفعال بالحدث الكلامي؛ لذا فمنهج الخطاب النبوي لإثارة وجدان المخاطب إثارة روحية، تحدث السرور في النفس فتقبل، أو تحدث فيها الألم فترفض تارة أخرى، كما يعتمد التفكير المتكفي على الوجدان؛ ليستميل المخاطب ويقنعه في أوامره ونواهيه وقصصه وأحكامه.

حَدَّثَنَا عِيَّاشٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ. قَالَ: وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا ابْنُ زُرَيْعٍ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "الْعَبْدُ إِذَا وَضَعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْذَلِكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ". قَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فِيرَاهُمَا جَمِيعًا - وَأَمَّا الْكَافِرُ، أَوِ الْمُنَافِقُ: فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صِيحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ"<sup>(٢)</sup>. إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يثير مشاعر الرهبة والفرع في المتلقي لما ينتظره من حساب في القبر؛ من سؤال الملكين، وما يلحقه من عذاب؛ فيدفع ذلك المسلم للعمل بتعاليم الدين الحنيف؛ صلاحه في الدنيا والآخرة.

= لا ينبغي فأنت عاقل"، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ)، أدب الدنيا والدين، ط ١، (اعتنى به محمد أبو الخير السيد ومحمد الشرقاوي، وخرجا أحاديثه)، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٤، ص ١٩.

(١) يرى أولمان أن اللغة تؤدي وظيفتين رئيسيتين: قد تكون أداة التعبير عن حقائق الحياة، غرضها توصيل الأفكار ونقلها، وقد تكون وظيفتها وجدانية للتعبير عن العواطف والانفعالات والتأثير حسب، وهذان الجانبان في معظم الكلام، ولكنه بنسب متفاوتة، انظر دور الكلمة، ص ١٠٣.

(٢) البخاري: كتاب: الجنائز/ باب: الميت يسمع خفق النعال، حديث: ١٣٣٨، ص ٢٦٣/ مسلم: كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعود، حديث: ٢٨٧٠.

ويشعر المسلم الكيس بالرضا بما كتب عليه والقناعة؛ لمعرفته أنّ قدره محتوم، ورزقه مقسوم، ومصيره مكتوب: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ قَالَ: حَدَّثَنِي جَرِيرٌ، عَنْ مَنصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْعَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ<sup>(١)</sup>، فَكَسَّ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ<sup>(٢)</sup> بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ<sup>(٣)</sup>، إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسِّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ، فَيُيَسِّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ"، ثُمَّ قَرَأَ<sup>(٤)</sup>: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾<sup>(٥)</sup>.

ولعلّ اتكاء الرسول - عليه السلام - على الوجدان في الوجهتين يعزّز ما ذهب إليه علم النفس الحديث في تأكيد سلطان الوجدان في اللغة، وأثرها البارز في المتلقّي، وتراجع سلطان العقل إلى المستويات الخلفيّة؛ لأنّ الإنسان في جوهره كائن عاطفيّ قبل كلّ شيء<sup>(٦)</sup>؛ ولمراعاة هذين الجانبين، فقد غني الرسول - عليه السلام - بخطابه النبويّ، فتنوّعت الأساليب اللغويّة بما يتضمنه فعل التواصل من أبعاد نفسيّة وجماليّة، تحمل المخاطب على التّأثر، كاستخدام الرسول - عليه السلام - المحاجة العقليّة؛ لشحذ ذهن الصّحابة، ووضعهم في حالة ترقّب، باستخدام أسلوب الاستفهام لانتظار الجواب<sup>(٧)</sup>:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا

(١) مِخْصَرَةٌ: شيء يأخذه الرجل بيده؛ ليتوكأ عليه مثل: العصا ونحوها، وهو أيضاً ممّا يأخذه الملك يشير به إذا خطب.

(٢) نَكَتَ: يضرب في الأرض ضرباً خفيفاً.

(٣) مَنفُوسَةٌ: مولودة.

(٤) اللّيل: ٥.

(٥) البخاري: كتاب: الجنائز/ باب: مَوْعِظَةُ الْمُحَدَّثِ عِنْدَ الْقَبْرِ وَقُعُودُ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ، حديث: ١٣٦٢، ص ٢٦٨/ مسلم: كتاب: القدر/ باب: كيفية الخلق الأدميّ في بطن أمّه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث: ٢٦٤٧.

(٦) الرّأي لـ "شارل بالي"، انظر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص ٣٨.

(٧) انظر طريقة السّؤال والجواب، الباب الأوّل، الفصل الثاني من الدّراسة، ص ٨٤.

هي؟". فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدَّثَنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "هِيَ النَّخْلَةُ"<sup>(١)</sup>.

وكذلك: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ فِرَاسٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قُلْنَ لِلنَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لِحُوقًا؟ قَالَ: "أَطْوَلُكُنَّ يَدًا"، فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا، فَكَانَتْ سَوْدَةً أَطْوَلَهُنَّ يَدًا، فَعَلِمْنَا بَعْدُ: أَلَمَّا كَانَتْ طُولَ يَدَيْهَا الصَّدَقَةَ، وَكَانَتْ أَسْرَعَ لِحُوقًا بِهِ، وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اُنْصِرْ أَخَاكَ ظَالِمًا، أَوْ مَظْلُومًا"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"<sup>(٣)</sup>.

ومما يقال في البلاغة النبوية استخدامه عليه السلام أساليب التقديم والتأخير والحذف والإيجاز إلى غير ذلك، عوامل تتضافر لتوضيح فكرة الرسول - عليه السلام - في خطابه النبوي وجعلها مؤثرة<sup>(٤)</sup>.

ولسمة بيانه عليه السلام في صواب اللفظ والمعنى والتركيب والبعد عن الخطأ واللحن ما يجعله أدعى إلى القبول وأدفع لإحساس المخاطب بالارتياح، يقول ابن طباطبا في أثر هذه السمات في تقبل المتلقي خطاب المنشي<sup>(٥)</sup>: "فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوماً مصقياً من كدر العي، مقوِّماً من أود الخطأ واللحن، سالمًا من جور التأليف، موزونًا بميزان الصواب لفظًا ومعنىً وتركيبًا، اتسعت طريقه ولطفت موالجه، فقبله الفهم وارتاح به وأنس به".

كما أن خصائص نظم لغة الخطاب النبوي وسبكها في تراكيب، منها ما يناسب الانفعال السريع والحركة المتوثبة حسب المخاطب، ومنها ما يناسب العاطفة الهادئة والحركة البطيئة، فيدفع الإحساس الفني الأريب في المخاطب إلى الانسجام والتأثير.

(١) البخاري: كتاب: العلم/ باب: قول المحدث: حَدَّثَنَا أو أَخْبَرْنَا، حديث: ٦١، ص ٢٣/ مسلم: كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم/ باب: مثل المؤمن مثل النخلة، حديث: ٢٨١١.

(٢) البخاري: كتاب: الزكاة/ باب: أسرع أزواجه صلى الله عليه وسلم لحوقاً به، حديث: ١٤٢٠، ص ٢٨٠/ مسلم: كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل زينب- أم المؤمنين- رضي الله عنها، حديث: ٢٤٥٢.

(٣) البخاري: كتاب: المظالم/ باب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، حديث: ٢٤٤٤، ص ٤٧٩.

(٤) انظر الباب الأول، الفصل الثاني: سمات الخطاب النبوي من الدراسة، ص ٦٥-٦٧.

(٥) عيار الشعر، ص ١٤.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا<sup>(١)</sup>، فَقَالَتْ: إِنَّ شَيْئًا أُعْطِيتُ أَهْلَكَ وَيَكُونُ الْوَلَاءُ<sup>(٢)</sup> لِي، وَقَالَ أَهْلُهَا: إِنَّ شَيْئًا أُعْطِيتُهَا مَا بَقِيَ - وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: إِنَّ شَيْئًا أُعْطِيتُهَا - وَيَكُونُ الْوَلَاءُ لَنَا، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَكَرْتُهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: "ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ"، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْمِنْبَرِ - وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْمِنْبَرِ - فَقَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ: مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنْ اشْتَرَطَ مِنْهُ مَرَّةً"<sup>(٣)</sup>.  
هذا عدا التناغم في إيقاع الكلمات وجرسها الموسيقي، بله النبر والتنغيم<sup>(٤)</sup>.

وإنّ لاستخدام الرسول - عليه السلام - أساليب بلاغية من جمال تصوير فنيّ ومجاز تأثيراً قوياً في وجدان المخاطب<sup>(٥)</sup>، فحسنُ صناعة البلاغة لا شك لها وقعها في النفوس كما يبيّن القرطاجني<sup>(٦)</sup>: "يكون النظر في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه في النفوس من جهة هيأته ودلالته، ومن جهة ما تكون عليه تلك الصور الذهنية في أنفسها، ومن جهة مواقعها من النفوس من جهة هيأتها، ودلالاتها على ما خارج الذهن، ومن جهة ما تكون عليه في أنفسها الأشياء التي تلك المعاني الذهنية صور لها، وأمثلة دالة عليها، ومن جهة مواقع تلك الأشياء من النفوس"<sup>(٧)</sup>.

والكلمات النبوية تعبّر عن المشاعر والانفعالات بفضل المضمون الوجدانيّ الذي تكتسبه في بعض المواقف المحددة؛ فقد يكون مصدر العنصر الوجدانيّ في الكلمة منبعه إمّا من طبيعة المعنى؛ إذ يكون مثيراً للشعور والإحساسات القويّة مثل: الكلمات التي تدلّ على القيم الأخلاقية

(١) كِتَابَتِهَا: المكاتبة: تعهّد العبد بدفع مالٍ لسيّده مقابل عتقه.

(٢) الْوَلَاءُ: قال الشافعيّ إذا عتّق عبده سائبة، فمات العبد وخلف مالا ولم يدع وارثاً غير مولاه الذي أعتقه، فميراثه لمعتقه؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل الولاء لحمة كلّ حمة النّسب؛ فكما أنّ لحمة النّسب لا تنقطع، كذلك الولاء.

(٣) البخاريّ: كتاب: الصّلاة/ باب: ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، حديث: ٤٥٦، ص ٩٩/ مسلم: كتاب: العتق/ باب: إمّا الولاء لمن أعتق، حديث: ١٥٠٤.

(٤) لعلّ النبر والتنغيم أظهر في الخطاب النبويّ شفهياً في موقف التّواصل، من نص الخطاب النبويّ المكتوب.

(٥) انظر التفصيل، الباب الثالث، الفصل الثاني من الدراسة، ص ١٨١.

(٦) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ١٧.

(٧) ويقول الرافعي: "هكذا يجب تأمل الجمال الفنيّ في كلامه صلى الله عليه وسلم، فهو كلام كلما زدته فكراً زادك معنى"، وحي القلم، ٧٤٧/٣.

والدينية كالحرية، والعدل، والحق، أو في طبيعة الكلمة على "الاستدعاء"<sup>(١)</sup> في سياق لغوي معين، يكسبها جواً خاصاً، يجعلها قادرة على استحضار البيئة التي تنتمي إليها الكلمة مثل المصطلحات الدينية أو الاجتماعية أو النفسية... إلخ، أو تحمل في ثناياها طابع متداوليها في سياق التواصل. وإذا كان علماء الاجتماع والنفس اهتموا بالعلاقة الأفقية بين الإنسان ومجتمعه، وقامت نظرياتهم الدنيوية على تنظيم العلاقات والمعاملات بين الأفراد؛ فإن الرسول - عليه السلام - بوصفه عالم نفس واجتماع لم يكتفِ بتنظيم الجانب المادي من حياة المسلم، إنما عني في خطابه بالجانب الروحي الذي لا يشبعه إلا علاقة المسلم مع خالقه في مستوى العلاقة الرأسية بين العبد وربّه في فعل إعانة واستعانة، فالاستخارة وجه من أوجه طلب العبد العون من الله، وهي نوع من "الطب الوقائي الإسلامي"<sup>(٢)</sup>، وبمنزلة تطهير النفس وتسكين القلب واتصال بين العبد وربّه في لحظات الضعف الإنساني، فدعا الرسول - عليه السلام - المسلمين إلى طلب المدد من الله بأدعية تقربه منه وتساعد وتثبتته على الحق، وتهديه إلى طريق الرشاد.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ: حَدَّثَنَا فَرِيشٌ - هُوَ ابْنُ حَيَّانَ - عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أَبِي سَيِّفٍ الْفَيْنِ، وَكَانَ ظَنُرًا<sup>(٣)</sup> لِإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَذُرْقَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ"، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ"<sup>(٤)</sup>.

وثمة علاقة وثيقة بين الدين والصحة النفسية للمسلم، فما جاء به الإسلام هو المعين له والمقوي في حياة المسلم في الدنيا والآخرة:

(١) انظر أولمان، دور الكلمة، ص ١٠٥.

(٢) التعبير للشرقاوي، انظر الشرقاوي، حسن (د.ت)، في الطب النفسي النبوي، د.ط، دار المطبوعات الجديدة، ص ١٥٩.

(٣) الظنر: المرضعة غير ولدها، فلفظة ظنر تقع على الأنثى والذكر، وظنر إبراهيم هو زوج مرضعته.

(٤) البخاري: كتاب: الجنائز/باب: قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ"، حديث: ١٣٠٣، ص ٢٥٧/مسلم: كتاب: الفضائل/باب: رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك، حديث: ٢٣١٥.



حَدَّثَنَا آدَمُ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرِ وَهْيَ تَبْكِي، فَقَالَ: "اتَّقِي اللَّهَ وَأَصْبِرِي"<sup>(١)</sup>.  
ثم إن كثرة الذنوب والمعاصي بمنزلة السموم، إن لم تهلك القلب أضعفته، ثم أضعفت جسده، وجعلته عاجزاً عن مقاومة الأسقام والعلل والعقبات التي تمر في طريقه، فحث الرسول عليه السلام - مخاطبه على أن يكون قوياً دائماً وفي كل ظروف حياته: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ رَيْبَعَةَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ. احْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ. وَلَا تَعْجِزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحُ عَمَلُ الشَّيْطَانِ"<sup>(٢)</sup>.

والذكر بالتسبيح والتكبير والحمد... إلخ فعلٌ تأملٌ فكري وإحساس وجداني في آن معاً؛ لأنه يجنب المسلم القلق ويبعده عن القنوط من رحمة الله:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ سُمَيٍّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْأَمْوَالِ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ، يَحْجُونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ، وَيَجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ! قَالَ: "أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ، أَدْرَكْتُمْ مِنْ سَبَقِكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟ تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: تُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُحَمِّدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ كُلُّهُمْ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ"<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: الجنائز/ باب: قول الرجل للمرأة عند القبر: اصبري، حديث: ١٢٥٢، ص ٢٤٧/ مسلم: كتاب: الجنائز/ باب: الصر على المصيبة عند الصدمة الأولى، حديث: ٦٢٦.

(٢) مسلم: كتاب: القدر/ باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث: ٢٦٦٤.

(٣) الدثور: المال الكثير.

(٤) البخاري: كتاب: الأذان/ باب: الذكر بعد الصلوة، حديث: ٨٤٣، ص ١٦٨/ مسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصلوة/ باب: استحباب الذكر بعد الصلوة، وبيان صفته، حديث: ٥٩٥.

وتحصين المسلم نفسه والاستشفاء لدرء عين الحسد عن المحسود بقراءة المعوذتين وآيات قرآنية دلّ عليها الرسول - عليه السلام - مخاطبته للاسترقاء في الحديث التالي، وفيه شاهدٌ على ربط الجانبين: المادي والروحي في حياة المسلم.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَهْبٍ بْنُ عَطِيَّةَ الدَّمَشَقِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الزُّبَيْدِيُّ: أَخْبَرَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهَهَا سُفْعَةٌ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ: "اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ"<sup>(٢)</sup>.

كما دعا الرسول - عليه السلام - إلى التأمل في الكون والتفكير في مخلوقاته عز وجل، وفي هذا خطاب عقلي وجداني يحمل المخاطب على التأثر والانفعال بما يشاهد، وهذا ما كان يفعل عليه السلام في غار حراء، وخطاب الاعتبار أحد أصناف البيان الخمسة التي يسميها الجاحظ بـ"النَّصْبَة" أو "دلالة الحال"<sup>(٣)</sup>.

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارَ حَرَاءٍ فَيَنْحَنُّ فِيهِ - وَهُوَ النَّعْبُدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ<sup>(٤)</sup> إِلَى أَهْلِهِ، وَيَنْزُودُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَنْزُودُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حَرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ"، قَالَ: "فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي"<sup>(٥)</sup>، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ

(١) سُفْعَةٌ: تَغْيِيرُ الْبَشْرَةِ إِلَى السَّوَادِ.

(٢) الْبَخَارِيُّ: كِتَابُ الطَّبِّ/ بَابُ رَقِيَةِ الْعَيْنِ، حَدِيثٌ: ٥٧٣٩، ص ١١٦٤ / مُسْلِمٌ: كِتَابُ السَّلَامِ/ بَابُ اسْتِحْبَابِ الرَّقِيَّةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالثَّمَلَةِ وَالْحَمَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَدِيثٌ: ٢١٩٧.

(٣) يَقُولُ الْجَاظُ فِي صُنُوفِ الْبَيَانِ: "وَجَمِيعُ أَصْنَافِ الدَّلَالَاتِ عَلَى الْمَعَانِي مِنْ لَفْظٍ وَغَيْرِ لَفْظٍ خَمْسَةٌ أَشْيَاءُ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِيدُ: أَوَّلُهَا اللَّفْظُ، ثُمَّ الْإِشَارَةُ، ثُمَّ الْعَقْدُ، ثُمَّ الْخَطُّ، ثُمَّ الْحَالُ الَّتِي تَسْمَى نَصْبَهُ، الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ، ٧٦/١. وَيَقُولُ الْجَاظُ فِي النَّصْبَةِ، الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ٨١/١: "وَأَمَّا النَّصْبَةُ فَهِيَ الْحَالُ النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ اللَّفْظِ وَالْمَشِيرَةُ بِغَيْرِ الْيَدِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِي كُلِّ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ وَجَامِدٍ وَنَامٍ وَمَقِيمٍ وَظَاعِنٍ وَزَائِدٍ وَنَاقِصٍ"، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ وَهْبٍ الْكَاتِبَ النَّصْبَةَ بِمُسَمًى "بَيَانُ الْإِعْتِبَارِ"، انْظُرِ الْبَرْهَانَ فِي وَجْهِ الْبَيَانِ، ص ٧٣.

(٤) يَنْزِعُ: يَرْجِعُ.

(٥) عَطَّنِي: ضَمَّنِي ضَمًّا شَدِيدًا.

أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال<sup>(١)</sup>: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③﴾، "فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي"، فزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ- وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ-: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي"، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، وَاللَّهِ! مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ<sup>(٢)</sup>، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ: وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ<sup>(٣)</sup> الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوْ مُخْرِجِي هُمْ"، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوفِّيَ، وَفُتِّرَ الْوَحْيُ<sup>(٤)</sup>.

ولعل من أقوى العوامل التي تدفع المخاطب إلى التأثير الوجداني والاقتناع العقلي بالخطاب النبوي أنه عليه السلام كان يتمثل كل ما يقول أو يوجه إليه المتلقي من أفعال، وإذا سنَّ سنَّه كان أول البادئين في تطبيقها، فهو النموذج والمثل الأعلى للمسلم.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْرَجَنَا لَهُ مَاءً فِي ثَوْرٍ مِنْ

(١) العلق: ٣-١.

(٢) العلق: قطعة يسيرة من دم.

(٣) الكَلَّ: العاجز الفقير الذي يحتاج لمن يعوله.

(٤) النَّامُوسُ: صاحب السر، وهنا جبريل - عليه السلام-.

(٥) البخاري: كتاب: بدء الوحي/ باب: لما جاءه الحق وهو في حراء، حديث: ٣، ص ٦/ مسلم: كتاب: الإيمان/

باب: بدء الوحي إلى رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث: ١٦٠.

صُفْرٍ، فَتَوَضَّأَ فَعَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، فَأَقْبَلَ بِهِ وَأَدْبَرَ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

وقد يُقال: أليس للتأثير النفسي في المتلقّي وجهتان: إيجابية وسلبية؟ فأين التأثير السلبي النفسي في متلقّي الخطاب النبوي؟

والظنّ أنّ الأثر النفسي الحادث في السّواد الأعظم من المخاطبين في نصّ الخطاب النبويّ في الصّحيحين إيجابي، حتى لو لم يكن ذلك المخاطب من المسلمين، وقد يُردّ ذلك إلى عدّة عوامل:

**أولاً:** شخص الرّسول - عليه السّلام - منشئ الخطاب، المعروف بين من عاصره، ولمن جاء بعده يفرض نفسه على مخاطبه أو سامع خطابه.

**ثانياً:** طريقة الرّسول - عليه السّلام - في خطاب النّاس بإسماح، تعتمد الحجّة والإقناع بعد ملامسة المشاعر والأحاسيس دون عنف أو إكراه؛ مُقدِّراً عقل المخاطب أيّاً كان.

**ثالثاً:** من العوامل التي جعلت الخطاب النبويّ مؤثراً إيجابياً البيان النبويّ الخاصّ ببلاغته وفصاحته، وهو وإنّ كان من نسق القواعد اللّغويّة المعروفة والمشاركة بين الرّسول - عليه السّلام - منشئ الخطاب النبويّ ومتلقّيه ضمن معايير اجتماعيّة ودينيّة ونفسية وبيئية، فإنّه يرتفع عليه وينماز كما سبقت الإشارة إليه<sup>(٢)</sup>.

**رابعاً:** فهم الرّسول - عليه السّلام - النّفس البشريّة التي يخاطبها يجعله يعرف مداخلها، ومفاتيح الولوج إلى العناصر المؤثّرة فيها.

**خامساً:** يترتّب على العامل الرابع: تنوّع الخطاب النبويّ في طرقه ولغته بما يناسب مستويات المخاطبين النفسيّة والاجتماعيّة المتباينة، وهذا له الأثر الأجلّي في إحداث استجابة إيجابيّة في مخاطب الرّسول - عليه السّلام - الأمثل والموضوعيّ في الأغلب، وليس المخاطب المعاند أو المتردّد أو المنكر أو الجاحد، أو من كانت نفسه غير سويّة في رفضها الحقّ الذي هو أظهر من طلوع الفجر.

**سادساً:** إنّ كان ثمة تأثير سلبيّ حادث في القلّة القليلة من مخاطبي الرّسول - عليه السّلام - فمرده ليس لمنشئه عليه السّلام أو لضعف نصّ الخطاب النبويّ أو قناة التّواصل؛ إنّما سببه طبيعة مخاطبه المتمثلة إمّا في عناده أو إصراره على السّير على خطا آبائه وأجداده في عقائدهم الباطلة الزّائفة.

(١) البخاري: كتاب: الوضوء/ باب: الغسل والوضوء في المِخضَب، والقَدَح، والخشب، والحجارة، حديث: ١٩٧،

ص ٥٠/ مسلم: كتاب: الطّهارة/ باب: وضوء النّبي- صلى الله عليه وسلم، حديث: ٢٣٥.

(٢) انظر الباب الأول، الفصل الثاني: أصالة الخطاب النبويّ من الدّراسة، ص ٣٦.

وعليه، فالمخاطب في الخطاب النبويّ يجده نصّاً متناغماً مع حياته الروحيّة والفكريّة والنفسية والاجتماعيّة، فيه تكامل بين ظاهره الفنيّ ومحتواه الدلاليّ، وبين المؤثر الجماليّ والوجدانيّ والمؤثر الحسيّ والعقليّ؛ لذا فقد يكون هذا دافعاً لإحداث تأثير داخل نفسه، ناشئ عن تأثير القيمة التداوليّة بين طرفي الخطاب النبويّ، ثمّ الاستجابة الإيجابيّة في فعل التّواصل.

## الفصل الثاني:

### الصورة البيانية في الخطاب النبوي وتأثيرها النفسي

حرص الرسول - عليه السلام - على استكناه روح النفس البشرية في عواملها الخفية، والولوج إلى إحساس المتلقي والتأثير في مشاعره في الخطاب النبوي، بما امتاز به عليه السلام من قدرة على معالجة الأسلوب اللغوي، لرصد خبايا التأثير في نفس المتلقي، ثم مخاطبتها بإبداع صور فنية يلتقط عليه السلام أدواتها وعناصرها من واقع المخاطب المألوف معيذاً تشكيلها بشكل غير مألوف، يحمل بصوره عناصر الجودة والإمتاع والخصوصية والتأثير.

ويشير ابن رشد إلى أن التمثيل في شريعتنا أتم إفهاماً لأكثر الناس، وأكثر تحريگاً لنفوسهم<sup>(١)</sup>، ويبيّن العسكري أهمية التشبيه في إكساب المعنى جلاء وتأكيذاً بقوله<sup>(٢)</sup>: "والتشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحدٌ منهم عنه، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كلّ جيل ما يستدلّ به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكلّ لسان"، ولا بدّ مع الأدب من البيان؛ لأنّ النفس تنزع إلى جمال التصوير، ودقة لمحاته، وبتعبير الرافعي<sup>(٣)</sup>: "بل ينزل البيان من المعنى الذي يلبسه منزلة النّضج من الثمرة وحدها قبل النّضج شيئاً مسمّى أو متميّزاً بنفسه"، ويقول<sup>(٤)</sup>: "فإنّ البيان صناعة الجمال في شيء جماله هو في فائدته، وفائدته في جماله".

وثمة فرق بين صورة مصطنعة لا روح فيها، ولا تأثير في متلقّيها، وبين صورة خرجت عن حدّ الاستعمال والمتداول إلى التأثير بما تحمله من روح مبدعها ومناسبتها للموقف وطبيعة متلقّيها، ونمط الخطاب وسياقه اللغوي الاجتماعي والنفسي، فكثير من مواقف التواصل النبوي ما تصبح فيها الصّور الجزئية أو الكلية طريقة تواصل مهمّة، باستخدام التشبيه والاستعارة والمجاز؛

(١) انظر ابن رشد، القاضي أبو الوليد محمّد بن أحمد (ت ٥٩٥ هـ)، فصل المقال، وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتّصال، د. ط، (تحقيق جورج فضلو الحوراني)، مطبعة بريّل، ليدن، ١٩٥٩، ص ٣٦، يذكر ابن رشد أنّ المعاني الموجودة في الشرع توجد على خمسة أصناف.

(٢) الصناعتين، ص ٢٦٥.

(٣) وحي القلم، ٩٥٨/٣.

(٤) الرافعي، المرجع نفسه، ٩٥٩/٣.

لأنّها تجمع إلى جمال الصّورة البيانيّة عنصر الإبلاغ في آن معاً، حتى وإن بدت الصّورة كأنّها تلوذ بالشكل أمام سلطة المضمون.

والصّورة البيانيّة من ثقافة المجتمع؛ لأنّ الأولى هي إحدى تجلّيات الثّانية العقليّة، وهي إنتاج لنظام من المعاني التي تخضع لفكر المجتمع الذي تتوجّه إليه، فبأسلوب التّصوير البيانيّ يمكن استحضار ما لا حصر له من المعاني، ثمّ التّعبير عنها بالقليل من الألفاظ بعلاقة بليغة وجميلة بين اللفظ والمعنى، وهذا ما سبقت الإشارة إليه بـ "جوامع الكلم" في بلاغة الرّسول- عليه السّلام<sup>(١)</sup> (٢).

والكلمة والصّورة البيانيّة لا تكون رمزاً بلاغيّاً حتى تحمل معنًى باطنياً أوسع من المعنى المعجميّ، إذ يصعب تفسيره بدقة أو تحديده<sup>(٣)</sup>؛ لكن قصر التّشبيه على العقل والمعاني الذهنيّة بعيداً عن أطواء النّفس لا يحدث فعل التّأثير الوجدانيّ؛ بل يجب جمع الجانبين لينفعل بهما المتلقّي مع استخدام أسلوب الإقناع الخطابيّ والتّخييل في تقوية المعنى كما يقول القرطاجني<sup>(٤)</sup>: "وبقي الآن أن نتكلّم في المعاني الذهنيّة، وفي بعض ما تحتاج إليه هذه الصّناعة ممّا يتعلّق بالأشياء التي تلك المعاني الذهنيّة صور لها ممّا تكون عليه تلك الأشياء، وما تكون عليه صورها، ومن جهة مواقعها من النّفس، وكونها ممّا يستميل النّفس أو ينفرها؛ لكونها ملائمة لها أو منافرة أو بإيهام النّفس ذلك فيها بتخييل شعريّ أو إقناع خطابيّ، وما يكون فيه معونة على تقوية ذلك".

#### من الصّور البيانيّة في الخطاب النّبويّ وتأثيرها في المتلقّي:

**أولاً:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أَسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبْلَتْ الْمَاءَ، فَاتَّبَعَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا

(١) انظر "جوامع الكلم" الباب الثّاني، الفصل الأوّل من الدّراسة، ص ١٥٠.

(٢) يعبر تَمَام حَسَّان عن تَقْلِيل المباني بإزاء ما ينسب إليها من المعاني بـ "اقتصاد اللّغة"، انظر حَسَّان، تَمَام (١٩٨٢)، الأصول. دراسة استمولوجيّة للفكر اللّغويّ عند العرب النّحو، فقه اللّغة، البلاغة، د. ط، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ص ٣٦٢.

(٣) يذكر صلاح فضل عن "يونج" أن الاستخدام الواعي للرّموز هو أحد جوانب كثيرة لاستخدام اللّغة؛ مبيّناً أن ثمة حقيقة نفسيّة ذات أهميّة بالغة هي أن الإنسان يصنع رموزاً بالاشعور وبصورة عفويّة، وهي التي تتجلّى في شكل أحلام. انظر فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص ٤٨.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ١٨.

أَجَادِبُ<sup>(١)</sup>، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانُ<sup>(٢)</sup> لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعِلِمَ وَعِلْمَ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ<sup>(٣)</sup>.

في خطاب الرسول - عليه السلام - السابق يضرب مثلا مؤثرا من واقع الحياة، واضحا في خاطر، وجليا للذهن ودقيق الوصف، يجمع إلى تخيل الصورة الذهنية ملازمة للقلب في ضرب الرسول - عليه السلام - مثلا يصور به نفسه في بعثه هاديا ومعلما للناس، كالغيث الذي يرسل رحمة للعالمين.

الخطاب النبوي هنا صورة كلية تقضي إلى جزئياتها؛ لتشكل مشهدا متكاملا، فالرسول - عليه السلام - ينتقي من مظاهر الطبيعة الغيث ليشبه رسالته به بجامع الخير والرحمة، ويختار ما يلامس الحس في تصنيف مواقف الناس من رسالته، فمنهم كالأرض النقيّة والطبيعة التي شربت الماء واستفادت مما أعطيت فأنجبت ثم أثمرت، ومنهم كالأرض الجذباء التي شربت الماء، فنفع الله بها، فشرب الناس وسقوا وزرعوا، ومنها أرض لم تقبل الماء ولم تنتج، ففي الصورة الأولى يُنتفع بالماء عند قوم، وضياعه هباءً عند الآخرين في الصورتين الآخرين، وهي صورة متأثرة بالآية<sup>(٤)</sup>: ﴿أَنْزَلَ السَّمَاءَ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثْلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

فدقة الرسول - عليه السلام - جلية في اختيار الصور الثلاثة لمواقف الناس مما جاء به من صفة الأرض (النقيّة - الجذباء - القيعان) ألفاظ لها إحياءاتها النفسية المؤثرة في المتلقي بين إيجاب (نقيّة) وسلب (جذباء - قيعان)؛ إذ تدلّ الكلمتان الأخيرتان على تدني منزلة من لا ينتفع بما جاء به الهادي - عليه السلام.

(١) أَجَادِبُ: أرض جافة لا تنبت ولا تشرب الماء.

(٢) قِيعَانُ: الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت.

(٣) البخاري: كتاب العلم/ باب: فَضَّلَ مَنْ عِلْمَ وَعِلْمَ، حديث: ٧٩، ص ٢٧/ مسلم: كتاب الفضائل/ باب: مثل ما

بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - من الهدى والعلم، حديث: ٢٢٨٢.

(٤) الرَّعْد: ١٧.



**ثانياً:** حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمَزَةَ: قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ وَالدَّرَّاورِدِيُّ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟" قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: "فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا"<sup>(١)</sup>.

خطاب جاذب باعتماد أسلوب الاستفهام، وصورة حسيّة يعيشها المخاطب كلّ يوم، فالماء رمز النّقاء والطّهارة، والمعاصي والآثام أدرانٌ وأوساخ تحتاج إلى تنظيف، ألفاظ ينتزعها الرّسول - عليه السّلام - من معجم المسلم في العبادات، وتشبيهات لها تأثيرها النّفسيّ في تفاعل المخاطب مع هذه الصّورة الحسيّة، وربطها بالصّورة الذهنيّة التي تختزن في ذاكرة المسلم اليوميّة، يختار الرّسول - عليه السّلام - الجيّد من عناصر الواقع الحيّة، وينفي الرديئة في الرّبط بين طرفي التشبيه، صورة واقعيّة اجتماعيّة يعيشها المسلم في وضوئه للصّلوات الخمس، فهي صورة قريبة منه، وسهلة التّخيل؛ ولكنها ليست مبذلة أو مستهلكة.

وحال المسلم هو حال النّفس الإنسانيّة في تقلّبها، فهي تخطئ وتصيب، قد تزلّ ثمّ تعود لتتقرّب إلى الله عزّ وجلّ من جديد، فالمسلم تمرّ عليه أحوال تضعفه، ثمّ يعود من جديد يستعيد قواه، فالمؤمن القويّ خير من المؤمن الضّعيف، ويختار الرّسول - عليه السّلام - الماء رمز الطّهارة، لتنقيته من أدرانهِ ومعاصيه عند توبته وعودته.

**ثالثاً:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِثْلِي وَمِثْلُ مَا بَعَنِي اللَّهُ، كَمِثْلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ"<sup>(٢)</sup>، فَالْجَاءَ النَّجَاءُ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا<sup>(٣)</sup> عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَحَهُمُ الْجَيْشُ فَاجْتَاَحَهُمْ"<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: مواقيت الصّلاة/ باب: الصّلوات الخمس كفارة، حديث: ٥٢٨، ص ١١٣ / مسلم: كتاب:

المساجد ومواضع الصّلاة/ باب: المشي إلى الصّلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدّرجات، حديث: ٦٦٧.

(٢) أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ: مثل قديم يضرب للدّلالة على صدق الخبر.

(٣) أدلجوا: الدّلبة: السّير أوّل الليل، وقيل: سير الليل كلّ.

(٤) البخاري: كتاب: الرّقاق/ باب: الانتهاء عن المعاصي، حديث: ٦٤٨٢، ص ١٢٩٣ / مسلم: كتاب: الفضائل/

باب: شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته، ومبالغته في تحذيره، حديث: ٢٢٨٣.

التشبيه الجيد هو الذي يلمس شفاف النفس ويؤثر فيها، فالرسول - عليه السلام - يختار من الصور ما تجلو معانيه، وتغمرها بالوضوح والإشراق، فصورته المنشأة بارعة، تزيد المعاني جمالا، يقرب بها البعيد ويجلي الغامض؛ فيضع الرسول - عليه السلام - نفسه موضع النذير الذي يحمل خبرا ينذر به قومه بضرورة الاحتشاد لمواجهة عدو يخطط لاجتياحهم، ووصفه عليه السلام لهذا النذير العريان وصف دقيق ومعبر ومؤثر في الآن نفسه؛ لأنه لا يملك دليلا على ما يحمله من الخبر، فمن أطاعه هم طائفة خرجت ليلا فنجت، وأخرى كذبت فاجتاحها الجيش، فقضى عليها، وهذا الخروج عن المؤلف في العبارة من أنماط البلاغة، وهو ما يطلق عليه بـ"الانحراف الأسلوبى"، سمة للغة الأدبية المؤثرة في المتلقي، فعليه السلام يعرف عناصر التأثير في البيان، وأوجه الجمال في اللسان، فيضع الرسول - عليه السلام - الألفاظ في العبارات مواضعها، ويلبسها معاني تكون على مقاسها؛ فيعطي عبارة ما مزية على أخرى، تكون أدعى للتأثير من غيرها، يقول الجرجاني<sup>(١)</sup>: "لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى، حتى يكون لها في المعنى تأثير، لا يكون لصاحبتهما".

وهذه الصورة النبوية بخروجها عن المؤلف تشكّل نوعا من الدهشة السارة، والمفاجأة المبالغية؛ مما يجعل المتلقي مشدودا ذهنيا ونفسيا؛ ليرسم معالم الصورة في ذهنه، ولعلّ هذا الخروج أو التوسع هو نفسه موضوع "المعنى الثاني" الذي عالجه القرطاجني؛ إذ ربط المعنى الأول للصورة الشعرية بالوصف اللغوي، أما المعنى الثاني فهو المعنى المجازي، يقول<sup>(٢)</sup>: "ولنسم المعاني التي تكون من متن الكلام ونفس غرض الشعر المعاني الأولى، ولنسم المعاني التي ليست من متن الكلام ونفس الغرض؛ ولكنها لتلك أو استدلالات عليها أو غير ذلك، لا موجب لإيرادها في الكلام غير محاكاة المعاني الأولى بها أو ملاحظة وجه يجمع بينهما على بعض الهيئات التي تتلاقى عليها المعاني، ويصار من بعضها إلى بعض المعاني الثواني".

**رابعا:** حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا قَالَ: سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ: سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا، إِذَا

(١) دلائل الإعجاز، ص ٢٥٨.

(٢) القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٢٣.

اسْتَقُوا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَشْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا<sup>(١)</sup>.

يصف الرسول - عليه السلام - حالة تنتشر في المجتمع الإسلامي وتشيع بين الناس، وهي التهاون في حدود الله والاستهانة بأداب الدين؛ بدعوى الحرية، والرسول - عليه السلام - في خطابه يدعو إلى الضرب على أيدي العابثين بالحدود والمستهكين للحرمان، فيعطي صورة مبتكرة، وسهلة التخيل لقوم ركبوا سفينة، بعضهم كان أعلاها وآخرون في الأسفل، فاستأذن من هم بالأسفل أَنْ يخرقوا في نصيبهم خرقًا؛ ليستقوا بدل مرورهم على مَنْ هم أعلى، فلو ترك القوم في الأعلى الآخرين يفعلون ما عزموا عليه؛ لهلك الجميع، وهذا حال من يترك المستهترين بأمور الدين، يفعلون ما يريدون؛ فيؤدي ذلك إلى خراب المجتمع الإسلامي كله، فيجب الوقوف عند حدود الشرع وعدم تجاوزها.

صورة مؤثرة بما توحيه من معنى استفزازي للمتلقى؛ ليهب لنصرة الإسلام حيث كان؛ راسمًا بها عاقبة المتهاون في الدفاع عن دينه.

ويذكر القرطاجني عوامل التأثير في المتلقي<sup>(٢)</sup>: "فَتَحْرُكُ النَّفْسِ لِلأَقْوَالِ الْمُخِيلَةِ، إِنَّمَا يَكُونُ بِحَسَبِ الاستعداد، وبحسب ما تكون عليه المحاكاة في نفسها، وما تدعّم به المحاكاة وتعضّد مما يزيد به المعنى تمويهًا، والكلام حسن ديباجة من أمور ترجع إلى لفظ أو معنى أو نظم أو أسلوب، والاستعداد نوعان:

■ استعداد بأن تكون للنفس حال وهوى قد تهيأت بهما لأن يحركها قول ما بحسب شدة موافقته لتلك الحال والهوى، كما قال المتنبي:

إِنَّمَا تَنْجُ الْمَقَالَةَ فِي الْمَرءِ إِذَا وَافَقَتْ هَوَى فِي الْفَوَادِ

■ والاستعداد الثاني هو أن تكون النفس معتقدة في الشعر أنه حكم، وأنه غريم يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مقتضاه بما أسلبها من هزة الارتياح لحسن المحاكاة، هكذا كان اعتقاد العرب في الشعر، فكم خطب عظيم هوّنه عندهم بيت، وكم خطب هين عظمه بيت آخر.

**خامسًا: ومن الصّور الجزئية في البيان النبوي** ما انتشر في كلام الناس المتداول، رويت في أحاديث قيلت في المسجد والمنزل وقارعة الطريق... إلخ، مطبوعة غير متكلفة، وهذا القول نوع من الإعداد النفسي والتهيئة لما يتناسب والمقام في كثير من الأحوال، **ومن التشبيهات الجزئية:**

(١) البخاري: كتاب: الشركة/ باب: هل يقرغ في القسمة والاستهانة فيه؟ حديث: ٢٤٩٣، ص ١٢٩٣.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ١٢١.

أ- المؤمن هين لين، كالجمال الأنف؛ إن قيد انقاد، وإن استنخ على صخرة استناخ.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرًا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ؟" وَهُوَ نُصْبٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ يُسَمَّى الْكَعْبَةَ الِيمَانِيَّةَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ فَصَلِّ فِي صَدْرِي، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا" قَالَ: فَخَرَجْتُ فِي خَمْسِينَ مِنْ أَحْمَسَ<sup>(١)</sup> مِنْ قَوْمِي، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: فَأَنْطَلَقْتُ فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَوْمِي - فَأَتَيْتُهَا فَأَحْرَقْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَجْرَبِ، فَدَعَا لِأَحْمَسَ وَخَيْلِهَا<sup>(٢)</sup>.

يربط الرسول - عليه السلام - بين وجهين للغة هما: الوجداني والفكري، فالمؤمن ذو أنفة وكبرياء، وهو طيع هين، إذا انقاد مثل الجمل في مكثه وحركته، ويختار عليه السلام الجمل - دون غيره من الدواب - مشبهاً به؛ للمكانة التي للجمل عند المسلم العربي، وهو مقبول للمتلقى؛ لأن الجمل مثال التحمل والصبر، وهذا محببٌ لنفس المسلم؛ ولعل ذلك ليجتهد المسلم في العمل لأجل الآخرة وعدم التهاون أو الركون.

ويُلاحظ تماسكٌ في مجموعة العلاقات اللفظية أو الدلالية بين أجزاء النص؛ إذ تلتحم هذه الأجزاء، ويتماسك بعضها مع بعض، إذ لو غاب هذا الالتحام ظهر النص كأنه أشلاء ومزق، لا رابط بينها.

ب- المرأة كالضلع العوجاء، إن قومتها كسرتها، وإن داريتها استمتعت بها:

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَمُوسَى بْنُ حِزَامٍ قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ مَيْسَرَةَ الشَّجْعِيِّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ دَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتَهُ؛ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ"<sup>(٣)</sup>.

(١) الأحمس والحمس والمتحمس: الشديد.

(٢) البخاري: كتاب: الدعوات/ باب: قول الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ التوبة: ١٠٣، ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه، حديث: ٦٣٣٣، ص ١٢٦٧.

(٣) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: خلق آدم وذريته، حديث: ٣٣٣١، ص ٦٦١.

المرأة هي ضلع فيه اعوجاج؛ فهو رقيق وسهل الكسر إن قوّم، أو حاول الرّجل أن يستمتع به، فعليه السّلام يبيّن ضعف المرأة الجسديّ أمام قوّة الرّجل، فهي محطّ استمتاع الأخير إن أحسن معاملتها واعتنى بها واهتمّ بها، وهذا أدعى لتهيئة نفوس الرّجال لمداراة النّساء، وعدم إهانتهم أو الإساءة لهم؛ فهنّ من ضلع قاصر.

## الفصل الثالث:

### الاستعارة النبوية<sup>(١)</sup>

هي لونٌ من ألوان التصوير في الخطاب النبوي، وهي أداة يعبر فيها عن المعنى الذهني والحالة النفسية والحادث المحس، فيعمد الرسول - عليه السلام - إلى الصورة التي رسمها؛ فيعطيها ألوانها وظلالها، ثم يضيف إليها الحركة، فالحوار ويجسم المعنى؛ فيهب الجماد العقل والحياة في مثل قوله عليه السلام<sup>(٢)</sup>: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَعْجَةٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ خَيْرَ مَعَاشِ النَّاسِ، لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَى مَثْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً<sup>(٣)</sup> أَوْ فَرْعَةً طَارَ عَلَيْهِ. يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مِظَانَةً<sup>(٤)</sup>. أَوْ رَجُلٌ فِي غَنِيمَةٍ فِي رَأْسِ شَعْفَةٍ<sup>(٥)</sup> مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ".

"وفضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة"<sup>(٦)</sup>.

ولعل من أسباب جمال الاستعارة النبوية يرجع إلى ما تتضمنه من الإيجاز البليغ، واختيار الألفاظ المتناسقة والمؤلفة مع بعضها، ومع معانيها بادٍ، فهي موضوعة للدلالة على الحسي بربطها بالمعنوي؛ فتصبح الثانية مُحسنة وملموسة.

وفي أثر الاستعارة في النفس يقول الجرجاني<sup>(٧)</sup>: "هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم، وليس وليس الأمر على ذلك، ولا هذا الشرف العظيم، ولا هذه المزية الجليلة، وهذه الروعة التي تدخل

(١) "الاستعارة: نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض"، العسكري، الصناعاتين، ص ٩٥.

(٢) مسلم: كتاب: الإمارة/ باب: فضل الجهاد والرباط، حديث: ١٨٨٩.

(٣) الهَيْعَةُ: الصوت الذي يَفْرَع منه ويُخَاف.

(٤) المِظَان: جمع مِظَنَّة، وهي موضع الشيء ومعدنه.

(٥) شَعْفَةٌ: أعلى الجبل.

(٦) العسكري، الصناعاتين، ص ٢٩٦.

(٧) دلائل الإعجاز، ص ١٠٠.

على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة، ولكن لأنه سُلِّك بالكلام طريقاً ما يُسند الفعل فيه إلى الشيء".

ومن جميل الاستعارة قوله عليه السلام: "سوقك بالقوارير" لأنجشة العبد، وهو يحدو الإبل، ويضطرب في صوته، فتسرع الإبل، وتتمايل اليهوداج بالنساء: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ وَأَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ غُلَامٌ يَحْدُو بِهِمْ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رُؤَيْدُكَ يَا أَنْجَشَةُ، سَوْقُكَ بِالْقَوَارِيرِ"<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وتبدو ثقافة النبي - عليه السلام - جليلة هنا، حين يجد لطرف الاستعارة الأول بديلاً موضوعياً؛ فيختار لها الألفاظ الدقيقة المصورة والموحية التي تثير النفس إعجاباً، وهذا يجعل من الاستعارة - وهي نوع بلاغي عالي المستوى - مفهوماً للمتلقين على اختلاف مستوياتهم، وهي بلاغة نبوية تظهر فصاحة صاحبها، ويقول الشريف الرضي<sup>(٣)</sup>: "وهذه استعارة عجيبة؛ لأنه عليه السلام شبه النساء في ضعف النحائز"<sup>(٤)</sup> ووهن الغرائز بالقوارير الرقيقة التي يوهنها الخفيف، ويصدعها اللطيف".

---

(١) القوارير: النساء، وشبههن بالزجاج لضعفهن.

(٢) البخاري: كتاب: الأدب/ باب: المعارض مندوحة عن الكذب، حديث: ٦٢١٠، ص ١٢٤٢/ مسلم: كتاب:

الفضائل/ باب: رحمة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للنساء، وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن، حديث: ٢٣٢٣.

(٣) الشريف الرضي، أبو الحسن، محمد بن الحسين بن أحمد الوسوي (ت ٤٠٦ هـ)، المجازات أو مجازات

الآثار النبوية، د. ط، (تحقيق مروان العطية ومحمد رضوان الداية)، ١٩٨٧، ص ٢٣.

(٤) النحائز: جمع النحيزة: الطبيعة والغريزة.

## المجاز النبوي<sup>(١)</sup>

كان مجاز الرسول - عليه السلام - مجاز إيجاز، تأخذ عنه العرب، وتضع الألفاظ وتنقلها من معنى إلى آخر، فهي تتسع فيما هو موجود بخلاف ما أثر عن الرسول - عليه السلام - من ألفاظ فصيحة وأساليب مبتدعة كان العرب يعجبون بها؛ فهي مما لم تسمع قبله عليه السلام مثل قوله<sup>(٢)</sup>: "الآن حمى الوطيس"، للدلالة على شدة الحرب، والوطيس الثنور ومجتمع النيران استعير لشدة الحرب.

حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَرَجٍ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ عَبَّاسٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قَالَ عَبَّاسٌ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، أَهْذَاهَا لَهُ فَرَوْهُ بْنُ ثِقَاتَةَ الْجُدَامِيِّ. فَلَمَّا التَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ، وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُذْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قَبْلَ الْكَفَّارِ. قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا أَخِذْتُ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَكْفَهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ. وَأَبُو سُفْيَانَ أَخِذَ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّ عَبَّاسٍ! نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ". فَقَالَ عَبَّاسٌ - وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا<sup>(٣)</sup>: "فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللَّهِ! لَكَنَّ عَطَفْتَهُمْ، حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطَفَهُ الْبَقَرُ عَلَى أَوْلَادِهَا. فَقَالُوا: يَا لِنَبِيِّكَ! يَا لِنَبِيِّكَ! قَالَ: فَافْتَتَلُوا وَالْكَفَّارَ. وَالِدَعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ. يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ ابْنِ الْخَزَرَجِ. فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ ابْنِ الْخَزَرَجِ! يَا بَنِي الْحَارِثِ ابْنِ الْخَزَرَجِ! فَتَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قَتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَصِيَّاتٍ، فَرَمَى بِهِنَّ وَجُوهَ الْكَفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: "انْهَزْمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ!". قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ

(١) "وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع

إلى هذا الموضع، إذا تخطاه إليه" ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١٠٥/١.

(٢) ابن الأثير، المصدر نفسه، ١٠٩/١.

(٣) صيِّتًا: قوي الصوت.



فِيمَا أَرَى. قَالَ: قَوْلَ اللَّهِ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَايَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا<sup>(١)</sup> وَأَمْرَهُمْ مُذِيرًا<sup>(٢)</sup>.

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ يَسَاقٍ يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجُرُّ إِزَارَهُ. فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَانْتَسَبَ لَهُ. فَإِذَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، فَعَرَفَهُ ابْنُ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَذْنَى هَاتَيْنِ يَقُولُ: "مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ، لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا الْمَخِيلَةَ"<sup>(٣)</sup>، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(٤)</sup>.

والمجاز أعم من الاستعارة كما يقول الجرجاني<sup>(٥)</sup>: "والقول في المجاز هو القول في الاستعارة؛ لأنه ليس هو بشيء غيرها، وإنما الفرق أن المجاز أعم من حيث أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة"، ويذكر ابن جني سبب استخدام المجاز في النظم بقوله<sup>(٦)</sup>: "وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة: هي الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة، فمن ذلك قول النبی في الفرس (هو البحر)، فالمعاني الثلاثة موجودة فيه".

والمجاز له موقع حسن في النفس، وإيقاع جيد على السمع، يقول ابن رشيق<sup>(٧)</sup>: "والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ، ثم لم يكن مجالاً محضاً، فهو مجاز؛ لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز".

ومنه: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ وَصَالِحُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ وَرْدَانَ جَمِيعًا، عَنْ يَزِيدَ - قَالَ الْجَهْضَمِيُّ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ - حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَلْوِي

(١) فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا: ما زلت أرى قوتهم ضعيفاً.

(٢) مسلم: كتاب: الجهاد والسير/ باب: في غزوة حنين، حديث: ١٧٧٥.

(٣) المخيلة: البطر والكبر والزهو والتبخر.

(٤) مسلم: كتاب: اللباس والزينة/ باب: تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب، حديث: ٢٠٨٥.

(٥) دلائل الإعجاز، ص ٤٦٢.

(٦) الخصائص، باب في الفرق بين الحقيقة والمجاز، ٤٤٢/٢.

(٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، باب المجاز، ٢٣٦/١ - ٢٣٧.

نَاصِيَةِ فَرَسٍ بِإِصْبَعِهِ وَهُوَ يَقُولُ: "الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَجْرُ  
وَالْغَنِيمَةُ"<sup>(١)</sup>.

ويفسّر الشّريف الرّضي المجاز في هذا الحديث بقوله<sup>(٢)</sup>: "وهذا القول مجاز؛ لأنّ الخير في الحقيقة ليس يصحّ أنْ تعتد به نواصي الخيل، وإنّما المراد أنّ الخير كثيراً ما يُدرك بها، ويوصل إليه عليها؛ فهي كالوسائل إلى بلوغه، فكأنّه معقود بنواصيها لشدّة ملازمته لها، وكثرة انتهاز فرصه بها".

ومن المجاز النبويّ المؤثّر قوله عليه السّلام:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ"<sup>(٣)</sup>.

إذن موضوع المجاز النبويّ يتّصل بدلالة اللسان التعبيريّة في ازدواجه بين التّصريح والإيحاء، وبين طاقة موضوعية وأخرى سياقيّة تتعلّق بالموقف النفسيّ للمخاطب، فالذّال يتحرّك لينزاح عن مدلوله المتداول؛ ليلاّمس مدلولاً مستحدثاً في مفاهيم جديدة رهينة الإحساس النفسيّ اللغويّ الذي يصحب استعمال اللفظ في اللغة؛ فالمجاز النبويّ نقطة تقاطع قدرة الإبلاغ والتّواصل النبويّ مع الطّاقة الإبداعية البلاغيّة في اللغة.

(١) مسلم: كتاب: الإمارة/ باب: الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، حديث: ١٨٧٢.

(٢) المجازات أو مجازات الآثار النبويّة، ص ٤٦.

(٣) البخاري: كتاب: الأدب/ باب: لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، حديث: ٦١٣٣، ص ١٢٢٨/ مسلم: كتاب:

الزّهّد والرفائق/ باب: لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، حديث: ٢٩٩٨.

## المثل النبوي

قال تعالى<sup>(١)</sup>: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ضرب الأمثال من الأساليب التي استخدمها الرسول - عليه السلام - للتأثير والإقناع؛ فكان يستعين بها للوصول إلى أهدافه المعنوية بالأمثلة التاريخية والقصص الغابرة؛ لتكون موعياً على الإيمان أولاً، ثم العمل الصالح ثانياً، مستخدماً أسلوب الترغيب والترهيب، ومراعياً النفس البشرية في مختلف أحوالها في تشبيه الغائب بالحاضر، وقياس التظير على التظير ببيانه الفصيح ولسنه الجذاب.

ويضرب الرسول - عليه السلام - الأمثال؛ ليعمل على تقريب المعقول من المحس، أو أحد المحسّن من الآخر، فمنها ما يأتي على طريقة التشبيه. والمثل السائر في كلام العرب كثير نظماً ونثراً.

ومن كلام النبي - عليه السلام - في الأمثال قوله: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ هِلَالِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ<sup>(٢)</sup> مِنَ الزَّرْعِ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا"<sup>(٣)</sup>، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَأَ بِالْبَلَاءِ، وَالْفَاجِرُ كَالْأَرْزَةِ<sup>(٤)</sup>، صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ"<sup>(٥)</sup>.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَرَضِهِ - وَهُوَ يُوعَكُ

(١) الحشر: ٢١.

(٢) الْخَامَةُ مِنَ الزَّرْعِ: الطَّرِيّ اللَّيِّنُ أَوْ الْغَضُّ الرَّطْبُ مِنَ النَّبَاتِ.

(٣) كَفَأَتْهَا: قَلَبَتْهَا.

(٤) الْأَرْزَةُ: شَجَرَةُ الْأَرْزِ، وَهُوَ خَشَبٌ مَعْرُوفٌ، وَقِيلَ هُوَ الصَّنَوْبَرُ.

(٥) الْبَخَارِيُّ: كِتَابُ: الْمَرَضِيِّ/بَاب: مَا جَاءَ فِي كِفَارَةِ الْمَرَضِ، حَدِيث: ٥٦٤٤، ص ١١٤٦/مُسْلِم: كِتَاب:

صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ/بَاب: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالزَّرْعِ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَشَجَرِ الْأَرْزِ، حَدِيث: ٢٨١٠.

وَعَظًا شَدِيدًا. وَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَظًا شَدِيدًا، قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ بَأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: "أَجَلٌ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ"<sup>(١)</sup>.

## أنواع الأمثال في الخطاب النبوي:

١- الأمثال النبوية ما صرَّح بها بلفظ المثل أو ما يدلّ على التشبيه: ومثاله من القرآن قوله

تعالى<sup>(٢)</sup>: ﴿كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

ومن الخطاب النبوي: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ: حَدَّثَنَا ابْنُ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْصَدِّقِ، مَثَلُ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، قَدْ اضْطَرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا"<sup>(٣)</sup>، فُكِّلَا هَمَّ الْمُنْصَدِّقِ بِصَدَقَتِهِ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تُعْفَى أَثَرُهُ، وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ انْقَبَضَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ إِلَى صَاحِبَتِهَا وَتَقَلَّصَتْ عَلَيْهِ، وَانْضَمَّتْ يَدَاهُ إِلَى تَرَاقِيهِ"، فَسَمِعَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "فَيَجْتَهِدُ أَنْ يُوسِّعَهَا فَلَا تَتَّسِعُ"<sup>(٤)</sup>.

٢- الأمثال النبوية التي لم يُصرَّح بها بلفظ المثل؛ ولكنه يدلّ عليه في إيجاز مؤثر:

كقوله تعالى<sup>(٥)</sup>: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ: هُوَ ابْنُ سَلَامٍ- حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ حَيَّانَ قَالَ: قَالَ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ

(١) البخاري: كتاب: المرضى/ باب: شدة المرض، حديث: ٥٦٤٧، ص ١١٤٧/ مسلم: كتاب: البر والصلة والأدب/ باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يُشاكها، حديث: ٢٥٧١.

(٢) الجمعة: ٥.

(٣) الترقوة: العظم الذي بين أعلى الصدر والعاتق.

(٤) البخاري: كتاب: الجهاد والسير/ باب: ما قيل في درع النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والقميص في الحرب، حديث: ٢٩١٧، ص ٥٨٢/ مسلم: كتاب: الزكاة/ باب: مثل المنفق والبخيل، حديث: ١٠٢١.

(٥) الحجرات: ١٢.

الله وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ، فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانُ" <sup>(١)</sup>.

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ سُمَيٍّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهَ لَهُ، فَغُفِرَ لَهُ" <sup>(٢)</sup>.

٣- أمثال نبوية مرسلة: وهي أمثال جارية مجرى المثل:

وهي كثيرة في القرآن، كقوله تعالى <sup>(٣)</sup>: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، وقوله تعالى <sup>(٤)</sup>: ﴿أَلَيْسَ الْأُصْبَحُ

بِقَرِيبٍ﴾.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا". وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ <sup>(٥)</sup>.

قَالَ: قَالَ اللَّيْثُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ" <sup>(٦)</sup>.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ عَنْ زُهَيْرٍ: حَدَّثَنَا مَنصُورٌ عَنْ رَبِيعٍ بْنِ حِرَاشٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ عُقْبَةُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ" <sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: العلم/ باب: تعليم الرجل أمته وأهله، حديث: ٩٧، ص ٣١/ مسلم: كتاب: الإيمان/ باب:

وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، حديث: ١٥٤.

(٢) البخاري: كتاب: المظالم/ باب: مَنْ أَخَذَ الْغُصْنَ وَمَا يُؤْذِي النَّاسَ فِي الطَّرِيقِ فَرَمَى بِهِ، حديث: ٢٤٧٢، ص

٤٨٥/ مسلم: كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: فضل إزالة الأذى عن الطريق، حديث: ١٩١٤.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) هود: ٨١.

(٥) البخاري: كتاب: المظالم/ باب: نصر المظلوم، حديث: ٢٤٤٦، ص ٤٧٩/ مسلم: كتاب: البر والصلة

والآداب/ باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث: ٢٥٨٥.

(٦) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: الأرواح جنود مجنّدة، حديث: ٣٣٣٦، ص ٦٦٢.

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ قَالَ يَزِيدُ: حَدَّثَنِي مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِمْرَانَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِيمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: "كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ"<sup>(٢)</sup>.

## فوائد الأمثال النبوية:

- ١- تُبرز الأمثال النبوية المعقول في صورة حسيّة، يتقبلها العقل، وتكون قريبة من الفهم: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانَ: حَدَّثَنَا سَلِيمٌ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ"<sup>(٣)</sup> فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ"<sup>(٤)</sup>.
- ٢- تكشف الحقائق.

٣- تُضرب الأمثال النبوية للترغيب والتأثير في المتلقّي بالمثل به، أو للتنفير؛ إذ يكون الممثل به مكروهاً للنفس:

حَدَّثَنَا آدَمُ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهَبٍ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حَدَّثَنَا: رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: "إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً"<sup>(٥)</sup> مِثْلُهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً"<sup>(٦)</sup> مِثْلُهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيُؤَذِّنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنْ أَحَدَكُمُ لِيَعْمَلْ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ،

(١) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: باب المغفرة عند الله واسع، حديث: ٣٤٨٣، ص ٦٩٦.

(٢) البخاري: كتاب: التوحيد/ باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَرَّاهُ الْفُرْقَانُ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ القمر: ٢٢، حديث:

٧٥٥١، ص ١٤٩٧/ مسلم: كتاب: القدر/ باب: كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاويه وسعادته، حديث: ٢٦٤٩.

(٣) لبنّة: حجر من طين يستخدم في البناء.

(٤) البخاري: كتاب: المناقب/ باب: خاتم النبيين- صلى الله عليه وسلم، حديث: ٣٥٣٤، ص ٧٠٤/ مسلم: كتاب:

الفضائل/ باب: ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، حديث: ٢٢٨٦.

(٥) علقّة: مضغة يسيرة من دم متجمّد.

(٦) مضغة: لحم بقدر ما يُمضغ.

فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ. وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا"<sup>(١)</sup>.

ومن الترهيب: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَائِطٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ - أَوْ مَكَّةَ - فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "يُعَذِّبَانِ، وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ"، ثُمَّ قَالَ: "بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ"، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: "لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيِّسَا"، أَوْ "إِلَى أَنْ يَيِّسَا"<sup>(٣)</sup>.

وبين الترغيب والترهيب: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ فَاعْفِرْهُ، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ أَذْنَبْتُ - آخَرَ فَاعْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي - ثَلَاثًا - فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ"<sup>(٤)</sup>.

٤ - المثل النبوي وسيلة إيضاح وتشويق المتلقي؛ فيكون أوقع في النفس:

(١) البخاري: كتاب: التوحيد/ باب: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ نَارُ لِيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ الصَّافَات: ١٧١، حديث:

٧٤٥٤، ص ١٤٧٨/ مسلم: كتاب: القدر/ باب: كَيْفِيَّةُ الْخُلُقِ الْأَدْمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةُ رِزْقِهِ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقَاوِيهِ وَسَعَادَتُهُ، حديث: ٢٦٤٣.

(٢) حَائِطٌ: بستان.

(٣) البخاري: كتاب: الوضوء/ باب: مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ لَا يَسْتَتِرَ مِنْ بَوْلِهِ، حديث: ٢١٦، ص ٥٣/ مسلم: كتاب:

الطهارة/ باب: الدليل على نجاسة البول وجوب الاستبراء منه، حديث: ٢٩٢.

(٤) البخاري: كتاب: التوحيد/ باب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ الفتح: ١٥، حديث: ٧٥٠٧،

ص ٤٨٦/ مسلم: كتاب: التوبة/ باب: قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة، حديث: ٢٧٥٨.

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ فَمَنَعَهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ أُعْطِيتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ"، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ<sup>(١)</sup>: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

#### ٥- المثل النبوي فيه العظة والعبرة:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاءً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدِرٌ"<sup>(٣)</sup>، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَقَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ: تَوْبِي يَا حَجَرُ، حَتَّى نَظَرْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا". فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالْحَجَرِ سِنَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبًا بِالْحَجَرِ<sup>(٤)</sup>.

٦- تتجّه بعض الأمثال النبوية في موضوعها إلى السلوك الإنساني إزاء رسالة الله ودعوته،

كقوله تعالى<sup>(٥)</sup>: ﴿فَتَلَهُ كَمَثَلِ الْكَالِبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ

(١) آل عمران: ٧٧.

(٢) البخاري: كتاب: المساقاة/ باب: إثم مَنْ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ مِنَ الْمَاءِ، حديث: ٢٣٥٨، ص ٤٦٠/ مسلم: كتاب: الإيمان/ باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنّ بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف. وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم، حديث: ١٠٨.

(٣) الأذرة: انتفاخ في الخصية.

(٤) البخاري: كتاب: الغسل/ باب: مَنْ اغْتَسَلَ عُرْيَانًا وَحْدَهُ فِي الْخُلُوةِ، وَمَنْ تَسْتَرَّ فَالْتَسَتْهُ أَفْضَلُ، حديث: ٢٧٨، ص ٦٤/ مسلم: كتاب: الحيض/ باب: جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة، حديث: ٣٣٩.

(٥) الأعراف: ١٧٦.



اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا، وَمَا عَمَلْنَا بَاطِلًا، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا، أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ، فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمَلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا، وَلَكُمْمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ، فَعَمِلُوا، حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالَا: لَكَ مَا عَمَلْنَا بَاطِلًا، وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ. فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمَلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا، مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَأَبَيَا، وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كُلِّهِمَا، فَذَلِكَ مِثْلُهُمْ وَمِثْلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ<sup>(١)</sup>.

٧- تتجّه بعض الأمثال النبوية في موضوعها إلى ملكوت الله ومخلوقاته، كقوله تعالى<sup>(٢)</sup>:

﴿فَاصْبِرْ هَسِيمًا نَذْرُهُ الرَّيْحُ﴾.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ إِبرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبَّهِمَا، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ - يَعْنِي - أَوْثَرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ثَلَاثًا؟ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فْتَمْتَلِي، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ قَطُّ"<sup>(٣)</sup>.

فالخطاب النبوي هنا لا يتعرّض بصفة واضحة لسلوك الناس وتصرفاتهم إزاء الله ورسالته.

(١) البخاري: كتاب: الإجارة/ باب: الإجارة من العصر إلى الليل، حديث: ٢٢٧١، ص ٤٣٩.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) البخاري: كتاب: التوحيد/ باب: مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

الأعراف: ٥٦، حديث: ٧٤٤٩، ص ٤٧٧ / مسلم: كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: النار يدخلها

الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، حديث: ٢٨٤٦.

## القصة النبوية

القصة في الخطاب النبويّ منبعها ليس الأسطورة أو التجربة الذاتية للرّسول - عليه السّلام، إنّما التاريخ والوقائع الإنسانيّة وحياة المسلم التي تُقصّ لأخذ العبرة والعظة، وليس الغرض منها إبراز الجانب الفنيّ بقدر التركيز على الجانب الدّعويّ.

والقصة النبويّة ليست بالضرورة مستوفية عناصرها جميعاً في الخطاب الواحد من شخوص وحوار وزمان ومكان وعقدة وحلّ، ضمن المقاييس الفنيّة التي يراها نقاد العصر الحديث، فهي ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وسير أحداثه، وهي لا تختلف عن المثل النبويّ في غايته في أخذ الدّروس والدّعوة إلى الدّين الحق.

وليس الهدف منها سرد تاريخ الماضيين وذكر شؤونهم وأحوالهم لمجرد السرد أو التمثيل، إنّما هي وسيلة بيانيّة للإرشاد والوعظ؛ وليست عملاً فنياً مقصوداً لذاته.

وكان الرّسول - عليه السّلام - يستدعي القصة، ويمثّل على الموقف الاجتماعيّ والنّفسيّ المناسب للحدث، فيسرد الوقائع، وإن لم يراع ترتيب الأحداث أحياناً.

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أَجِيبُهَا أَوْ أَصَلِّي؟ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِثَّهُ حَتَّى تُثَرِّيَهُ وَجُوهَ الْمُؤْمِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ الرَّاعِي، قَالُوا: نَبِيُّ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا مِنْ طِينٍ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ تَذِيهَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى تَذِيههَا يَمَصُّهُ - قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمَصُّ إصْبَعَهُ، ثُمَّ مَرَّ بِأَمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ تَذِيهَهَا، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ

اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّكَّابُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتَ، زَنْيْتَ، وَلَمْ تَفْعَلْ<sup>(١)</sup>.

كما أنه عليه السلام يميل إلى أسلوب الإيجاز في القصة النبوية والبعد عن الإطناب. قَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا - فُذَكَرَ الْحَدِيثُ - فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ"<sup>(٢)</sup>.

وقد يذكر الرسول - عليه السلام - القصة في مواطنها بأساليب متغايرة، أو في صور متقاربة، ولكل منها مغزى لا يؤدّيه غيره.

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "انْطَلِقْ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوْوَا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرْتَ صَخْرَةً مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَتْ عَلَيْهِمُ الْغَارُ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانِ لِي أَبُوَانُ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ<sup>(٣)</sup> قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَتَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أَرْحُ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَتَنْتَظِرُ اسْتِيقَازَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرَبَا غُبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْنًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ"، قَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَاِمْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أَجِلُ لَكَ أَنْ تُفْضَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ

(١) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ مريم: ١٦،

حديث: ٣٤٣٦، ص ٦٨٧-٦٨٨/ مسلم: كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: تقديم برّ الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها، حديث: ٢٥٥٠.

(٢) البخاري: كتاب: الزكاة/ باب: مَا يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَحْرِ، حديث: ١٤٩٨، ص ٢٩٦.

(٣) غُبُوقٌ: شرب اللبن آخر النهار.

عَنْهَا، وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا"، قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَقَالَ الثَّلَاثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأْفَقَهُ فَلَمْ يَتْرِكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ"<sup>(١)</sup>.

---

(١) البخاري: كتاب: الإجارة/ باب: مَنْ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ الْمُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالٍ غَيْرِهِ فَاسْتَفْضَلَ، حديث: ٢٢٧٢، ص ٤٣٩/ مسلم: كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالِح الأعمال، حديث: ٢٧٤٣.

## موضوعات القصة النبوية:

١- تتحدث عن أحوال الكفار وأسباب الشرك والظلم والحسد والعقوق والكذب والمعاصي... إلخ:  
 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودٍ". فَجَمَعُوا لَهُ، فَقَالَ: "إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ؟" فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَبُوكُمْ؟" قَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ: "كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ". قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ: "فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟" فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ لَهُمُ: "مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟" قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخَلَّفْنَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اخْسَوْا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا تَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا"، ثُمَّ قَالَ: "هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟" فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: "هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟" قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟" قَالُوا: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ<sup>(١)</sup>.

## ٢- تغذية النفوس بالصلاح والأخلاق والآداب والفضائل:

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "خَرَجَ ثَلَاثَةٌ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرِجُ فَارْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصَّبِيَّةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ قَالَ: فَكْرَهْتُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا وَالصَّبِيَّةَ يَتَضَاغُونَ<sup>(٢)</sup> عِنْدَ رَجُلِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لَا

(١) البخاري: كتاب: الجزية والموادعة/ باب: إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يُعفى عنهم؟ حديث: ٣١٦٩، ص

(٢) يتضاغون: يكون بصوت مسموع.

تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِئَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فُفَّمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثَّلَاثِينَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجِيرًا بَفَرَقٍ مِنْ دُرَّةٍ فَأَعْطِيئُهُ، وَأَبَى ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ؛ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ<sup>(١)</sup> فَرَزَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرَاعِيَهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا اسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ؛ فَافْرُجْ عَنَّا فُكْشِفَ عَنْهُمْ<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

### ٣- القصة بين الترغيب والترهيب:

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ح). وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ، أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَأَ لِلَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ نَحَسَنَ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فذَهَبَ عَنْهُ، فَأَعْطِيَ لَوْثًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ، هُوَ شَكٌّ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ - فَأَعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ هَذَا عَنِّي، قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فذَهَبَ، وَأَعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقْرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا. وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْعَنْمُ، فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْعَنْمِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ

(١) الْفَرَقُ: مَكِيلٌ بِالْمَدِينَةِ سَعِ سِتَّةَ عَشَرَ رَطْلًا.

(٢) تَكَرَّرَ الشَّاهِدُ سَابِقًا فِي الدِّرَاسَةِ، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْبَيُوعِ/ بَابُ: إِذَا اشْتَرَى شَيْئًا لِغَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَرَضِي، حَدِيثُ: ٢٢١٥، ص ٤٢٧/ مُسْلِمُ:

كِتَابُ الذَّكْرِ وَالذَّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ/ بَابُ: قِصَّةُ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ، وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، حَدِيثُ:

وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِهِ، فَلَا بَلَاعَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بَكَ؟ أَسْأَلُكَ - بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ - بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحَقُّوْقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَأَبْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِهِ، فَلَا بَلَاعَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، وَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصْرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فُحْذَ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ<sup>(١)</sup>.

٤- ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ ليتجنب المتلقي أفعال هذه الأقوام الشنعاء في مواجهة الأنبياء، كمثل بني إسرائيل، والخوف من عاقبة مكذبي الرسل:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ مَلَكٌ بَضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا بَيْنَ بَهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِيقَاتٍ<sup>(٢)</sup> وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا، فَعَزَا، فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ فَجَاءَتْ- يَغْنِي النَّارَ- لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنْ فِيكُمْ غُلُولًا<sup>(٣)</sup>، فَلْيَبَايَعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزَقْتُ يَدَ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَلْيَبَايَعْنِي قَبِيلَتَكَ، فَلَزَقْتُ يَدَ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الدَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ، رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَأَحْلَاهَا لَنَا"<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: حديثُ أبرصَ وأعمى وأقرعَ في بني إسرائيل، حديث: ٣٤٦٤،

ص ٦٩١، ٦٩٢/ مسلم: كتاب: الزهد والرقائق، حديث: ٢٩٦٤.

(٢) خلفات: الخلفة: الناقة الحامل إلى نصف أجل الحمل.

(٣) الغلول: ما يؤخذ من الغنيمة خفية قبل قسمتها.

(٤) البخاري: كتاب: فرض الخمس/ باب: قول النبي- عليه السلام: "أحلَّت لكم الغنائم"، حديث: ٣١٢٤، ص ٦٢٢/

مسلم: كتاب: الجهاد والسير/ باب: تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، حديث: ١٧٤٧.

٥- إثبات أن الله مع أوليائه ورسله، وإعانتة لهم وتأييده لهم بالمعجزات:

وَقَالَ عَبْدَانُ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "فَرَجَ سَقْفِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَعَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ"<sup>(١)</sup>.

٦- الإخبار عن الأقوام السابقين تأكيداً لنبوة الرسول - عليه السلام:

وَقَالَ: "كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذَّنْبُ فَذَهَبَ بَابِنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: انْتُونِي بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصَّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصَّغْرَى". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسَّكِينِ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدْيَةَ<sup>(٢)</sup>.

٧- أحداث بعض القصص النبوية مرتبطة بحدث خاص أو مناسبة محددة في عهد الرسول - عليه السلام - أو قبله قد تكون لإثبات حكم شرعي ما أو نفيه:

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَّانَةَ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ أَبِي الْمُثَوَّكَلِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي سَفَرَةٍ سَافَرُواهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ، فَلَدَغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنْ سَيِّدَنَا لَدَغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّقُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعَلًا<sup>(٣)</sup>، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قُطَيْعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَنْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري: كتاب: الحج/ باب: مَا جَاءَ فِي زَمْزَمَ، حديث: ١٦٣٦، ص ٣٢٠.

(٢) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: قول الله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ص: ٣٠،

حديث: ٣٤٢٧، ص ٦٨٥/ مسلم: كتاب: الأفضية/ باب: بيان اختلاف المجتهدين، حديث: ١٧٢٠.

(٣) الجُعَلُ: العطاء والمكافأة.

(٤) الفاتحة: ٢.



﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَكَأَنَّمَا نُشِيطُ<sup>(١)</sup> مِنْ عَقَالٍ، فَاَنْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلْبُهُ. قَالَ: فَأَوْقَوْهُمْ جُعِلْهُمْ الَّذِي صَالِحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اَقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقِيَ: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَذَكَرْ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَتَنْظَرُ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: "وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ؟"، ثُمَّ قَالَ: "قَدْ أَصَبْتُمْ، اَقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا". فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٢)</sup>.

وَحَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذْ أَتَى بَجَنَازَةً، فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا، فَقَالَ: "هَلْ عَلَيْهِ دِينَ؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟" قَالُوا: لَا، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَى بَجَنَازَةً أُخْرَى، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، صَلِّ عَلَيْهَا، قَالَ: "هَلْ عَلَيْهِ دِينَ؟" قِيلَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟" قَالُوا: ثَلَاثَةُ دَنَانِيرٍ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى بِالثَّالِثَةِ، فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا، قَالَ: "هَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "فَهَلْ عَلَيْهِ دِينَ؟" قَالُوا: ثَلَاثَةُ دَنَانِيرٍ، قَالَ: "صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ"، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَعَلَى دَيْنِهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

#### ٨- تأكيد بعض القصص لما جاء في القرآن الكريم من أنباء أو أحداث أو قصص:

حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ خَالِدُ بْنُ خَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: أَخْبَرَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ بْنُ حِصْنِ الْفَرَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، فَمَرَّ بِهِمَا أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقْيَيْهِ: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ فَقَالَ أَبِيُّ: نَعَمْ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَذْكُرُ شَأْنَهُ يَقُولُ: "بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَتَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ- عَزَّ وَجَلَّ- إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقْيَيْهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ مُوسَى- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَبَئِيَ

(١) نُشِيطُ: انطلق وتحرر.

(٢) البخاري: كتاب: الإجارة/ باب: مَا يُعْطَى فِي الرُّقِيَّةِ عَلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، حديث: ٢٢٧٦،

ص ٤١٤/ مسلم: كتاب: السَّلام/ باب: جَوَازُ اخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى الرُّقِيَّةِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ، حديث: ٢٢٠١.

(٣) البخاري: كتاب: الحوالة/ باب: إِنْ أَحَالَ دِينَ الْمَيِّتِ عَلَى رَجُلٍ جَازَ، حديث: ٢٢٨٩، ص ٤٤٢.

نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَتْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ. قَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ<sup>(١)</sup>.

٩- عدم التصريح بأسماء بعض الأقوام في القصة النبوية من باب عدم التشهير بهم<sup>(٢)</sup>:  
حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَغِ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَتُحِبُّوَا الْغُلَامَ الْجَارِيَّةَ، وَأَنْفَقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) البخاري: كتاب: العلم/ باب: الخروج في طلب العلم، حديث: ٧٨، ص ٢٧/ مسلم: كتاب: الفضائل/ باب: من فضائل الخضر- عليه السلام-، حديث: ٢٣٨٠.

(٢) ذكرت هذه النقطة الباب الأول، الفصل الثاني، طرق الخطاب النبوي، ص ٨٩.

(٣) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: باب المغفرة عند الله واسع، حديث: ٣٤٧٢، ص ٦٩٤/ مسلم: كتاب: الأفضلية/ باب: استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، حديث: ١٧٢١.

## أهم الخصائص في القصة النبوية:

١- تكرار القصة الواحدة في مواضع شتى كاملة أو بعض حلقاتها حسب السياق اللغوي الاجتماعي والنفسي وما يستدعيه الموقف:

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ - عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ - بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ - أَوْ الْفِيلَ - شَكَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمُؤْمِنُونَ، أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلَا وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، أَلَا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ، حَرَامٌ لَا يُخْتَلَى<sup>(١)</sup> شَوْكُهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا<sup>(٢)</sup>، وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا<sup>(٣)</sup> إِلَّا لِمُنْشِدٍ، فَمَنْ قَتَلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ<sup>(٤)</sup>: إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ<sup>(٥)</sup>، وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ<sup>(٦)</sup> أَهْلُ الْقَتِيلِ"، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: اكْتُئِبَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: "اكْتُئِبُوا لِأَبِي فَلَانٍ" فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: إِلَّا الْإِنْذِرَ<sup>(٧)</sup> يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "إِلَّا الْإِنْذِرَ إِلَّا الْإِنْذِرَ"<sup>(٨)</sup>.

٢- معظم القصص النبوية إشارات مقتضبة أو حلقات محددة، ترسم صورة واضحة عن الدلالة المعنوية والدينية التي يريد الرسول - عليه السلام - أن يصل إليها؛ ولكنها ليست مخلة أو مجتزأة غير مفهومة:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ابْنِ طَلُؤُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: "أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ،

(١) يُخْتَلَى: يُقَطَّع.

(٢) يُعْضَدُ: يُقَطَّع.

(٣) السَّاقِطَةُ: ما يوجد ساقطاً من مال أو متاع وغيره.

(٤) النَّظَرَيْنِ: الأمرين: القصاص أو العفو.

(٥) يُعْقَلُ: يدفع دية، وهي تعويض مالي، يقدر شرعاً مقابل قتل أو جرح.

(٦) يُقَادُ: القود: القصاص، وهو مجازاة الجاني على صنيعه.

(٧) الْإِنْذِرُ: نبات طيب الرائحة.

(٨) البخاري: كتاب: العلم/ باب: كتابة العلم، حديث: ١١٢، ص ٣٣- ٣٤/ مسلم: كتاب: الحج/ باب: تحريم مكة

وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، حديث: ١٣٥٣.

فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مِثْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبٍّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ". قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكُثْبِ الْأَحْمَرِ"<sup>(١)</sup>.

٣- تكرار الغرض الديني في قصص مختلفة؛ لتأكيد المضمون وإيصال الرسالة اللسانية بشكل أكثر تأثيراً وأدعى للتطبيق من قِبَل المتلقي:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَنْتَ قَرِيءٌ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبُ بِشِيرٍ، فُغْفِرَ لَهُ"<sup>(٢)</sup>.

قَالَ حُذَيْفَةُ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "إِنْ رَجُلًا كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ الْمَلِكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أَبَايَعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأَجَازِيَهُمْ، فَأَنْظِرُ الْمَوْسِرَ وَأَتَجَاوِزُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ"<sup>(٣)</sup>.

٤- تنوع الأسلوب القصصي لإحداث عنصر التشويق والتأكيد، والتأثير في المتلقي، وخاصة استخدامه الأساليب اللغوية مثل الحوار والمعاني البيانية، وضرب الأمثال<sup>(٤)</sup>:

قَالَ عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ أَبُو عَمْرٍو: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْتَنُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: إِنِّي

(١) البخاري: كتاب الجنائز/ باب: من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، حديث: ١٣٣٩، ص ٢٦٣/ مسلم: كتاب الفضائل/ باب: من فضائل موسى- عليه السلام، حديث: ٢٣٧٢.

(٢) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: باب المغفرة عند الله واسع، حديث: ٣٤٧٠، ص ٦٩٤/ مسلم: كتاب: كتاب: التوبة/ باب: قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله، حديث: ٢٧٦٦.

(٣) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث: ٣٤٥١، ص ٦٩٠/ مسلم: كتاب: المساقاة/ باب: فضل إنظار المعسر، حديث: ١٥٦٠.

(٤) سبق بيان الصورة البيانية النبوية والأمثال النبوية الباب الثالث، الفصل الثاني من الدراسة، ص ١٨١.

مُحْتَاَجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟". قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ". فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُ سَيَعُودُ" فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْتَوِي مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاَجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ: فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ"، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْتَوِي مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَتَيْتُكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: إِذَا أُوتِيتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ<sup>(١)</sup>: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَفْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "مَا هِيَ؟" قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أُوتِيتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَفْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ"<sup>(٢)</sup>.

٥- عرض القصة قد يكون عرضاً كاملاً، وفي مواقع آخر يكتفي الرسول - عليه السلام - بذكر بعض حلقاتها، حسب اكتمال الهدف القصصي وإحداث العبرة والدّرس وعنصر التأثير في المتلقّي:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِسَارَةٍ، فَدَخَلَ بِهَا

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) البخاري: كتاب: الوكالة/باب: إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازته المؤكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى

أجل مسمى جاز، حديث: ٢٣١١، ص ٤٤٩ - ٤٥٠.

قرية فيها ملك من الملوك، أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء، فأرسل إليه: أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي، ثم رجع إليها فقال: لا تكذبي حديثي، فإني أخبرتهم أنك أختي، والله إن على الأرض مؤمن غيبي وغيرك، فأرسل بها إليه فقام إليها، فقامت توضاً وتصلّي، فقالت: اللهم إن كنت أمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليّ الكافر، فغط<sup>(١)</sup> حتى ركض برجله". قال الأعرج: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: إن أبا هريرة قال: "قالت: اللهم إن يمت يقال: هي قتلتها، فأرسل، ثم قام إليها فقامت توضاً وتصلّي وتقول: اللهم إن كنت أمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليّ هذا الكافر، فغط حتى ركض برجله". قال عبد الرحمن: قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: "فقلت: اللهم إن يمت فيقال: هي قتلتها، فأرسل في الثانية، أو في الثالثة، فقال: والله ما أرسلتم إليّ إلا شيطاناً، أرجعوها إلى إبراهيم، وأعطوها أجر، فرجعت إلى إبراهيم - عليه السلام - فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة؟"<sup>(٢)</sup>.

٦- عناصر القصة النبوية قائمة في معظم القصص على عناصر: الشخصية والحوار والصراع والتشويق.

#### ■ الشخصية:

- أولية: رجل، قوم، امرأة ...

حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك بن أنس، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل نجد، تائر الرأس، يسمع دوي صوته، ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "خمس صلوات في اليوم واليلة"، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "وصيام رمضان"، قال: هل عليّ غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال: وذكر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الزكاة قال: هل عليّ غيرها؟ قال:

(١) غط: انسدت مجاري نفسه.

(٢) البخاري: كتاب: البيوع/ باب: شراء المملوك من الحرابي وهبته وعقته، حديث: ٢٢١٧، ص ٤٢٨ / مسلم:

كتاب: الفضائل/ باب: من فضائل إبراهيم الخليل - عليه السلام، حديث: ٢٣٧١.

"لا، إلا أن تطوع" قَالَ: فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ"<sup>(١)</sup>.

- مثالية: نبي، رجل من الصالحين.

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الْحَسَنِ وَمُحَمَّدٍ وَخَلَّاسٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سِتِيرًا، لَا يَرَى مِنْ جُلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءَ مِنْهُ، فَأَذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا الشَّيْءُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بَجْدِهِ، إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أَدْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَّغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرٌ، ثَوْبِي حَجَرٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ غُرِيًّا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَاهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلَاثًا، أَوْ أَرْبَعًا، أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ"<sup>(٢)</sup>: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى

فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيبًا﴾ "<sup>(٣)</sup> (٤).

- صورة المسلم:

حَدَّثَنَا يَشْرُ بْنُ الْحَكَمِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ: اسْتَكْبَى ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ قَالَ: فَمَاتَ، وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتْ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، هَيَّاتُ شَيْئًا، وَنَحْتَهُ فِي جَانِبِ النَّبْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الْعُلَامُ؟ قَالَتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَّاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، قَالَ: فَبَاتَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) البخاري: كتاب: الإيمان/ باب: الزكاة من الإسلام، حديث: ٤٦، ص ١٩/ مسلم: كتاب: الإيمان/ باب: بيان

الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، حديث: ١١.

(٢) الأحزاب: ٦٩.

(٣) تكرر الشاهد سابقًا في الدراسة، ص ١٩٩.

(٤) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: إبرار الله- عز وجل- موسى- عليه السلام- مما كان فيه، حديث:

٣٤٠٤، ص ٦٧٩- ٦٨٠/ مسلم: كتاب: الفضائل/ باب: من فضائل موسى- عليه السلام، حديث: ٣٣٩.

"لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمْ فِي لَيْلَتِكُمْ". قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ<sup>(١)</sup>.

#### - صورة غير المسلم:

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: انْتِنِي بِالشَّهْدَاءِ أَشْهَدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأَتِنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَّمَسَ مَرْكَبًا يَرْكُبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَلُهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَتَقَرَّهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ رَجَعَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَضَرَبَ بَكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَضَرَبَ بَكَ، وَإِنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثَ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لَأَتِيكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أَخْبَرْتُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرَفَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا"<sup>(٢)</sup>.

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ لَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ مِنَ الْأَنْصَارِ لَطَمَ وَجْهِي، قَالَ: "ادْعُوهُ". فَدَعَا، قَالَ: "لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَرَرْتُ بِالْيَهُودِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَقُلْتُ: وَعَلَى مُحَمَّدٍ؟ وَأَخَذَنِي غَضَبُهُ فَلَطَمْتُهُ، قَالَ: "لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ

(١) البخاري: كتاب الجنائز/ باب: مَنْ لَمْ يُظْهَرْ حُرَّتُهُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، حديث: ١٣٠١، ص ٢٥٦/ مسلم: كتاب:

الفضائل/ باب: من فضائل أبي طلحة الأنصاري- رضي الله عنه، حديث: ٢١٤٤.

(٢) البخاري: كتاب الكفالة/ باب: الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها، حديث: ٢٢٩١، ص ٤٤٤.



بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزِيَّ بِصَعْقَةِ الطُّورِ" (١) (٢).

■ الحوار:

هو محرّك الأحداث، ومعبر عن الشخصيات ومؤدٍ إلى الهدف، وقد يكون بشكل:

- حوار داخلي (حديث النفس):

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ سُمَيٍّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِنَاءً فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: "فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ" (٣).

- حوار خارجي:

فَقَالَ وَسَمِعْتُهُ (٤) يَقُولُ: "إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَلَمَّا يَنَسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي وَخَلَصْتُ إِلَى عَظْمِي فَامْتَحَشْتُ" (٥)، فَخَذُّوْهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا فَادْرُوْهُ فِي النَّيْمِ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ". قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو: وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَكَانَ نَبَاشًا (٦).

- حوار فوري:

وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي جَعْفَرٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزٍ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَادَتْ امْرَأَةٌ ابْنَهَا وَهُوَ فِي صَوْمَعَةٍ، قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، قَالَتْ: لَا يَمُوتُ جُرَيْجٌ حَتَّى يَنْظُرَ فِي وَجْهِ الْمَيَامِيسِ. وَكَانَتْ تَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ رَاعِيَةً تَرْعَى الْعَنَمَ، فَوَلَدَتْ، فَقِيلَ لَهَا: مِمَّنْ هَذَا الْوَلَدُ؟ قَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، نَزَلَ مِنْ

(١) البخاري: كتاب: التفسير/ باب: ﴿لَجَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ إلى ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ١٤٣،

حديث: ٤٦٣٨، ص ٩١٥/ مسلم: كتاب: الفضائل/ باب: من فضائل موسى- عليه السلام، حديث: ٢٣٧٤.

(٢) تكرر الشاهد سابقاً في الدراسة، ص ١٢٨.

(٣) البخاري: كتاب: المساقاة/ باب: فضل سقي الماء، حديث: ٢٣٦٣، ص ٤٦١/ مسلم: كتاب: السلام/ باب:

فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، حديث: ٢٢٤٤.

(٤) الضمير عائد على الرسول- عليه السلام.

(٥) امتحشت: احترقت.

(٦) البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث: ٣٤٥٢، ص ٦٩٠.

صَوْمَعَتِهِ، قَالَ جَرِيحٌ: أَيْنَ هَذِهِ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ وَلَدَهَا لِي؟ قَالَ: يَا بَابُوسُ، مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: رَاعِي الْغَنَمِ<sup>(١)</sup>(٢).

- حوار غير فوري:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ أَبُو يَحْيَى: أَخْبَرَنَا عَقَانُ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:- كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْفَضِيخَ<sup>(٣)</sup>، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ، وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾<sup>(٥)</sup>.

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ شَيْطِيرٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حَاجَةٍ لَهُ، فَأَنْطَلَقْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَقَدْ قَضَيْتُهَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَدَ عَلَيَّ أَلْيَ أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي أَشَدُّ مِنَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ، فَقَالَ: "إِنَّمَا مَنَعَنِي أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ أَنِّي كُنْتُ أَصْلِي". وَكَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، مُتَوَجِّهًا إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ<sup>(٦)</sup>.

- حوار منقطع: يترك فيه بعض الفجوات للمخاطب أو السامع القصة النبوية أو القارئ لها.

(١) البخاري: كتاب: العمل في الصلاة/ باب: إِذَا دَعَتِ الْأُمُّ وَلَدَهَا فِي الصَّلَاةِ، حديث: ١٢٠٦، ص ٢٣٧/ مسلم:

كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: تقديم برِّ الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها، حديث: ٢٥٥٠.

(٢) تكرر الشاهد سابقاً في الدراسة، ص ٢٠١.

(٣) الفضِيخ: خمر تصنع من ثمر النخل.

(٤) المائدة: ٩٣.

(٥) البخاري: كتاب: المظالم/ باب: صبَّ الخمر في الطريق، حديث: ٢٤٦٤، ص ٤٨٢/ مسلم: كتاب: الأشربة/ باب: تحريم الخمر، وبيان أنها تكون من عصير العنب ومن الثمر والبُسْر (التمر قبل أن يُرطب لغضاضته) والزبيب، وغيرها مما يُسكر، حديث: ١٩٨٠.

(٦) البخاري: كتاب: الجمعة/ باب: لا يَرُدُّ السَّلَامُ فِي الصَّلَاةِ، حديث: ١٢١٧، ص ٢٣٩/ مسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة/ باب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحة، حديث: ٥٣٨.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمُوسَى بْنُ هَارُونَ قَالَا: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ بْنُ زَبْرِ قَالَ: حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةً، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، فَأَنْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضِبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ، حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَتَحْنُ عِنْدَهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ". قَالَ: وَتَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْخَبَرَ. قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتُ" <sup>(١)</sup>.

#### ■ الصِّرَاع:

الصِّرَاعُ فِي الْقِصَّةِ النَّبَوِيَّةِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَيُرْتَبِطُ بِعَنْصَرِ التَّشْوِيقِ، وَقَدْ يَكُونُ بِشَكْلِ:

#### - صِرَاعُ حَسَى:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا قَيْسٌ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ - قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِثْثَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيَمْشِطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الدُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" <sup>(٢)</sup>.

#### - صِرَاعُ نَفْسِي:

(١) البخاري: كتاب: التفسير/ باب: ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ إلى ﴿وَاتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

الأعراف: ١٥٨، حديث: ٤٦٤٠، ص ٩١٥.

(٢) البخاري: كتاب: المناقب/ باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث: ٣٦١٢، ص ٧١٥.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنَ الْيَهُودِ"، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْهُ؟". فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَبُوكُمْ؟" قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ" فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ: "هَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟". فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آبِينَا، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟". فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخَلَّفُونَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اخْسَوْا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا تَخْلَفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا"، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: "فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟" قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: "هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟" فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: "مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟" فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ<sup>(٢)(٣)</sup>.

(١) بَرَرْتُ: أَحْسَنْتُ وَقَلْتُ خَيْرًا وَحَقًّا.

(٢) البخاري: كتاب: الطب/ باب: مَا يُذَكَّرُ فِي سَمِّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث: ٥٧٧٧، ص ١١٧٠.

(٣) تَكَرَّرَ الشَّاهِدُ سَابِقًا فِي الدِّرَاسَةِ، ص ٢٠٤.

## الخاتمة

كانت هذه محاولة لقراءة جديدة للخطاب النبوي؛ بالربط بين اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية والواقع كما هو متغير ومتنوع، وذلك بالدخول إلى الخطاب النبوي، والغوص فيه والانتقال من ظاهره النصي إلى باطنه المعنوي، بالاستعانة بالنظريات العلمية الحديثة، وأدوات المعرفة المنهجية الجديدة المتاحة اليوم، دون إغفال المراجعات الإجمالية للقراءات المختلفة للنص النبوي منذ ظهوره؛ مع محاولة فهم كلّ الملابس السياسية والاجتماعية والنفسية والتاريخية التي واكبت هذا النص وأثرت في تشكيله.

فللخطاب النبوي دوافع عامة وأخرى خاصة: فأما العامة فدوافع محمد الإنسان (دوافع إنسانية)، وأما الخاصة فدوافع النبي المكلف (دوافع نبوية). فـ"خطابه الإنسان" عليه السلام، وإن صدر من دافع لغوي فطري إنساني عام، إلا أنه اصطبع بطابع شخصه الإنساني الخاص. وإذا كان من دوافع الخطاب النفسية عمومًا تحقيق الفرد ذاته؛ فإنّ "خطابه الإنسان" الخاص كان أحد أهمّ دعائم تحقيق ذاته الإنسانية في مستوى تميّزه عليه السلام على العرب، وتفوّقه عليهم في صفات شخصه عامّة، وسمة البيان في "خطابه الإنسان" خاصة.

ولا مندوحة من التأكيد أنّ تكليفه عليه السلام نبياً للعالمين دفع بـ"خطابه الإنسان" إلى أن يسير إلى مستوى لغوي ودلالي وسياقي مختلف الاتجاه؛ ليخرج من دائرة الخطاب الإنساني عامّة، وخطاب شخص ابن عبد الله القرشيّ خاصّة؛ ليدخل حمى خطاب ديني مؤيّد وموجّه شأنه غير الشّأن، ودافعه غير الدافع، وإنّ كان لسانه هو اللسان.

وعلى ذلك فدوافع الخطاب النبويّ يمكن جمعها في دائرتين: الدائرة الأولى: دائرة الغرض الدينيّ الأكبر، وهي تبليغ رسالة الله، والتمثلة في دعوته عليه السّلام مجتمعه الإسلاميّ خاصّة، والنّاس عامّة، والدائرة الثانية: دائرة الغرض الإنسانيّ الاجتماعيّ الأصغر، وهي التّواصل والتّفاهم المتمثلة في علاقته عليه السّلام بأيّ من الأفراد عامّة، دون تحييد بعض الأغراض النبويّة الخاصّة التي لا تتعارض مع نبوته فهو إنسان ونبّي في آن معاً.

و"الأصالة" في الخطاب النبويّ أنّه عليه السّلام حقّق المعادلة الصّعبة بين كلام العرب وكلام نبّي من العرب، يكلمهم كما يتكلّمون، ويصوّر لهم الأشياء والمواقف بمثل ما يصوِّرون حيّاً، وإذا خرج كلامه في قالب لغويّ يحفظ للغه طرفتها في أحيانٍ أخرى؛ خرج على غير ما يحفظون، وأصبح كلامه عليه السّلام - بعد ذلك - يمثل قوالب لغويّة ثابتة في الدّائرة اللّغويّة للجماعة المسلمة، فاللّغة لغة القرآن؛ ولكنّ "الأصالة" في القوالب التي كان يصبّ الرّسول - عليه السّلام - فيها لفظه؛ فالنّظم مزيّة تُعزى إليه فصاحة الكلّم، وإنّ ما يعطي خطاب الرّسول - عليه السّلام - أصالته كذلك أنّ عباراته المبتكرة ما كانت متداولة قبل إنشائه إياها، وألفاظه وتراكيبه غير مستهلكة في الاستعمال؛ وإنّما تمتاز بخصوصيّة النّبوة بما فيها من فريدة وجمال.

كما أنّ ذبوع الخطاب النبويّ بين متداوليه بعد قول الرّسول - عليه السّلام - له وكثرة تكرارهم له، لا يُفقد كلامه عليه السّلام وأساليب تعبيره ألوانه المعنويّة الخاصّة، أو تحرمه قوّة التعبير الإيحائيّة أو معناه الحسيّ؛ فتسلب بذلك كلمته وعباراته عليه السّلام قوّتها أو تأثيرها كأيّ كلمة أو عبارة لغويّة أخرى، ثمّ إنّ تأثير الكلام المبتكر ذي المعنى الجديد والأصيل والقليل التّداول يكون حسنّ الوقع، وأدعى للتأثير في نفس المتلقّي ممّا ينتشر وذاع.

فبياناه عليه السّلام فطريّ أصيل، ليس دخيلاً أو مصطنعاً أو مكتسباً، فلم يدركه عليه السّلام

بالتّعلّم ممّن حوله، إنّما كان موهبة ووحياً إلهياً، وأدباً علّمه الله إياه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ

إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

وأسلوبه عليه السّلام في الخطاب النبويّ بوصفه بناءً على غير مثالٍ سابق في كلام العرب، يبحث في كميّة تشكيكه حتى يصير خطاباً مبتكراً له خصوصيّة الأدبيّة والجماليّة، فخطابه الأدبيّ مفارق لمألوف القول ومخالف للعادة، وبخروجه هذا يكتسب أدبيّته ويحقّق أصالته.

(١) النّجم: ٣ - ٤.

والخطاب النبويّ يمثل ضرباً من التسليم الضمّنيّ بين أفراد المسلمين؛ تجعل له قوّة لا شعوريّة وسطوة نفسيّة عليهم، فيشكل سلطة تنبثق من بنية الخطاب النبويّ نفسه، تحمل المسلم على الالتزام به حفظاً ونقلًا من جهة، ثمّ الاستشهاد به، والعمل بما جاء فيه من تعاليم وتشريعات وأوامر ملزمة، لها قدسيّتها وهالتها الدنيّة من جهة أخرى.

وللخطاب النبويّ سلطة تنبع من طبيعته هو نفسه، بوصفه نظاماً سلطته تمارس فعل الضبط والإقصاء؛ بغية الحفاظ على وجوده في زمنه وما بعده، ويقصد بذلك أنّ سلطته تبعد أيّاً من الخطاب الإنسانيّ الدنيويّ الوضعيّ وتنحيّه؛ فتكون السّلطة له والقوّة والكلمة الفصل، وبذلك يحقق عنصر الضبط والتنظيم الأوليّين للخطاب الإنسانيّ في المجتمع الإسلاميّ، وسيطرته على متداوليه المسلمين بعد سلطة خطاب القرآن الكريم.

وسلطة الخطاب النبويّ وإنّ كانت سلطة تحمل معنى القوّة، فهي قوة إيجابيّة لا عنف فيها، وهي سلطة تحمل في ثناياها معنى الإلزام في اتباع أمره عليه السّلام؛ سلطة إيجابيّة لا سلبيّة، لا تمارس القمع على شخص المسلم متلقّي خطاب الرّسول - عليه السّلام، فهي سلطة قوّة مقرونة بإرادة الفعل، فالخطاب النبويّ يفسّر للمسلم قرآنه، ويوجهه إلى فعل الخير وييسّر له طريق الحقّ، ويحاكي واقعه الاجتماعيّ والنّفسيّ والسيّاسيّ والاقتصاديّ المعيش في أيّ زمان ومكان، ويقدم له الحلول والعلاج لمشكلاته، ويصوغ له المعرفة بأشكالها كافّة؛ وبذلك فالخطاب النبويّ يصوغ وعي المتلقّي المسلم، ويوجّه إرادته إلى هذا الاتجاه أو ذاك، وهو الذي يحدّد علاقاته بالأشياء والأشخاص والأوضاع وطبيعة مواقفه منها، فيجعله يقبل بعضها، ويرفض الآخر؛ فهو بذلك خطاب السّيادة بعد القرآن الكريم.

وإنّ انبثاق الوعي الدّينيّ في سلطة الخطاب النبويّ للمسلمين لم يكن من طبيعة سلطة الخطاب النبويّ نفسه حسب؛ بل من النّمودج النبويّ الممثل في شخص إمام المجتمع الإسلاميّ المفوّض من قبل الله لحمل رسالته، وفي هذا ما يشكل سلطة وبُعْدًا نفسيًّا لقبوله عليه السّلام نبياً مختاراً من البشر، وبأنا شعائر الله في خطابه النبويّ إلى المسلمين خاصّة والنّاس عامّة.

فسلطة الخطاب النبويّ تنبع من طبيعة الخطاب نفسه كذلك، ومحكومة بقوّة موجّهة ومؤثّرة اجتماعيّة ونفسيّة ودينيّة، يضاف إليها سلطة شخص النّبّي - عليه السّلام - ذات التأثير والإقناع. والبحث في خصوصيّة الخطاب النبويّ ينطلق من مسلّمة مفادها قدرة لغته عليه السّلام على تحويل الأنّيّ والتّاريخيّ والاجتماعيّ إلى مجال المطلق والعاليّ والواقعيّ، وأمّا مجال المطلق؛ فلأنّ الزّمن غير محدود في بيانه عليه السّلام، والمكان ممتدّ في أفق الحياة الإنسانيّة، فمنتجه

الأول ومنشئه عليه السلام يقدّم تعبيراتٍ أولى نموذجية لحالات الوضع البشري في المجتمع المسلم الذي لا يتجزأ عن المجتمع الإنساني أو يفصل عنه، وما القضايا المطروحة في خطابه النبوي الموجهة للصّحابة - رضوان الله عليهم - إلا نماذج لأوضاع اجتماعية ونفسية واقتصادية وثقافية وفكرية يعيشها الفرد - أي فرد - في أيّ زمان ومكان، سواء في عهد الرّسول - عليه السلام - أو في عهد بعده، فهو خطاب أحادي من قبل المنشئ، ولكنه متعدّد من قبل المخاطبين على تعدّد لغاتهم وأفهامهم ومنابتهم وأعراقهم وأوطانهم وأزمانهم، وكثير من خطابه عليه السلام الخاصّ لصحابي ما في سياق ما، يعدّ تمثيلاً على حكم عامّ ينطبق على غير مسلم في سياق مشابه، وكأنّه خطاب محدّد ولا محدّد، قديم وحديث بلّ معاصر، أصيل ومتجدّد، جزئيّ وكليّ، متفرّد ومتعدّد، خاصّ وعامّ في آن معاً.

وأما أنّ الخطاب النبويّ عالٍ؛ فلأنّ لغته النبوية لا يمكن اختزالها إلى مجرد لغة دارجة؛ فهي وإن كانت من لغة قريش العرب، فتبدو للمتلقّي ليست منها؛ فمعلوم أنّ النصّ النبويّ، لا يختلف في بنيته ومكوّناته الأساسية عن بنية النصّ الأدبيّ العربيّ في ألفاظه المفردة المتداولة في كلام العرب، وأنظمة بناء الجملة الثّواة فيه، يقول الله تعالى<sup>(١)</sup>: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ

فَوَمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾؛ ولكنّ الحديث النبويّ انماز بنظم مفرداته، وارتباط بعضها ببعض في أساليب معيّنة، يجعله يحمل خصوصيّة الثّبوة في توظيف اللفظ المستخدم في التركيب، واتّساق الجملة في صياغتها وصوتها، وطرائق نظمها، وتأثر بعضها البعض في طرائق متنوّعة، يراعي فيها عليه السلام السّياق الذي يؤلّف النّسيج النبويّ، فيرتجل الحديث في غير تعقيد ولا غموض ولا إغراب ولا زخرف ولا مشقة؛ فيحمل بذلك صفة الخطاب الإبداعيّ.

وخطابه عليه السلام عالٍ كذلك؛ لأنّ لغته تمتزج فيها صياغات وتتمخّض عنها معانٍ، توسّع ساحة اللّغة وفضاء الذهن، كما أنّها لا تقف عند غاية التّوصيل أو التّخاطب أو التّفاهم في سياقه الأنّي الضيّق والخاصّ، كأيّ لغة إنسانية أخرى؛ بلّ تتجاوزها إلى التّحصيل المعرفيّ وجمع الخبرات والمهارات والمواقف الإنسانية؛ لتوجّهها الوجهة الشرعيّة التي يرتضيها الإسلام؛ لتحقيق وظيفتها السّامية في تبليغ الرّسالة السّماوية الخالدة على اختلاف الأماكن ومرّ العصور.

(١) إبراهيم: ٤.



وأما أن القول في خطاب الرسول - عليه السلام - واقعي؛ فلائه يحاكي أحداث الحياة الاجتماعية اليومية بكلّ دقائقها؛ فحديثه صورة صادقة حيّة ومحيّة لنظام الحياة والواقع المعيش، في تفاعل يبين طرفي الخطاب وتأثرهما ببعضهما وبما حولهما.

فالحياة المتدفقة والروح السائدة في الحديث النبوي الشريف من أهم السمات في الصحيحين، ففيه تبرز أهم مظاهر الحياة الاجتماعية والنفسية والفكرية والاقتصادية والسياسية... إلخ، ومنه تستخلص العديد من المواقف والمعاني والدلالات والإحياءات الدقيقة لتصاريف الحياة، وعلاقة أفراد المجتمع الإسلامي بعضهم ببعض في عهد النبوة خاصة؛ فيعرف ما كان من عادات وتقاليده وقيم وأخلاق وتصرفات، فيها صورة واقعية لحال الصحابة وعلاقتهم بنبينهم حينئذ؛ ولكنها لا تخلو من إشارات إلى سياقات اجتماعية تنبثق منها أحكام شرعية عامة.

وعدّ الخطاب النبوي مصدراً دينياً ودنيوياً هو قيمة في حدّ ذاتها؛ لأنه خطاب يمثل نتاج العمل الإنسانيّ لجماعة المسلمين، وينفتح على أنساق خطابية ولغوية متعدّدة، تقوم بوظيفة التواصل من جهة، وترسيخ سلوك المسلم الاجتماعيّ والنفسيّ والثقافة الإسلامية من جهة ثانية، ويرمز إلى العقل الجماعيّ للمسلمين من جهة ثالثة.

وإذا كان الكلام فردياً على حين أن اللغة اجتماعية؛ أي أنها نتاج الجماعة، وملك لها كما يبين "دي سوسير"، فإن كلام الرسول - عليه السلام - فيما ينتجه وعيه اللغويّ في خطابه في سياقه الاجتماعيّ العربيّ المسلم لا يفتأ يبين رابطة انتماء حضاريّ في المفهوم الإنسانيّ متجذّر من أية نزعة "أنوية"، وإن ذلك يدفع سلوك العربيّ الفكريّ إلى تقبّل كلامه عليه السلام كما يبدو في معطيات التفسير النفسيّ، ومما يزيد من فاعلية خطابه النبويّ أنّه طبع بطابع قويّ وفريد، فهو ليس مجرد مفردات وتراكيب وأساليب لغوية حسّبة؛ بل هو استخدامات خاصة وصور توضّح معارف المجتمع الإسلاميّ وتصوّراته وقيمه الممتدة على مرّ الزمن.

لذا فخطابه عليه السلام وعاءٌ يحوي مضموناً له مدلولاته في الواقع، ولو انتفت عنه صفة الدلالة لصار نصّاً مفرداً من محتواه، لا قيمة له ولا يعتدّ به.

فمحتوى هذا الخطاب يخضع للتجدّد والنمو مع الزمن بدليل تداوله بين المسلمين في تصاريف الحياة الإسلامية المتغيرة، فلو كان في خصائص اللغة عموماً مواتٌ أو سكونية لباتت القيم عديمة النفع، ولأفرغت من معانيها، فما القول في خطاب ملهم؟!

فلغته عليه السلام لغة متجدّدة، لا يحار المتلقّي المسلم في فهم دقائقها وعلاماتها وقرائن الحال في سياقها اللغويّ الاجتماعيّ والنفسيّ؛ ليستدلّ على المعنى المراد والمغزى المطلوب منها.

وأضف إلى ذلك أنّ ما يُغني الخطاب النبويّ، ويزيد فاعليّة سياقه اللغويّ أنّ رسالته عليه السّلام واضحة وغير مُلبسة ولا مُبهمة، تؤدي وظيفتها بصدق وكفاية؛ ويتحقّق منها الفهم والإفهام والتّبلغ، وتراعي حال المتلقّي، فيتقبّل فحوى الرّسالة، ويتفاعل معها في سياق التّواصل الاجتماعيّ والنّفسي المناسب؛ وبذلك تنجح مهمّة الإرسال النبويّة، وتنجز غايتها، وتعطي خطابه عليه السّلام قيمته وتأثيره.

ثمّ إنّ خطابه عليه السّلام النبويّ ليس كأبيّ خطابٍ لغويّ، معرضٍ للتّغيير وعدم الثّبات، فيكون تأثيره وفاعليّته قائمة على معنّى وجدانيّ، يزول بزوال المؤثّر، كالرموز السّياسيّة أو النّداءات المذهبيّة التي تفقد قوّتها وفاعليّتها، وتصبح جذباء عقيمًا في تأثيرها بعد زوال الأحوال الأصليّة التي انبثقت منها؛ ولا سيّما إذا ارتبطت بمصالح خاصّة بمنشئها ومروّجها.

والكلمة بمحتواها الوجدانيّ إن ارتبطت بالفكر الذي يقوم على الإقناع والبرهان وتداخلت معه، فلا مناص من إحداث تأثير قويّ في متلقّيها؛ لأنّها جمعت إلى ملامسة الحسّ محاجة العقل، وكذا هو الخطاب النبويّ.

ومفهوم الكفاية التّواصلية النبويّة يعني: معرفته عليه السّلام بالصّيغ اللغويّة المختلفة، وقدرته على استخدامها بطريقة ملائمة لموقف التّواصل، وهي من أهمّ المعايير التي تدلّ على نجاح خطابه النبويّ في المجتمع الإسلاميّ وتداوله.

وطرق الخطاب النبويّ المتباينة تُظهر بجلاء مهارات النّبيّ — عليه السّلام — اللغويّة والإرساليّة، وكفايته التّداوليّة، ضمن المعايير اللغويّة الاجتماعيّة والنّفسيّة؛ ممّا يؤكّد أنّ كفاية الرّسول — عليه السّلام — اللغويّة ملكة فطريّة ومُكنة لسانیّة، دفعت إلى صياغة خطابه النبويّ، وتحقيق كفايته التّواصلية بأساليبه المختلفة بين المسلمين الأوّلين والآخرين.

وثمة عوامل لغويّة داخلية وغير لغويّة خارجيّة متعلّقة بشخص الرّسول — عليه السّلام — المنشئ لا يمكن تناولها بعيدًا عن المتلقّي والنّص المبدع؛ فتأثير هذا الثّالوث من عناصر الخطاب النبويّ بعضه في بعض جليّ وواضح، فثمة تداخل فيه وتكامل وترابط.

والحديث في عناصر الخطاب النبويّ يقود إلى متلقٍ سعت الدّراسة إلى ضبط ملامحه، وبيانه حسب تصوّر اللّسانيّات الاجتماعيّة؛ فمخاطب الرّسول — عليه السّلام — متلقٍّ حاضرٌ في ذهنه عند إنتاج الخطاب النبويّ سواء أكان حضورَ عيانٍ أم ذهنٍ، فهو يمنح الرّسول المنشئ — عليه السّلام — دون قصد — القدرة على اختيار طريقة خطابه، وانتقاء الأدوات اللغويّة المناسبة لمراده، فهو طرف الخطاب الثّاني في فعل التّواصل.

ويمكن تحديد متلقي الخطاب النبوي في نوعين: "متلقى خطاب الواقع النبوي المعيش"، فهو الدافع الأول لخطابه عليه السلام، والمقصود في مشهد فعل التواصل النبوي، وقد يكون متلقيًا مخاطبًا الرسول - عليه السلام - أو سامعًا حديثه من آخر، يتلقى رسالته التي تدفع به إلى القيام بعمل ما أو اختيار ضرب بعينه من السلوك؛ استجابة للرسالة النبوية التي وصلته، كأن يردّ المخاطب بحدث لغوي ما: لساني أو غير لساني، وقد يتكرّر هذا العمل غير مرّة في سياق خطاب التواصل بين الرسول - عليه السلام - والمخاطب، يتبادلان الأدوار بين إرسال واستقبال حسب ما يستدعيه الموقف اللغوي؛ ليكتمل المشهد اللغوي في الخطاب النبوي ويحقق غايته.

أمّا متلقي النوع الثاني، "فمتلقى الواقع الإنساني الإسلامي المحاي"، فهو الدافع الثاني لخطابه عليه السلام في مشهد فعل التواصل النبوي، وقد يكون متلقيًا مسلمًا سامعًا الخطاب النبوي أو قارئًا له في متون الكتب.

فالمخاطب في الخطاب النبوي يجده نصًا متناغمًا مع حياته الروحية والفكرية والنفسية والاجتماعية، فيه تكامل بين ظاهره الفني ومحتواه الدلالي، وبين المؤثر الجمالي والوجداني والمؤثر الحسي والعقلي؛ لذا فقد يكون هذا دافعًا لإحداث تأثير داخل نفسه، ناشئ عن تأثير القيمة التداولية بين طرفي الخطاب النبوي، ثم الاستجابة الإيجابية في فعل التواصل.

ثم إنّ التأثير النفسي بخطاب الرسول - عليه السلام - للمخاطب المسلم كذلك يرفده الذوق الذي تحدده نشأة كلّ من الرسول - عليه السلام - والمخاطب في بيئة اجتماعية ودينية وثقافية واحدة؛ تجعل هذا المتلقي يطرب لكلام الرسول - عليه السلام - الفصيح؛ فيهتز له، وذلك **لعاملين: عامل فطري** قائم على سلامة الإحساس والذوق والإدراك السليم لمواطن الجمال في كلام العرب، و**عامل ثقافي** يتعلّمه مخاطب الرسول - عليه السلام - ويكتسبه بالدربة والمران ممّا يسمعه في بيئته الثقافية العربية؛ فيستطيع التمييز بين غث الكلام وسمينه؛ ليدرك نموذج البلاغة في الخطاب النبوي، وفصاحة الكلم في نظم الهادي - عليه السلام.

لذا استطاع عليه السلام أن يسوس الناس نفسيًا واجتماعيًا بملكة خاصة، ومنحة ربانية وحكمة نبوية وعبرة لغوية مميزة، فكان يعرف كيف يستميل مخاطبه أو ينفره، وكيف يستثيره أو يسكنه حسب المواقف، لذا تنوّع الخطاب النبوي حسب المتلقي من وجهة لسانية اجتماعية ونفسية، فكان المخاطب المنكر، والخالي الذهن، والمتردّد، والعنيد... إلخ.

والبنيات اللغوية المتعدّدة في الخطاب النبوي مع تعدّد مستويات المتلقي، ببنيته: السطحية والعميقة تنقسم إلى مستويين بنويين من وجهة الخطاب اللساني الاجتماعي والنفسي: فأما

المستوى الأول فهو البنية الخارجية، وتمثل ثنائية: (الرّسول - عليه السّلام - / المخاطب)، في المفهوم الضّيق للحديث النبويّ في عصر النّبوة، أو (الرّسول/ المسلم) في المفهوم الأعم والأشمل. وأمّا المستوى الثّاني، فهو البنية الدّاخلية، وتمثل ثلاثيّة: (الحقّ/ الخير/ الجمال)؛ فمضمون الخطاب النبويّ يدعو إلى الحقّ والخير في رسالته المؤيّدّة، ويمثل جمال اللّغة في بنية الخطاب اللّغويّة الدّاخلية في مفرداته وتراكيبه ونظمه، ويمثل جمال الخلق والخلق في بنية الخطاب اللّغويّة الخارجيّة الممثّلة في شخص نبيّ الله - عليه السّلام - التّمودج الذي كان في فعله وقوله محقّقًا كلام الله على الأرض وعاملاً به.

### والخطاب النبويّ في الصّحّاحين قسّم إلى الأنواع الثّالية:

الأوّل: نصّ الحديث النبويّ صورة لفظيّة خالصة لرسول الله - عليه السّلام.

الثّاني: نصّ الحديث النبويّ مشهد تواصل لغويّ غير لسانیّ حسب، متداول بين طرفي الخطاب: الرّسول - عليه السّلام - والمتلقّي المخاطب الذي يشارك في الفعل غير اللّسانيّ.

الثّالث: نصّ الحديث النبويّ يمثل مشهداً لغويّاً غير لسانیّ، مُنشئ الرّسول - عليه السّلام - وحده، دون إشراك المتلقّي في فعل التّواصل غير اللّسانيّ.

الرّابع: نصّ الحديث النبويّ مشهد تواصل لغويّ (لسانيّ - غير لسانیّ)، متداول بين طرفي الخطاب (الرّسول - عليه السّلام - والمخاطب).

الخامس: نصّ الحديث النبويّ مشهد تواصل لغويّ (لسانيّ - غير لسانیّ)، صادر عن الرّسول - عليه السّلام - حسب، دون مشاركة المخاطب.

ويُسمّ الخطاب النبويّ بالجودة والحُسن، ولا يكمن ذلك في المعنى واللفظ والنّسج والسّبك حسب؛ بل يتجاوزّه إلى تضافر وحدات خارجيّة لها علاقة بسياق التّواصل اللّغويّ، تساعد في إضفاء هذه السّمة على الخطاب النبويّ، كعنصري الزّمان والمكان وثقافة المخاطب وبيئته وجنسه ومزاجه وهيئته وفنّته الاجتماعيّة إلى غير ذلك.

ثمّ إنّ نصّ الخطاب النبويّ ذو مظهرين: لغويّ ووجدانيّ، فنصّه عليه السّلام مزيج من الملفوظات المتجدّدة والحركات الدّالة التي تُتناوَب بين متداوليها بالرجوع إلى سياق النصّ اللّغويّ الدّاخلِي الخاصّ والنّصّ اللّغويّ العامّ للمعارف الخارجيّة المتعلّقة بطرفي الخطاب، وكلّ ذلك لا ينفك يرتبط ببعد وجدانيّ يتمثل في علاقته عليه السّلام بمتلقيه في إطار المجتمع الإسلاميّ من منطلق مكانة المُنشئ عليه السّلام الاجتماعيّة والدينيّة التي تحدّث قوّة التأثير في متلقّي الخطاب النبويّ في مختلف المستويات، ناهيك عن الجو النّفسيّ المريح الذي يبثّه الرّسول - عليه السّلام -

في لغته، وفي سياق الحدث اللغوي الذي يوجّهه عليه السّلام الوجهة الأمثل بما ينسجم وحاجات المتلقّي ضمن الإطارين: النّفسي والاجتماعيّ اللّذين يوافقان البعد الدّينيّ.

والعوامل غير اللّغويّة المؤثّرة في الخطاب النّبويّ في ضوء اللّسانيّات الاجتماعيّة تقع ضمن محيطين: المحيط الضيق الذي يلفّ فعل التّواصل النّبويّ، وما يحويه من عناصر لسانية وغير لسانية، وهو ما تمّ الحديث عنه في "سياق المقام أو الحال"، والمحيط الخارجيّ الأوسع، ويتمثّل في المحيط الاجتماعيّ الذي ينتمي إليه طرفا الخطاب، ومنه يستقيان الكلام والمعارف والعادات والطّقوس... إلخ، ويمكن تسميته بـ"السياق الخارجيّ" أو "السياق المرجعيّ" للموقف الكلاميّ.

وقد حرص الرّسول - عليه السّلام - على استكناه روح النّفس البشريّة في عواملها الخفيّة، والولوج إلى إحساس المتلقّي ومشاعره في الخطاب النّبويّ، فامتاز عليه السّلام بقدرته على معالجة الأسلوب اللّغويّ، لرصد خبايا التأثير في نفس المتلقّي، ثمّ مخاطبتها بإبداع صور فنيّة، يلتقط عليه السّلام أدواتها وعناصرها من واقع المخاطب المألوف معيّدًا تشكيلها بشكل غير مألوف، يحمل بصوره عناصر الجدّة والإمتاع والخصوصيّة والتأثير.

فكثير من مواقف التّواصل النّبويّ ما تصبح فيها الصّور الجزئيّة أو الكليّة طريقة تواصل مهمّة، باستخدام التّشبيه والاستعارة والمجاز؛ لأنّها تجمع إلى جمال الصّورة البيانيّة عنصر الإبلاغ في آن معًا، حتى وإنّ بدت الصّورة كأنّها تلوذ بالشّكل أمام سلطة المضمون.

والمجاز النّبويّ يتّصل بالدّلالة اللّسانية التعبيريّة في ازدواجه بين التّصريح والإيحاء، وبين طاقة موضوعيّة وأخرى سياقيّة تتعلّق بالموقف النّفسيّ للمخاطب، فالدّالّ يتحرّك لينزاح عن مدلوله المتداول؛ ليلامس مدلولًا مستحدثًا في مفاهيم جديدة رهينة الإحساس النّفسيّ اللّغويّ الذي يصحب استعمال اللفظ في اللّغة؛ فالمجاز النّبويّ نقطة تقاطع قدرة الإبلاغ والتّواصل النّبويّ مع الطّاقة الإبداعيّة البلاغيّة في اللّغة.

والقصّة في الخطاب النّبويّ منبعها ليس الأسطورة أو التّجربة الدّاتية للرّسول - عليه السّلام، إنّما التاريخ والوقائع الإنسانيّة وحياة المسلم التي تُقصّ لأخذ العبرة والعظة، وليس الغرض منها إبراز الجانب الفنيّ بقدر التّركيز على الجانب الدّعويّ.

والقصّة النّبويّة ليست بالضرّورة مستوفية عناصرها جميعًا في الخطاب الواحد من شخوص وحوار وزمان ومكان وعقدة وحلّ، ضمن المقاييس الفنيّة التي يراها نقاد العصر الحديث، فهي

ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وسير أحداثه، وهي لا تختلف عن المثل النبوي في غايته في أخذ الدروس والدعوة إلى الدين الحق.

فقد كان الرسول - عليه السلام - يستدعي القصة، ويمثل على الموقف الاجتماعي والنفسي المناسب للحدث، فيسرد الوقائع، وإن لم يراع ترتيب الأحداث أحياناً.

ويمكن استخلاص تعريفين لمصطلحي **الخطاب** و**الخطاب النبوي** من منطلق لساني يستفيد من دراسات العلوم الأخرى المتعلقة بـ "علم اللغة" = "علم اللسانيات"<sup>(١)</sup> كالتالي:

**الخطاب:** هو تعبير شفهي قائم على بنية ذهنية أو فكرة مجردة أو إحساس نفسي، يمثل فعل القول اللساني، أو الكلام المنجز محكياً أو مكتوباً، أو ممثلاً فعلاً غير لساني (حركياً)، يتفاعل فيه طرفان، يحقق المنشئ غاية الفهم الإفهام، أو التأثير في المستقبل، ويكون لهذا الأخير دور في طبيعة الرسالة النصية المتداولة، وطريقة بثها، والنظام اللغوي المعتمد ضمن معطيات السياق الثقافية والاجتماعية والنفسية... إلخ التي يخضع لها موقف التواصل.

وأما **الخطاب النبوي** فهو كل ما صدر عن الرسول - عليه السلام - من قول لساني محكي أو منقول أو فعل غير لساني (حركي) مشاهد أو منقول إلى المتلقي المسلم، المعين هذا الخطاب في زمنه عليه السلام، أو السامع له، أو القارئ له في زمن بعده، في سياق تواصل لغوي معين، وموقف مثبت، يخضع لمعطيات ثقافية واجتماعية ونفسية ودينية... إلخ في المجتمع الإسلامي خاصة أو تجارب الحياة الإنسانية عامة؛ ليخرج هذا الخطاب من نطاق النص المخصوص بزمان ومكان محددين إلى نطاق النص اللامحدود زمناً ومكاناً، ويصبح رسالة لغوية نصية خالدة لها فاعليتها وتأثيرها النموذج والمثال في متلقي الحديث النبوي، ثم في كل من سار على نهج الرسول - عليه السلام - واتبع سنت

(١) التعريفان كما تراهما الباحثة في ضوء اللسانيات الاجتماعية.



## ثبت المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (ت ٦٣٧ هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، د.ط، (قدم له أحمد الحوفي وبدوي طبانة وحقاه)، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٩.
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ)، **تهذيب اللغة**، د. ط، (تحقيق عبد السلام هارون، ومراجعة محمد علي النجار)، الدار المصرية، ١٩٦٤.
- استثنائية، سمير (٢٠٠٢)، **اللغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر**، ط ١، عمان: مطبعة الجامعة الأردنية.
- إسماعيل، عز الدين (١٩٦٣)، **التفسير النفسي للأدب**، د.ط، دار المعارف.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠ هـ)، **دلائل النبوة**، ط ١، (تحقيق محمد رواس قلنجي)، المكتبة العربية، حلب، ١٩٧٠.
- أعمال **ثالثة ندوة في البحث اللساني والسميائي**، جامعة محمد الخامس - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم (٦)، (١٩٨٤)، ط ١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- أوتوكلينبرغ (د.ت)، **علم النفس الاجتماعي**، د.ط، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، تعريب: حافظ الجمالي.
- أوكان، عمر (٢٠٠١)، **اللغة والخطاب**، د.ط، المغرب: إفريقيا الشرق.
- أولمان، ستيفن (١٩٦٢)، **دور الكلمة في اللغة**، ط ١، الإسكندرية: مكتبة الشبابة، تعريب: كمال بشر وتقديمه.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)، **صحيح البخاري**، ط ١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٥.
- بدوي، أحمد (١٩٥٠)، **من بلاغة القرآن**، ط ٣، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
- برهومة، عيسى (٢٠٠٥)، **مقدمة في اللسانيات**، ط ١، عمان.



- البطاينة، عفاف (٢٠٠٢)، النصوص وسياقاتها: دراسة في الأدبية، الأيديولوجيا، والخطاب، فصول، العدد (٥٨)، ص ٥٧-٧٦.
- بيرت، سيريل (١٩٨٥)، علم النفس الديني، ط١، بيروت: دار الآفاق الجديدة، تعريب: سمير عبدة.
- البيومي، محمد رجب (١٩٨٧)، البيان النبوي، ط١، المنصورة: دار الوفاء للطباعة.
- تشومسكي، نوام (١٩٨٢)، مفهوم الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان (١٩/١٨) شباط/ آذار، تعريب: ميشال زكريا، ص ٢٥-٣٠.
- التهانوي، محمد علي بن علي بن محمد الحنفي (ت ١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون، ط١، (وضع حواشيه أحمد حسن سبج)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- الجابري، محمد عابد (١٩٨٢)، الخطاب العربي المعاصر، ط١، بيروت: دار الطليعة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، د.ط، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الفكر، ١٩٤٨.
- الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ)، دلائل الإعجاز، د.ط، (تحقيق محمود محمد شاكر)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤.
- الجرجاني، أبو الحسن، علي بن عبد العزيز بن الحسن (٣٩٢ هـ)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ط٢، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي وشرحهما)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢ هـ)، الخصائص، ط٤، (تحقيق محمد علي النجار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، تاريخ اللغة وصحاح العربية، ط١، (تحقيق إميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل طريف)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
- جيلفورد (١٩٦١)، ميادين علم النفس، د.ط، مصر: دار المعارف، تعريب: مجموعة بإشراف يوسف مراد.

- حجازي، أحمد عارف (٢٠٠٦)، دراسات لسانيّة في الحديث النبويّ، ط١، ألمينا: دار فرحة.
- ابن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدّين بن هبة الله بن محمّد بن محمّد المدائنيّ المعتزليّ (ت ٦٣٧هـ)، شرح نهج البلاغة، ط١، (تحقيق محمّد عبد الكريم الثمريّ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٨.
- ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسيّ الظاهريّ، (ت ٤٥٦ هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ط١، (إشراف أحمد شاكر)، مطبعة الإمام، مصر، ١٣٤٥.
- حسّان، تَمَام (١٩٨٢)، الأصول. دراسة أستمولوجيّة للفكر اللغويّ عند العرب النّحو، فقه اللغة، البلاغة، د.ط، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيريّ النّيسابوريّ (ت ٢١٦هـ)، صحيح مسلم، د.ط، (تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٥٤.
- الحميريّ، عبد الواسع (٢٠٠٨)، الخطاب والنّص "المفهوم والعلاقة والسّلطة"، ط١، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر.
- خرما، نايف (١٩٧٩)، أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، ط٢، الكويت: سلسلة كتب (عالم المعرفة).
- ابن خلدون، ولي الدّين، عبد الرّحمن بن محمّد الحضرميّ (ت ٨٠٨ هـ)، المقدّمة، ط١، (تحقيق علي عبد الواحد وافي وشرحه وضبطه)، لجنة البيان العربيّ، ١٩٦٢.
- ابن خلدون، المقدّمة، ط١، (تحقيق عبد السّلام الشّذاديّ)، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدّار البيضاء، ٢٠٠٥.
- خليفات، سحبان (٢٠٠٤)، منهج التّحليل اللّغويّ - المنطقيّ في الفكر العربيّ الإسلاميّ (النّظريّة والتّطبيق)، ط١، منشورات الجامعة العلميّة، عمادة البحث العلميّ.
- الدّاية، فايز (٢٠٠٦)، علم الدّلالة العربيّ النّظريّة والتّطبيق - دراسة تاريخيّة، تأصيليّة نقدية، ط٥، دمشق، دار الفكر.
- راجح، أحمد عزت (١٩٧٠)، أصول علم النّفس، ط٨، الإسكندريّة: المكتب المصريّ الحديث.

- الرّازي، فخر الدّين محمّد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)، التّفسير الكبير، ط٣، دار إحياء الثّراث، بيروت، ١٩٩٩.
- الرّازي، المحصول في علم أصول الفقه، ط٢، (تحقيق طه جابر العلواني)، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٩٩٢.
- الرّافعي، مصطفى صادق (٢٠٠٠)، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، ط١، بيروت: المكتبة العصريّة، اعتنى به درويش الجويديّ وراجعته.
- الرّافعي (١٩٧٤)، تاريخ آداب العرب، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربيّ.
- الرّافعي (٢٠٠٥)، وحي القلم، ط١، بيروت: دار ابن حزم، بعناية: بسام عبد الوهّاب الجابيّ.
- ابن رشد، القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد (ت ٥٩٥هـ)، تلخيص كتاب النّفس لأبي الوليد ابن رشد وأربع رسائل: رسالة الاتّصال، لابن الصّانع، كتاب النّفس، لإسحاق بن حنين، رسالة الاتّصال لابن رشد، رسالة العقل، ليعقوب الكنديّ، ط١، (تحقيق أحمد فؤاد الأهوانيّ وتقديمه ونشره)، مكتبة التّهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٥٠، مع ملحق كتاب النّفس المنسوب لإسحاق بن حنين.
- ابن رشد، فصل المقال، وتقرير ما بين الشّريعة والحكمة من الاتّصال، د.ط، (تحقيق جورج فضلو الحورانيّ)، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٥٩.
- الزّمخشريّ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، ط٣، (مركز تحقيق الثّراث)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٥.
- سامي، حنا والراجحيّ، شرف الدّين (١٩٩١)، مبادئ علم اللّسانيّات الحديث، د.ط، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة.
- سقّال، ديزيرة (١٩٩٧)، علم البيان بين النّظريّات والأصول، ط١، بيروت: دار الفكر العربيّ.
- سويّف، مصطفى (١٩٨٧)، مقدّمة لعلم النّفس الاجتماعيّ، ط٥، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصريّة.

- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي الخضير (ت ٩١١ هـ)، **المزهر في علوم اللغة**، د.ط، (تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبي الفضل وعلي محمد البجاوي وشرحهم وضبطهم)، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
- الشاوش، محمد (٢٠٠١)، **أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية**، تأسيس "نحو النص"، ط ١، تونس: المؤسسة العربية للتوزيع.
- شرشار، عبد القادر (٢٠٠٦)، **تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- الشرقاوي، حسن (د.ت)، **في الطب النفسي النبوي**، د.ط، دار المطبوعات الجديدة.
- الشريف الرضي، أبو الحسن، محمد بن الحسين بن أحمد الوسوي (ت ٤٠٦ هـ)، **المجازات أو مجازات الآثار النبوية**، د.ط، (تحقيق مروان العطية ومحمد رضوان الداية)، ١٩٨٧.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر (٢٠٠٤)، **استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية**، ط ١، ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- صالح، بشرى (٢٠٠١)، **نظرية التلقي أصول وتطبيقات**، ط ١، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- أبو صفية، جاسر (٢٠٠٨)، **أمية الرسول والعرب وقضايا نقدية في اللغة والأدب**، ط ١، عمان: دار فضاءات للنشر.
- ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (ت ٣٢٢ هـ)، **عيار الشعر**، د.ط، (تحقيق طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦.
- عاقل، فاخر (١٩٦٥)، **علم النفس دراسة التكيف البشري**، د.ط، بيروت: دار العلم للملايين.
- عبده، داود (١٩٨٤)، **دراسات في علم اللغة النفسي**، ط ١، مطبوعات جامعة الكويت.
- العشي، عبد الله (٢٠٠٠)، **بنية الدعاء "دراسة تأصيلية في جماليات الخطاب النبوي"**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد (٣)، ص ١٩٢ - ٢٢٩.
- العقاد، عباس محمود (١٩٤٣)، **عبقريّة محمد**، ط ٣، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

- عقيل، أبو الوفاء عليّ بن عقيل بن محمّد بن عقيل الحنبليّ البغداديّ الظفريّ، الفقيه الواعظ الأصوليّ (ت ٥١٣ هـ)، **الواضح في أصول الفقه**، ط ١، (حقّقه جورج المقدسيّ وقَدّم له وعلّق عليه)، بيروت، ١٩٩٦.
- العسقلانيّ، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ)، **هدي السّاري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ**، (أخرجه وصحّحه محب الدّين الخطيب)، د.ط، المكتبة السّلفيّة، د.ت.
- العكيليّ، حسن منديل (٢٠٠٦)، **الجانب الرّوحيّ في اللّغة العربيّة**، ط ١، عمّان: دار الضيّاء.
- عيد، عريب (٢٠١٠)، **علم لغة الحركة بين النّظرية والتّطبيق**، ط ١، عمّان: دار الثقافة.
- عيسى، حنفي (١٩٨٠)، **محاضرات في علم النّفس اللّغويّ**، ط ٢، الجزائر، الشّركة الوطنيّة.
- غنيم، سيّد (١٩٧١)، **اللّغة والفكر عند الطفل**، مجلّة عالم الفكر، مجلد ٢، عدد (١)، ص ٩١-١١٥.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، **معجم مقاييس اللّغة**، ط ١، (تحقيق عبد السّلام محمّد هارون)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.
- الفراهيديّ، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، **العين**، د.ط، (تحقيق مهدي المخزوميّ وإبراهيم السّامرائيّ)، دار الرّشيد، بغداد، ١٩٨٠.
- فرينالد (١٩١٥)، **فصول في علم اللّغة العامّ**، د.ط، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، تعريب من الفرنسيّة إلى الإنجليزيّة: واد باسكين، وإلى العربيّة: أحمد نعيم كراعين **العرب**، ط ٢، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣.
- فضل، صلاح (١٩٩٦)، **بلاغة الخطاب وعلم النّص**، ط ١، الجيزة: العالميّة للنشر - لوجمان.
- فوكو، ميشيل (١٨٨٥)، **نظام الخطاب وإرادة المعرفة**، د.ت، الدّار البيضاء: دار النّشر المغربيّة، تعريب: أحمد الطّائيّ وعبد السّلام بنعبد العالي.

- القرطاجنيّ، أبو الحسن حازم بن محمّد بن حسن (ت ٦٨٤ هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، د.ط، (تحقيق محمّد الحبيب بن الخوجة وقدم له)، دار الكتب الجامعيّة، تونس، ١٩٦٦.
- قطب، محمّد (د.ت)، **دراسات في النفس الإنسانيّة**. د.ط، القاهرة: دار القلم.
- القيروانيّ، أبو علي الحسن بن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) وقيل (٤٥٦ هـ) **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، د.ط، (تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد وعلّق عليه)، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٤.
- كارليل، توماس (د.ت)، **الأبطال**، د.ط، دار الكاتب العربيّ، تعريب: محمّد السّباعي.
- الكتّانيّ، محمّد عبد الحيّ الكتّانيّ الإدريسيّ الحسنيّ الفاسيّ (ت ١٣٨٢ هـ)، **نظام الحكومة النّبويّة المسمّى التّراتيب الإداريّة**، ط٢، (تحقيق عبد الله الخالديّ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ت.
- كتاب أعمال ندوة: **قضايا المتكلم في اللّغة والخطاب**، (٢٠٠٦)، د.ط، تونس: دار المعرفة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، القيروان.
- الكفويّ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينيّ (ت ١٠٩٤ هـ)، **الكليات**، ط١، (نشره عدنان درويش ومحمّد المصريّ)، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٩٩٢.
- لويس، م.م (١٩٥٩)، **اللّغة في المجتمع**، د.ط، القاهرة: عيسى البابيّ الحلبيّ، تعريب: تمام حسان، مراجعة: إبراهيم أنيس.
- الماورديّ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ)، **أدب الدّنيا والدّين**، ط١، (اعتنى به محمّد أبو الخير السيّد ومحمّد الشّرقاويّ، وخرّجا أحاديثه)، مؤسّسة الرّسالة، ٢٠٠٤.
- المتقي الهنديّ، علاء الدّين عليّ بن حسام الدّين (ت ٩٧٥ هـ)، **كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال**، ط١، (تحقيق محمود عمر الدّميّاطيّ)، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٩٩٨.
- المسديّ، عبد السّلام (١٩٨٦)، **التّفكير اللّسانيّ في الحضارة العربيّة**، ط٢، تونس: الدّار العربيّة للكتاب.

- منصور، عبد المجيد (١٩٨٢)، **علم اللغة النفسي**، ط١، الرياض: عمادة شؤون المكتبات (جامعة الملك سعود).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقيّ المصريّ (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٢، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣.
- ابن منقذ، أبو المظفر أسامة بن مرشد الشّيرازيّ (ت ٥٨٤ هـ)، **البدیع في نقد الشعر**، د.ط، (تحقيق أحمد بدويّ وحامد عبد المجيد، ومراجعة إبراهيم مصطفى)، البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٦٠.
- الموسى، نهاد (١٩٨٥)، **الأعراف أو "نحو اللسانيّات الاجتماعيّة في العربيّة"**. المجلة العربيّة للدراسات اللّغويّة (معهد الخرطوم الدّوليّ للغة العربيّة)، المجلد ٤ العدد (١)، ص ١٤٥-١٧٦.
- الموسى، (٢٠٠٨)، **حصاد القرن (المنجزات العلميّة والإنسانيّة في القرن العشرين)**، ط١، عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان.
- هدسون (١٩٨٧)، **علم اللغة الاجتماعيّ**، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة، تعريب: محمود عياد، راجعه: عبد الأمير الأعسم وقدم له.
- واشنجتون، أرفنج (١٩٦٠)، **حياة محمد**، د.ط، القاهرة: دار المعارف، تعريب: علي حسني الخربوطليّ.
- وافي، علي عبد الواحد (١٩٦٢)، **علم اللغة**، ط٥، الفجالة: مكتبة نهضة مصر.
- ابن وهب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن وهب الفهريّ (ت ١٩٧ هـ)، **البرهان في وجوه البيان**، ط١، (تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي)، جامعة بغداد، ١٩٦٧.
- يقطين، سعيد (١٩٨٩)، **تحليل الخطاب الرّوائيّ (الزّمن - السّرد - التّنبؤ)**، ط٤، الدّار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافيّ العربيّ، (٢٠٠٥).

**-Webster Dictionary.**

## **The Prophetic Discourse According to Social Language**

**Prepared by**

**Oraib Mohammad Ali Eid**

**Supervisor**

**D. Jaser Khalil Abu Safieh - Professor**

### **Abstract**

Prophetic speech achieve its functions through within the frame of three main factors which are organized by the lingual status, those factors are: the initiator, the addressee, and the elements standing between words spoken and sensuous statuses, which it is believed to be the subject of the prophetic speech and the lingual symbols are in harmony with these three factors; the intended coherence herein is when the initiator being different, or in case the addressee or the elements of the status and conditions are different, thus, the lingual symbols will be different.

The prophet – peace be upon Him – in His initiated discourse and speech, are studied together with relation between the speech and the recipient, and shall not be taught separately from these tow basic elements in the act of inter-communication, and if the course of the prophetic speech is bases on the lecturer himself, therefore, peace be upon him – is the center of this work. Knowing the reality, facts, signification and objectives of the prophetic speech can be stemmed only through knowing the character of the prophet, the initiator – peace be upon Him -, also the factors affecting this speech as the prophet gives the spirit, life, bounding in thoughts,



conceptions, events and various facts which defuse strength in recipients granting them momentum.

The study dealt with the role of the Prophet,— peace be upon him- the initiator of the speech, not receiving the speech of the companions or from any people for two reasons: That firstly the prophet – peace be upon him – is the most important addresser in the body of the prophetic Hadith, as well in the act of inter-communicating with His companions and others, secondly, the prophet is the initiator of the Hadith enunciations as narrated in the too books (Al Saheihain)

The prophet – peace be upon him – took care in His speech of the recipient, as his objective to cause impact on which the speech shall have efficacy on others, taking in first place the variety of the verbal lingual expression and non-verbal, taking the assistance of the two factors, psycho-social, which are being considered decisive in causing interaction among the parties of the speech. To have the inter-communication yielded, the prophet – peace be upon him – used to consider the characteristics of the psycho-social and mental speech to make the social interaction affection occur between the parties of the speech, in relation with the response stemming from the tenets, psycho-social and spiritual criterions which are herein are considered as stimulants for the Islamic life in the environment of the addressees.

Any Hadith text is directed to two addresses; particular ocular: who is seeing the Prophet – peace be upon him – or the audient in the prophetic inter-communication within the limited audient group, in the same time, the general mental addressee: such direction is the intended to the Muslim in

the prophet's mind in the most remote and comprehensive scope of the action of the prophetic inter-communication.

The prophetic speech –or any speech- will be isolated from the lingual context of the prophet: lingual or non-lingual will be isolated from the lingual context: the context of the place and the external context which is boarder. All of those are supporting the formation of the prophetic speech and considered the truer record based on realistic facts in the Islamic Community in the era of the prophecy together with its orders, traditions, creeds, mental scopes, social affairs, political trends, economical activities and geographical environments...etc.

His inter-communication –peace be upon him- is a social one, actualized in His oral speech in general, the way of conduction presented in His private mobility and manifestations, which is emerged from His cultural life and the way of an inspired thinking, the perception of well-studied things, all those are related closely to human life which can absorb, thereupon, the objective realities of the Muslim community within the scope of the usual humanitarian relations.

Though the prophetic speech is considered religious texts, being sacred, prestigious and possesses stature, motives, privacy, power and methods. Therefore, the prophetic speech cannot be considered as any linguistic science or an art of literary speech could be over-mastered by the uses of the modern and contemporary linguistic science principles and standards, in spite of some of such principles and standards are applicable over-here.

However, the prophetic speech – peace be upon him – as a symbol, achieved the intended lingual message as well as drawing the attention of the listener to the three functions, it is the speech being operatively expressive, conductive, and effective. His speech is the model which did not stop on limits of the Prophet's mission or represented reporting, but outstripped the role of rhetoric and the beauty of the style to the maximum extent, since this however, cannot be accomplished unless being awarded evident attention of the various factor of the inter-communication lingual prophetic action in the social and psychological contexts.